سلسلة روائع نهج البلاغة (١)

الإلهيات

جمعها

عبد الرحمن محمد عبدالملك المروني

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

«الْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، ودَلِيلاً عَلَى آلائِهِ وعَظَمَتِهِ». [خ١٥٧]

«الْحَمْدُ لله الَّذِي لاَ تُوَارِي[١] عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً». [خ١٧٢]

«الْحَمْدُ لله الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، والظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[٢]، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لا تَلِيقُ إِلا بِذَوِي الضَّمَائِرِ، ولَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ، وأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ[٣]». [خ١٠٨]

«الْحَمْدُ لله الأَوَّلِ فَلا شَيْءَ قَبْلَهُ، والآخِرِ فَلا شَيْءَ بَعْدَهُ، والظَّاهِرِ فَلا شَيْءَ فَوْقَهُ، والْبَاطِنِ فَلا شَيْءَ دُونَهُ». [خ٩٦]

«الْحَمْدُ لله الَّذِي لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، ولا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، ولا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، ولا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ[٤]، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، ولا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، ولا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، ولا أَجَلٌ مَمْدُودٌ،

---

(١) **لا تُوَارِي:** لا تحجب.

(٢) **رَوِيَّةٍ:** تأمل وإجالة فكر .

(٣) **السُّتُرَاتِ:** المستور من الأشياء. **السَّرِيرَاتِ:** أسرار النفس وضمائر الصدور.

(٤) **غَوْصُ الْفِطَنِ:** الفطن: العقول، وغوصها: تأمل الأشياء وإجالة الفكر فيها .

فَطَرَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِهَ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ[١]، أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْديقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّها غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَد جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ: «فِيمَ» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: «عَلاَمَ؟» فَقَدْ أَخْلَىٰ مِنْهُ. كائِنٌ لاَ عَنْ حَدَث[٢]، مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ[٣]، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَىٰ الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلاَ يَسْتوْحِشُ لِفَقْدِهِ، أَنْشَأَ الخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا[٤]، وَلاَ تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلاَ حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا[٥]. أَحَالَ الْأَشيَاءَ لَأُوْقَاتِهَا، وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّزَ غَرائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا[٦]، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِها وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِها وَأَحْنَائِهَا». [خ١]

---

(١) **فَطَرَ الْخَلائِقَ**: ابتدعها على غير مثال سابق. **وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ**: ثبت الأرض بالجبال حتى لا تميل وتضطرب.

(٢) **كائِنٌ لاَ عَنْ حَدَث**: موجود دون إيجاد موجد.

(٣) **مُزَايَلَةٍ**: مقارنة ومباينة.

(٤) **بِلا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا**: بلا إجالة فكر أو نظر.

(٥) **وَلاَهَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا**: ولا اهتمام نفس يحصل فيه اضطراب وتردد.

(٦) **لَأَمَ**: قرن. **غَرَّزَ غَرائِزَهَا**: أودع فيها طبائعها. **أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا**: صورها بصورها المختلفة.

«الْحَمْدُ لله غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ[1]». [خ٤٥]

«الْحَمْدُ لله الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الأُمُوُرِ، ودَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلامُ الظُّهُورِ[2]، وامْتَنَعَ عَلَىٰ عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، ولا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلا شَيْءَ أَعْلَىٰ مِنْهُ، وقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلا اسْتِعْلاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، ولا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَىٰ تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، ولَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلامُ الْوُجُودِ عَلَىٰ إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ والْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً». [خ٤٩]

«الْحَمْدُ لله الَّذِي عَلا بِحَوْلِهِ، ودَنَا بِطَوْلِهِ[3]، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وفَضْلٍ، وكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وأَزْلٍ[4]، أَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً، وأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً، وأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ». [خ٨٣]

---

(١) **مَقْنُوطٍ**: ميئوس. **مُسْتَنْكَفٍ**: الاستنكاف: التعالي والاستكبار.

(٢) **بَطَنَ خَفِيَّاتِ الأُمُوُرِ**: أي السرائر، والمراد علم خفياتها من باطنها. **أَعْلامُ الظُّهُورِ**: الأدلة الظاهرة، ويعني بها سائر المخلوقات.

(٣) **عَلا بِحَوْلِهِ**: عزّ وارتفع بقوته المستعلية على كل قوّة. **دَنَا بِطَوْلِهِ**: قرب من خلقه بفضله وإحسانه.

(٤) **أَزْلٍ**: كرب وشدة.

«الْحَمْدُ لله الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وعَوَاقِبُ الأمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، ونَيِّرِ بُرْهَانِهِ، ونَوَامِي فَضْلِهِ وامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، ولِشُكْرِهِ أَدَاءً، وإِلَىٰ ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، ولِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً، ونَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ[1]، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ والْقَوْلِ، ونُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، ولاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً. لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً، ولَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً، ولَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ ولا زَمَانٌ، ولَمْ يَتَعَاوَرْهُ[2] زِيَادَةٌ ولا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ والْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ. فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّماوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلاَ عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ[3] وَلاَ مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْلاَ إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، وَلاَ مَسْكَناً لِلَائِكَتِهِ، وَلاَ مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ. جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاَماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلاَ اسْتَطَاعَتْ جَلاَبِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ[4] أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّماوَاتِ مِنْ تَلاَلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ. فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ، ولا

---

(١) **الطَّوْلِ**: الفضل والإنعام.

(٢) **يَتَعَاوَرْهُ**: يتداوله ويتبادل عليه.

(٣) **مُوَطَّدَاتٍ**: مثبّتات في مدارها. **مُتَلَكِّئَاتٍ**: متباطئات أو متوقفات.

(٤) **ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ**: شدة ظلمة الليل الحاجبة عن رؤية الأشياء الساترة لها. **الْحَنَادِسِ**: الليالي المظلمة.

لَيْلٍ سَاجٍ[١]، فِي بِقَاعِ الأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ، ولا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ[٢]، ومَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، ومَا تَلاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الأَنْوَاءِ، وانْهِطَالُ السَّمَاءِ[٣]، ويَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ ومَقَرَّهَا، ومَسْحَبَ الذَّرَّةِ ومَجَرَّهَا، ومَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، ومَا تَحْمِلُ الأُنْثَىٰ فِي بَطْنِهَا.

وَالْحَمْدُ لله الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ، لا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ، ولا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، ولا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، ولا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ[٤]، ولا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، ولا يُحَدُّ بِأَيْنٍ، ولا يُوصَفُ بِالأَزْوَاجِ، ولا يُخْلَقُ بِعِلاجٍ، ولا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، ولا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، الَّذِي كَلَّمَ مُوسَىٰ تَكْلِيماً، وأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً، بِلا جَوَارِحَ ولا أَدَوَاتٍ، ولا نُطْقٍ ولا لَهَوَاتٍ[٥]. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجُراتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا[٦] أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُوالْهَيْئَاتِ وَالْأَدوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ. فَلا إِلَهَ إِلا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلامٍ، وأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ». **[خ١٨٢]**

---

(١) **غَسَقِ دَاجٍ**: ليل شديد الظلمة. **سَاجٍ**: ساكن.

(٢) **يَفَاعِ**: التل والمرتفع من الأرض. **السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ**: الجبال المتصلة ببعضها.

(٣) **الأَنْوَاءِ**: جمع نوء وهو أحد منازل الشمس في الربيع، وفيها يسقط المطر. **انْهِطَالُ السَّمَاءِ**: نزول المطر.

(٤) **نَائِلٌ**: عطاء.

(٥) **لَهَوَاتٍ**: جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.

(٦) **مُرْجَحِنِّينَ**: مائلين لكثرتهم. **مُتَوَلِّهَةً**: حائرة. **أَنْ يَحُدُّوا**: أن يصفوه بحد وهيئة.

«مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، ولا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، ولا إِيَّاهُ عَنَىٰ مَنْ شَبَّهَهُ، ولا صَمَدَهُ[١] مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وتَوَهَّمَهُ، كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ، فَاعِلٌ لا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ[٢]، غَنِيٌّ لا بِاسْتِفَادَةٍ، لا تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ، ولا تَرْفِدُهُ[٣] الأَدَوَاتُ، سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، والْعَدَمَ وُجُودُهُ، والابْتِدَاءَ أَزَلُهُ[٤]، بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لا مَشْعَرَ لَهُ، وبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لا ضِدَّ لَهُ، وبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لا قَرِينَ لَهُ، ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، والْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، والْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، والْحُرُورَ بِالصَّرَدِ[٥]، مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا، لا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، ولا يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وإِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وتُشِيرُ الآلاتُ إِلَىٰ نَظَائِرِهَا، مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدْمَةَ، وحَمَتْهَا (قَدُ) الأَزَلِيَّةَ[٦]، وجَنَّبَتْهَا لَوْلا التَّكْمِلَةَ بِهَا، تَجَلَّىٰ صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ، ولا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ والْحَرَكَةُ، وكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، ويَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، ويَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ؟! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، ولَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، ولامْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ، ولَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ، ولالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ، وإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ

(١) **كَيَّفَهُ**: شبهه بمثل أو جعل له حدًّا محدوداً وهيئة موصوفة. **صَمَدَهُ**: قصده والتجأ إليه.
(٢) **جَوْلِ فِكْرَةٍ**: تفكير، إجالة فكر.
(٣) **لا تَرْفِدُهُ**: لا تعينه.
(٤) **أَزَلُهُ**: وجوده منذ القِدم.
(٥) **الْحُرُورَ**: الحر. **الصَّرَدِ**: البرد.
(٦) **قَدُ الأَزَلِيَّةَ**: حرف (قد) هي في حق الله تعالىٰ تفيد الأزل، وهو الوجود بلا بداية ولا نهاية.

الْمَصْنُوعِ فِيهِ، ولَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ، وخَرَجَ بِسُلْطَانِ الامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ، الَّذِي لا يَحُولُ ولا يَزُولُ، ولا يَجُوزُ عَلَيْهِ الأُفُولُ[1]، لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، ولَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأَبْنَاءِ، وَطَهُرَ عَنْ مُلامَسَةِ النِّسَاءِ، لا تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، ولا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، ولا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، ولا تَلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسَّهُ، ولا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، ولا يَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ، ولا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي والأَيَّامُ، ولا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ والظَّلامُ، ولا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ، ولا بِالْجَوَارِحِ والأَعْضَاءِ، ولا بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ، ولا بِالْغَيْرِيَّةِ والأَبْعَاضِ[2]، ولا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ ولا نِهَايَةٌ، ولا انْقِطَاعٌ ولا غَايَةٌ، ولا أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ[3]، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ، لَيْسَ فِي الأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، ولا عَنْهَا بِخَارِجٍ، يُخْبِرُ لا بِلِسَانٍ ولَهَوَاتٍ، ويَسْمَعُ لا بِخُرُوقٍ[4] وأَدَوَاتٍ، يَقُولُ ولا يَلْفِظُ، ويَحْفَظُ ولا يَتَحَفَّظُ، ويُرِيدُ ولا يُضْمِرُ، يُحِبُّ ويَرْضَىٰ مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، ويُبْغِضُ ويَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ، لا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، ولا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ، وإِنَّمَا كَلامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ ومَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً، ولَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً، لا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، ولا يَكُونُ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ فَصْلٌ، ولا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ؛ فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ والْمَصْنُوعُ، ويَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ

---

(١) **الأُفُولُ**: الغياب، والمراد الموت والفناء.

(٢) **الْغَيْرِيَّةِ**: المماثلة والمشابهة. **والأَبْعَاضِ**: أن يقال: إنه بعض من شيء، ولا هو بعض لشيء.

(٣) **تُقِلَّهُ**: تحمله أو ترفعه. **تُهْوِيَهُ**: تحطه أو تسقطه.

(٤) **لَهَوَاتٍ**: جمع لهاة، وهي اللحمة التي في سقف أقصىٰ الفم. **خُرُوقٍ**: جمع خرق، وهو الثقب.

والْبَدِيعُ، خَلَقَ الْخَلائِقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلا مِنْ غَيْرِهِ، ولَمْ يَسْتَعِنْ عَلَىٰ خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ، وأَرْسَاهَا عَلَىٰ غَيْرِ قَرَارٍ، وأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدِ والاعْوِجَاجِ، ومَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ[1] والانْفِرَاجِ، أَرْسَىٰ أَوْتَادَهَا، وضَرَبَ أَسْدَادَهَا، واسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وخَدَّ أَوْدِيَتَهَا[2]، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، ولا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ، هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وعَظَمَتِهِ، وهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ ومَعْرِفَتِهِ، والْعَالِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلالِهِ وعِزَّتِهِ، لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، ولا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، ولا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، ولا يَحْتَاجُ إِلَىٰ ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ، خَضَعَتِ الأَشْيَاءُ لَهُ، وذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ؛ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وضَرِّهِ، ولا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، ولا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ، هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا، ولَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا واخْتِرَاعِهَا، وكَيْفَ؟ ولَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا، مِنْ طَيْرِهَا، وبَهَائِمِهَا، ومَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وسَائِمِهَا[3]، وأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وأَجْنَاسِهَا، ومُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وأَكْيَاسِهَا[4]؛ عَلَىٰ إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَىٰ إِحْدَاثِهَا، ولا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ إِيجَادِهَا، ولَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وتَاهَتْ،

---

(١) **الأَوَدِ**: الاعوجاج. **التَّهَافُتِ**: التساقط.

(٢) **أَسْدَادَهَا**: جمع سدّ، والمراد بها الجبال. **اسْتَفَاضَ عُيُونَهَا**: جعل مياهها فائضة. **خَدَّ أَوْدِيَتَهَا**: شق وديانها.

(٣) **مُرَاحِهَا**: رجوعها إلى مأواها. **سَائِمِهَا**: ما كان فيها في المرعى.

(٤) **أَسْنَاخِهَا**: أصولها. **أَجْنَاسِهَا**: أنواعها. **مُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وأَكْيَاسِهَا**: الجاهلة منها والعاقلة.

وعَجَزَتْ قُوَاهَا وتَنَاهَتْ، ورَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً[١]، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا. وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا، وَحْدَهُ لا شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلا وَقْتٍ ولا مَكَانٍ، ولا حِينٍ ولا زَمَانٍ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الآجَالُ والأَوْقَاتُ، وزَالَتِ السِّنُونَ والسَّاعَاتُ، فَلا شَيْءَ إِلا اللهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ، الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأُمُورِ، بِلا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا، ولَوْ قَدَرَتْ عَلَىٰ الامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا، لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، ولَمْ يَؤُدْهُ[٢] مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وبَرَأَهُ، ولَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، ولا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ ونُقْصَانٍ، ولا لِلاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَىٰ نِدٍّ مُكَاثِرٍ، ولا لِلاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ[٣]، ولا لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، ولا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ، ولا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا، ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لا لِسَأْمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وتَدْبِيرِهَا، ولا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، ولا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ، لا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَىٰ سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، ولَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، ولا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، ولا لانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَىٰ حَالِ اسْتِئْنَاسٍ، ولا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وعَمًى إِلَىٰ حَالِ عِلْمٍ والْتِمَاسٍ، ولا مِنْ فَقْرٍ

(١) **خَاسِئَةً**: ذليلة. **حَسِيرَةً**: متحسرة متحيرة.

(٢) **لَمْ يَتَكَاءَدْهُ**: لم يشق عليه. **لَمْ يَؤُدْهُ**: لم يثقله.

(٣) **نِدٍّ**: مِثْل. **مُكَاثِرٍ**: مغالب بالكثرة والقوة. **مُثَاوِرٍ**: مواثب، مهاجم.

وحَاجَةٍ إِلَىٰ غِنًىٰ وكَثْرَةٍ، ولا مِنْ ذُلٍّ وضَعَةٍ إِلَىٰ عِزٍّ وقُدْرَةٍ». [خ١٨٦]

«الْحَمْدُ لله الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، والْبَاطِنِ بِجَلالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلا اكْتِسَابٍ ولا ازْدِيَادٍ، ولا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الأُمُورِ؛ بِلا رَوِيَّةٍ ولا ضَمِيرٍ، الَّذِي لا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ، ولا يَسْتَضِيءُ بِالأَنْوَارِ، ولا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ، ولا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالإِبْصَارِ، ولا عِلْمُهُ بِالإِخْبَارِ». [خ٢١٣]

«الْحَمْدُ لله الدَّالِّ عَلَىٰ وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لا شَبَهَ لَهُ، لا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ[١]، ولا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، لافْتِرَاقِ الصَّانِعِ والْمَصْنُوعِ، والْحَادِّ والْمَحْدُودِ، والرَّبِّ والْمَرْبُوبِ، الأَحَدِ بِلا تَأْوِيلِ عَدَدٍ، والْخَالِقِ لا بِمَعْنَىٰ حَرَكَةٍ ونَصَبٍ[٢]، والسَّمِيعِ لا بِأَدَاةٍ، والْبَصِيرِ لا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، والشَّاهِدِ لا بِمُمَاسَّةٍ، والْبَائِنِ لا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، والظَّاهِرِ لا بِرُؤْيَةٍ، والْبَاطِنِ لا بِلَطَافَةٍ، بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، والْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وبَانَتِ[٣] الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، والرُّجُوعِ إِلَيْهِ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ[٤]، ومَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، ومَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، ومَنْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، ومَنْ قَالَ: أَيْنَ؟ فَقَدْ حَيَّزَهُ[٥]، عَالِمٌ إِذْ لا مَعْلُومٌ، ورَبٌّ إِذْ لا مَرْبُوبٌ، وقَادِرٌ إِذْ لا مَقْدُورٌ». [خ١٥٢]

---

(١) **لا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ**: لا تدرك كنهه العقول ولا تصل إليه الحواس.

(٢) **نَصَبٍ**: تعب.

(٣) **الْبَائِنِ**: البعيد عن الأشياء. **بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ**: بعُد عنها. **بَانَتِ**: تميزت واختلفت.

(٤) **حَدَّهُ**: جعل له حدًّا ومقداراً وهيئة، بأن صيّره ذا غاية ونهاية، وشكل ومقدار، وانحصار وتعدد.

(٥) **حَيَّزَهُ**: حدده بمكان وجهة.

«أَمْرُهُ قَضَاءٌ وحِكْمَةٌ، ورِضَاهُ أَمَانٌ ورَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، ويَعْفُو بِحِلْمٍ» [خ١٦٠]

«اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مَا تَأْخُذُ وتُعْطِي، وعَلَىٰ مَا تُعَافِي وتَبْتَلِي، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَىٰ الْحَمْدِ لَكَ، وأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلأ مَا خَلَقْتَ، ويَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لا يُحْجَبُ عَنْكَ، ولا يُقْصَرُ دُونَكَ، حَمْداً لا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، ولا يَفْنَىٰ مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ؛ إِلا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ[1] ولا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، ولَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الأَبْصَارَ، وأَحْصَيْتَ الأَعْمَالَ، وأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي والأَقْدَامِ، ومَا الَّذِي نَرَىٰ مِنْ خَلْقِكَ، ونَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، ونَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، ومَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ؛ أَعْظَمُ، فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وأَعْمَلَ فِكْرَهُ؛ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَىٰ مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وسَمْعُهُ وَالِهاً[2]، وفِكْرُهُ حَائِراً». [خ١٦٠]

«الْحَمْدُ لله الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وجَعَلَهُمَا حِمًىٰ[3] وحَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ، واصْطَفَاهُمَا لِجَلالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ». [خ١٩٢]

«أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، واسْتِسْلاماً لِعِزَّتِهِ، واسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وأَسْتَعِينُهُ

---

(١) **سِنَةٌ**: السِنَةُ: أوائل النوم وهو الذي يسمى النّعاس.

(٢) **مَوْرِ الْمَاءِ**: الموج المتلاطم. **حَسِيراً**: متعباً. **وَالِهاً**: مندهشاً.

(٣) **حِمًىٰ**: مكاناً محظوراً لا يقرب.

فَاقَةً إِلَىٰ كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، ولا يَئِلُ[١] مَنْ عَادَاهُ، ولا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وأَفْضَلُ مَا خُزِنَ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا[٢]، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، ونَدَّخِرُهَا لأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الإِيمَانِ، وفَاتِحَةُ الإِحْسَانِ، ومَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، ومَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ[٣]». [خ٢]

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً، فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، ويَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً، كُلُّ مُسَمًّىٰ بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ، وكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ، وكُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ، وكُلُّ عَالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وكُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ ويَعْجَزُ، وكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الأَصْوَاتِ، ويُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، ويَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا، وكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَىٰ عَنْ خَفِيِّ الأَلْوَانِ ولَطِيفِ الأَجْسَامِ، وكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ بَاطِنٌ، وكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، ولا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، ولا اسْتِعَانَةٍ عَلَىٰ نِدٍّ مُثَاوِرٍ، ولا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ، ولا ضِدٍّ مُنَافِرٍ[٤]، ولَكِنْ خَلائِقُ مَرْبُوبُونَ، وعِبَادٌ دَاخِرُونَ، لَمْ يَحْلُلْ فِي الأَشْيَاءِ فَيُقَالَ: هُوَ كَائِنٌ، ولَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ، لَمْ يَؤُدْهُ[٥] خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ، ولا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ، ولا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، ولا

---

(١) **لا يَئِلُ**: لا ينجو .

(٢) **مُصَاصُهَا**: خلاصتها.

(٣) **مَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ**: مطردة للشيطان مبعدة له.

(٤) **نِدٌّ مُثَاوِرٍ**: مثل أو نظير مخاصم. **مُنَافِرٍ**: مغالب.

(٥) **يَنْأَ عَنْهَا**: ينفصل عنها. **بَائِنٌ**: منفصل. **يَؤُدْهُ**: يثقله أو يتعبه.

وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَىٰ وقَدَّرَ، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ، وعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وأَمْرٌ مُبْرَمٌ[١]، الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ، الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ». [خ٦٥]

«الْحَمْدُ لله الَّذِي لا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، ولا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، ولا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، ولا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَىٰ قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ وُجُودِهِ، وبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لا شَبَهَ لَهُ، الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ، وبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ، وبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَىٰ دَوَامِهِ، وَاحِدٌ لا بِعَدَدٍ، ودَائِمٌ لا بِأَمَدٍ، وقَائِمٌ لا بِعَمَدٍ، تَتَلَقَّاهُ الأَذْهَانُ لا بِمُشَاعَرَةٍ، وتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لا بِمُحَاضَرَةٍ[٢]، لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّىٰ لَهَا بِهَا، وبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وإِلَيْهَا حَاكَمَهَا، لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، ولا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً، بَلْ كَبُرَ شَأْناً وعَظُمَ سُلْطَاناً». [خ١٨٥]

«الْحَمْدُ لله الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، والْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[٣]، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً، إِذْ لا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، ولا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ، ولا لَيْلٌ دَاجٍ[٤]، ولا بَحْرٌ سَاجٍ، ولا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، ولا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ، ولا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ[٥]، ولا

---

(١) **مُبْرَمٌ**: محتوم.

(٢) **لا بِمُشَاعَرَةٍ**: لا بواسطة شعور الحواس. **لا بِمُحَاضَرَةٍ**: من غير أن تكون حاضرة له أو يكون حاضراً لها.

(٣) **رَوِيَّةٍ**: فكر وتأمل.

(٤) **أَبْرَاجٍ**: نجوم. **إِرْتَاجٍ**: جمع رتج، وهو الباب العظيم. **دَاجٍ**: مظلم.

(٥) **سَاجٍ**: ساكن. **فِجَاجٍ**: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين. **مِهَادٍ**: فراش.

خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ، ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ ووَارِثُهُ، وإِلَهُ الْخَلْقِ ورَازِقُهُ، والشَّمْسُ والْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، ويُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وأَحْصَىٰ آثَارَهُمْ وأَعْمَالَهُمْ، وعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ، وخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، ومَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، ومُسْتَقَرَّهُمْ ومُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الأَرْحَامِ والظُّهُورِ، إِلَىٰ أَنْ تَنَاهَىٰ بِهِمُ الْغَايَاتُ، هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، واتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ، ومُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ، ومُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ[1]، وغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، ومَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، ومَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، ومَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ». **[خ٩٠]**

«الْحَمْدُ لله خَالِقِ الْعِبَادِ، وسَاطِحِ الْمِهَادِ، ومُسِيلِ الْوِهَادِ، ومُخْصِبِ النِّجَادِ[2]، لَيْسَ لأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، ولا لأَزَلِيَّتِهِ[3] انْقِضَاءٌ، هُوَ الأَوَّلُ ولَمْ يَزَلْ، والْبَاقِي بِلا أَجَلٍ، خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، ووَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ، حَدَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا، لا تُقَدِّرُهُ الأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ والْحَرَكَاتِ، ولا بِالْجَوَارِحِ والأَدَوَاتِ، لا يُقَالُ لَهُ: مَتَىٰ؟ ولا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّىٰ، الظَّاهِرُ لا يُقَالُ: مِمَّ؟ والْبَاطِنُ لا يُقَالُ: فِيمَ؟ لا شَبَحٌ فَيُتَقَصَّىٰ، ولا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَىٰ، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، ولَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، ولا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، ولا كُرُورُ لَفْظَةٍ،

---

(١) **عَازَّهُ**: غالبه. **نَاوَاهُ**: عاداه.

(٢) **المِهَادِ**: الأرض. **الْوِهَادِ**: ما انخفض من الأرض. **النِّجَادِ**: ما ارتفع من الأرض.

(٣) **أَزَلِيَّتِهِ**: بقاؤه.

ولا ازْدِلافُ رَبْوَةٍ[١]، ولا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ؛ فِي لَيْلٍ دَاجٍ، ولا غَسَقٍ سَاجٍ[٢]، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الأُفُولِ والْكُرُورِ، وتَقَلُّبِ الأَزْمِنَةِ والدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ ومُدَّةٍ، وكُلِّ إِحْصَاءٍ وعِدَّةٍ، تَعَالَىٰ عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الأَقْدَارِ، ونِهَايَاتِ الأَقْطَارِ، وتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ[٣]، وتَمَكُّنِ الأَمَاكِنِ، فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وإِلَىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ. لَمْ يَخْلُقِ الأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، ولا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وصَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، ولا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ، عِلْمُهُ بِالأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَىٰ». **[١٦٣]**

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ[٤]، ورَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَىٰ بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ، هُوَ اللهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وأَبْيَنُ مِمَّا تَرَىٰ الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، ولَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، ولا مَشُورَةِ مُشِيرٍ، ولا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ فَأَجَابَ ولَمْ يُدَافِعْ، وانْقَادَ ولَمْ يُنَازِعْ». **[خ١٥٥]**

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يَفِرُهُ الْمَنْعُ والْجُمُودُ، ولا يُكْدِيهِ[٥] الإِعْطَاءُ والْجُودُ، إِذْ كُلُّ

---

(١) **شُخُوصُ لَحْظَةٍ**: امتداد البصر دون حركة الجفن. **ازْدِلافُ رَبْوَةٍ**: قربها من النظر.

(٢) **دَاجٍ**: مظلم. **غَسَقٍ سَاجٍ**: ليل ساكن.

(٣) **تَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ**: الرسوخ فيها واتخاذها سكناً.

(٤) **انْحَسَرَتِ الأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ**: انقطعت أوصاف الواصفين عن وصف ذاته.

(٥) **يَفِرُهُ**: يزيد في ملكه. **يُكْدِيهِ**: يفقره.

مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاهُ، وهُوَالْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وعَوَائِدِ الْمَزِيدِ والْقِسَمِ، عِيَالُهُ الْخَلائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، ونَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، والطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، ولَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ، الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، والآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، والرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ، ولا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الانْتِقَالُ، ولَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ؛ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ والْعِقْيَانِ[1]، ونُثَارَةِ الدُّرِّ وحَصِيدِ الْمَرْجَانِ؛ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، ولا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، ولَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الأَنْعَامِ مَا لا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الأَنَامِ، لأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لا يَغِيضُهُ[2] سُؤَالُ السَّائِلِينَ، ولا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ». **[خ٩١]**

«يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، ومَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، واخْتِلافَ النِّينَانِ[3] فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وتَلاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ». **[خ١٩٨]**

«كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، ومَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، ومَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، ومَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، ومَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ، لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، ولا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، ولا

---

(١) **فِلِزِّ اللُّجَيْنِ**: الفضة الخالصة. **الْعِقْيَانِ**: الذهب الخالص الخالي من الخلط والغش.

(٢) **يَغِيضُهُ**: ينقصه.

(٣) **عَجِيجَ**: الأصوات العالية. **الْفَلَوَاتِ**: جمع فلاة وهي الأرض الخالية. **النِّينَانِ**: جمع نون، وهو الحوت.

يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، ولا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، ولا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، ولا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، ولا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، ولا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلانِيَةٌ، وكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ، أَنْتَ الأَبَدُ فَلا أَمَدَ لَكَ، وأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلا مَحِيصَ عَنْكَ، وأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلا مَنْجَى مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، ومَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، ومَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، ومَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، ومَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، ومَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الآخِرَةِ». **[خ١٠٩]**

« هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ[١] لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ[٢] الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمَ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ[٣]، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ[٤]، وَلاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ[٥] خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ

---

(١) **ارْتَمَتْ الْأَوْهَامُ**: ذهبت سريعة أمام إدراك قدرته.

(٢) **تَوَلَّهَتِ**: تعلقت به.

(٣) **سُدَفِ الْغُيُوبِ**: السدف: قطع الليل المظلمة. **جُبِهَتْ**: ضربت بوجهها، والمراد رجعت خائبة.

(٤) **جَوْرِ الْإِعْتِسَافِ**: العدول عن جادة الطريق. **كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ**: حقيقته، وغاية علم ذاته.

(٥) **الرَّوِيَّاتِ**: جمع روية وهي الفكر.

جَلاَلِ عِزَّتِهِ. الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ، وَلاَ مِقْدَارٍ احْتَذَىٰ[1] عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِهِ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ، وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَىٰ الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ. فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاَحُمِ حِقَاقِ[2] مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَىٰ مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ[3] بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَىٰ الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَىٰ بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ[4]، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً، وَلاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً[5]». [خ٩١]

---

(١) **احْتَذَىٰ**: حاذاه وحاكاه.

(٢) **حِقَاقِ**: مفردها حقة، وهي رأس العظم.

(٣) **نَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ**: أعطوك صفة المخلوقين وشبهوك بهم.

(٤) **عَدَلَ بِكَ**: سواك بغيرك.

(٥) **مُكَيَّفاً**: ذا كيفية معلومة. **مَحْدُوداً مُصَرَّفاً**: ذا حد محدود تصرفك العقول بأفهامها في حدودك.

«قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَىٰ غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟ الْمُنْشِىءُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلاَ قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلاَ تَجْرِبَة أَفَادَهَا[1] مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَىٰ ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلَىٰ دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِىءِ، وَلاَ أَنَاةُ الْمُتَلَكِّىءِ[2]، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، وَنَهَجَ حُدُودَهَا[3]، وَلاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا[4]، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَات فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ، وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ، بَدَايَا[5] خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَىٰ مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا!». [خ٩١]

«الْحَمْدُ لله الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، والْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ[6]، خَلَقَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، واسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وبَعَثَ إِلَىٰ الْجِنِّ والإِنْسِ رُسُلَهُ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، ولِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، ولِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، ولِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا، ولِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ

(١) **قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ**: ذكاء طبيعي متوقد. **أَفَادَهَا**: استفادها من غيره.
(٢) **رَيْثُ الْمُبْطِىءِ**: تأني الماشي ببطء. **أَنَاةُ الْمُتَلَكِّىءِ**: تأني المتثاقل المخترع للعلل والأعذار.
(٣) **أَوَدَهَا**: اعوجاجها. **نَهَجَ حُدُودَهَا**: أوضح ما تحتاج إليه في ابتدائها ومنتهاها وما يصلح عليه أمرها.
(٤) **لاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا**: جمع بين الأمور المختلفة في الصفات والأشكال.
(٥) **بَدَايَا**: جمع بديء وهو المصنوع.
(٦) **مَنْصَبَةٍ**: تعب ومشقة.

مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وأَسْقَامِهَا، وحَلالِهَا وحَرَامِهَا، ومَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ والْعُصَاةِ، مِنْ جَنَّةٍ ونَارٍ، وكَرَامَةٍ وهَوَانٍ، أَحْمَدُهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ،ولِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، ولِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً». [خ١٨٣]

«الْحَمْدُ للهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، والنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَىٰ آلائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَىٰ بَلائِهِ، ونَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَىٰ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، ونَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ، ونُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، ووَقَفَ عَلَىٰ الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَىٰ إِخْلاصُهُ الشِّرْكَ، ويَقِينُهُ الشَّكَّ، ونَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، ولا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ». [خ١١٤]

«وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الأَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ، والآخِرُ لا غَايَةَ لَهُ، لا تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلَىٰ صِفَةٍ، ولا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَىٰ كَيْفِيَّةٍ، ولا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ والتَّبْعِيضُ، ولا تُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ والْقُلُوبُ». [خ٨٥]

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وجَلالِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، ورَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ[1]». [خ١٩٥]

«نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا أَخَذَ وأَعْطَىٰ، وعَلَىٰ مَا أَبْلَىٰ وابْتَلَىٰ، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، والْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، ومَا تَخُونُ الْعُيُونُ، ونَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ غَيْرُهُ

(١) **مُقَلَ**: جمع مُقلة، وهي العين. **رَدَعَ**: كفّ. **هَمَاهِمِ النُّفُوسِ**: عزائمها في طلب العلم.

وأَنَّ مُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ نَجِيبُهُ[١] وبَعِيثُهُ، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإعْلانَ، والْقَلْبُ اللِّسَانَ». [خ١٣٢]

«الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، والْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، ونَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ رِعَايَةِ حُقُوقِهِ». [خ١٠٠]

«وأَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ تَوَكُّلَ الإنَابَةِ إِلَيْهِ، وأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ». [خ١٦١]

«الْحَمْدُ للهِ الأوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، والآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، وبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لا أَوَّلَ لَهُ، وبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لا آخِرَ لَهُ». [خ١٠١]

«وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا والآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ والأرَضُونَ مَقَالِيدَهَا، وسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ والآصَالِ الأشْجَارُ النَّاضِرَةُ[٢]، وقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا[٣] النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ». [خ١٣٣]

«قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وخَبَرَ الضَّمَائِرَ، لَهُ الإحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، والْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، والْقُوَّةُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ». [خ٨٦]

«فتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، ولا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ، الأوَّلُ الَّذِي لا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ، ولا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ». [خ٩٤]

---

(١) **نَجِيبُهُ**: من اصطفاه واختاره.

(٢) **أَزِمَّتَهَا**: جمع زمام، وهو ما تقاد به الراحلة. **النَّاضِرَةُ**: الجميلة ذات المنظر الحسن.

(٣) **قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا**: القدْح هو: ظهور النار من العيدان، والقضبان: جمع قضيب وهو الشمراخ.

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذِعلبٌ اليماني فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أَفأَعْبُدُ مَا لا أَرَىٰ ؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: «لا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، ولَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلابِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لا بِرَوِيَّةٍ[1]، مُرِيدٌ لا بِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ[2]، بَصِيرٌ لا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وتَجِبُ الْقُلُوبُ[3] مِنْ مَخَافَتِهِ». [خ١٧٩]

«لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، ولا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، ولا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، ولا يَصِفُهُ لِسَانٌ، لا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، ولا نُجُومِ السَّمَاءِ، ولا سَوَافِي الرِّيحِ[4] فِي الْهَوَاءِ، ولا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَىٰ الصَّفَا، ولا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الأَوْرَاقِ، وخَفِيَّ طَرْفِ الأَحْدَاقِ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ[5]، ولا مَشْكُوكٍ فِيهِ، ولا مَكْفُورٍ دِينُهُ، ولا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وخَلَصَ يَقِينُهُ، وثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ». [خ١٧٨]

«وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ،

---

(١) **مُبَايِنٍ**: مفارق. **رَوِيَّةٍ**: تفكر.

(٢) **الْجَفَاءِ**: الغلظة والخشونة.

(٣) **تَعْنُو الْوُجُوهُ**: تذل وتخضع. **تَجِبُ الْقُلُوبُ**: تخفق وتضطرب.

(٤) **لا يَعْزُبُ**: لا يغيب. **سَوَافِي الرِّيحِ**: ما تحمله الريح من التراب وأوراق الشجر وغيرها.

(٥) **غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ**: لا يساوىٰ بمثيل ولا عديل.

وأَحْصَىٰ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ واسْتَنْجِحُوهُ، واطْلُبُوا إِلَيْهِ واسْتَمْنِحُوهُ[١]، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، ولا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وفِي كُلِّ حِينٍ وأَوَانٍ، ومَعَ كُلِّ إِنْسٍ وجَانٍّ، لا يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ، ولا يَنْقُصُهُ الْجِبَاءُ[٢]، ولا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، ولا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ[٣]، ولا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، ولا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، ولا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، ولا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، ولا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، ولا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ[٤] عَنِ الظُّهُورِ، ولا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ، قَرُبَ فَنَأَىٰ، وعَلا فَدَنَا[٥]، وظَهَرَ فَبَطَنَ، وبَطَنَ فَعَلَنَ، ودَانَ ولَمْ يُدَنْ[٦]، لَمْ يَذْرَأِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ، ولا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلالٍ[٧]». **[خ١٩٥]**

«الْحَمْدُ للهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ، والْغَالِبِ جُنْدُهُ، والْمُتَعَالِي جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ التُّؤَامِ، وآلائِهِ الْعِظَامِ[٨]، الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَىٰ، وعَلِمَ مَا يَمْضِي ومَا مَضَىٰ، مُبْتَدِعِ الْخَلائِقِ بِعِلْمِهِ، ومُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلا اقْتِدَاءٍ ولا تَعْلِيمٍ، ولا احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، ولا إِصَابَةِ خَطَأٍ، ولا حَضْرَةِ مَلإٍ[٩]». **[خ١٩١]**

---

(١) **اسْتَفْتِحُوهُ**: اسألوه النصر. **اسْتَنْجِحُوهُ**: اطلبوا منه النجاح في أعمالكم. **اسْتَمْنِحُوهُ**: التمسوا منه العطاء.

(٢) **يَثْلِمُهُ**: ينقصه. **الْجِبَاءُ**: العطية.

(٣) **يَسْتَنْفِدُهُ**: يطلب نفاد ما عنده. **لا يَسْتَقْصِيهِ**: لا يطلب نقصانه وذهاب ما عنده. **نَائِلٌ**: مستعطي.

(٤) **تُولِهُهُ**: تذهله وتلهيه . **لا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ**: لا يستره عدم ظهوره.

(٥) **نَأَىٰ**: ابتعد. **دَنَا**: قرب.

(٦) **بَطَنَ**: خفي عن عيون الناظرين. **دَانَ ولَمْ يُدَنْ**: حاسب الخلق وجازاهم ولم يحاسب أو يُسأل عن فعله.

(٧) **يَذْرَأْ**: يخلق. **كَلالٍ**: تعب أو ملل.

(٨) **الْفَاشِي**: المنتشر، الظاهر. **جَدُّهُ**: مجده العظيم. **التُّؤَامِ**: المتواصلة. **آلائِهِ الْعِظَامِ**: نعمه العظيمة.

(٩) **احْتِذَاءٍ**: محاكاة. **مَلإٍ**: جماعة.

«نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وذَادَ عَنْهُ[١] مِنَ الْمَعْصِيَةِ، ونَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً». [خ١٩٤]

«وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وإِيقَانٍ، وإِخْلاصٍ وإِذْعَانٍ». [خ١٩٥]

«وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلانَ، والْقَلْبُ اللِّسَانَ». [خ١٠١]

«وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وحَكَمٌ فَصَلَ». [خ٢١٤]

تأمّل في عجائب المخلوقات

في بدء خلق العالم:

«أَنْشَأَ الخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا[٢]، وَلاَ تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلاَ حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا[٣]. أَحَالَ الْأَشيَاءَ لأَوْقَاتِهَا، وَلأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّزَ غَرائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا[٤]، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِها وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِها وَأَحْنَائِهَا. ثُمَّ أَنْشَأَ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الهَوَاءِ، فَأَجْرَي فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً

(١) **ذَادَ عَنْهُ**: حماه وطرد عنه ما يؤذيه.

(٢) **بِلا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا**: بلا إجالة فكر أو نظر.

(٣) **وَلاَهَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا**: ولا اهتمام نفس يحصل فيه اضطراب وتردد.

(٤) **لأَمَ**: قرن. **غَرَّزَ غَرائِزَهَا**: أودع فيها طبائعها. **أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا**: صورها بصورها المختلفة.

زَخَّارُهُ[١]، حَمَلَهُ عَلَىٰ مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَىٰ شَدِّهِ، وَقَرنَهَا إِلَىٰ حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِها فَتِيقٌ، وَالمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ[٢]. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا[٣]، وَأَعْصَفَ مَجْرَاها، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا، فَأَمَرَها بِتَصْفِيقِ المَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ البِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ[٤]، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَىٰ آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَىٰ مَائِرِهِ، حَتَّىٰ عَبَّ عُبَابُهُ[٥]، وَرَمَىٰ بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ[٦]، فَسَوَّىٰ مِنْهُ سَبْعَ سَمواتٍ، جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلا دِسَارٍ[٧] يَنْظِمُها. ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ، وَضِياءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَىٰ فِيها سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً؛ فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ[٨]». [خ١]

في عجيب خلق الكون:

«وَكَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ

(١) **فَتْقَ**: شق. **سَكَائِكَ الهَوَاءِ**: طرقه، فُرجه. **تَيَّارُهُ**: موجه. **زَخَّارُهُ**: الشديد الامتداد والارتفاع.
(٢) **الزَّعْزَعِ**: الريح الشديدة المحركة لكل ثابت. **فَتِيقٌ**: مفتوق. **دَفِيقٌ**: متدفّق.
(٣) **اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا**: جعل هبوبها عقيماً أي لا تلقح سحاباً ولا شجراً. **مُرَبَّهَا**: الملازم لها المجتمع إليها.
(٤) **تَصْفِيقِ المَاءِ**: تحريكه. **الزَّخَّارِ**: الكثير المتلاطم. **مَخَضَتْهُ**: حركته بشدة **السِّقَاءِ**: وعاء اللبن.
(٥) **سَاجِيَهُ**: ساكنه. **مَائِرِهِ**: الذي يذهب ويجيء. **عَبَّ عُبَابُهُ**: كثر ماؤه العظيم المتدفق .
(٦)**رُكَامُهُ**: المتراكم بعضه على بعض. **مُنْفَتِقٍ**: مشقوق، منفصل. **مُنْفَهِقٍ**: مفتوح واسع.
(٧) **مَكْفُوفاً**: ممنوعاً عن الحركة والهبوط إلى أسفل لثقله. **دِسَارٍ**: مسامير أو خيوط تربط به السفينة.
(٨) **مُسْتَطِيراً**: منتشر الضياء، والمراد الشمس. **رَقِيمٍ مَائِرٍ**: كوكب دائر.

ارْتِتَاقِهَا[١]، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَىٰ حَدِّهِ. وَأَرْسَىٰ أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ، وَالْقَمْقَامُ[٢] الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ جَلاَمِيدَهَا، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا[٣]، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا[٤]، فَمَضَتْ رُؤُسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا، وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا[٥]، فَأَشْهَقَ قِلاَلَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً[٦]، فَسَكَنَتْ عَلَىٰ حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ[٧] بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لاَ يَجْرِي، وَقَائِمٍ لاَ يَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ[٨]، ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ﴾». [خ٢١١]

في خلق السماء:

«قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ

---

(١) **الْمُتَقَاصِفِ**: المتلاطم. **فَطَرَ**: خلق. **أَطْبَاقاً**: طبقات مختلفة. **فَفَتَقَهَا**: شقّها. **ارْتِتَاقِهَا**: تلاؤمها.

(٢) **الْأَخْضَرُ**: يعني به البحر. **الْمُثْعَنْجِرُ**: الكثير المتدفق. **الْقَمْقَامُ**: البحر المحيط.

(٣) **جَبَلَ**: فطر. **جَلاَمِيدَهَا**: ضخورها. **نُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا**: ارتفاع تلالها وجبالها.

(٤) **أَرْسَاهَا**: أقرّها. **مَرَاسِيهَا**: مواضعها. **قَرَارَاتِهَا**: ما استقرت فيه.

(٥) **أَنْهَدَ**: رفع. **أَسَاخَ قَوَاعِدَهَا**: جعلها غائصة في الأرض. **أَقْطَارِهَا**: جوانبها. **أَنْصَابِهَا**: نُصبها المرتفعة.

(٦) **أَشْهَقَ قِلاَلَهَا**: جعل جبالها عالية. **أَنْشَازَهَا**: متونها المرتفعة. **أَرَّزَهَا**: ثبّتها. **أَوْتَاداً**: مثبّتات لها.

(٧) **تَمِيدَ**: تضطرب وتتزلزل. **تَسِيخَ**: تغوص في الهواء.

(٨) **تُكَرْكِرُهُ**: ترده من جانب إلى جانب. **تَمْخُضُهُ**: تحركه. **الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ**: السحاب التي تسكب الماء.

حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلىٰ غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟ الْمُنْشِىءُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلاَ قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلاَ تَجْرِبَة أَفَادَهَا[1] مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَىٰ ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلىٰ دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِىءِ، وَلاَ أَنَاةُ الْمُتَلَكِّىءِ، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، وَنَهَجَ حُدُودَهَا، وَلاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[2]، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَات فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ، وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ، بَدَايَا خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَىٰ مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا[3]! وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، وَلاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا[4]، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ؛ حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا[5]، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ مُبِينٌ، فَالْتَحَمَتْ عُرَىٰ أَشْرَاجِهَا[6]، وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا[7]، وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ

---

(١) **رَوِيَّةٍ**: تأمل وتفكر. **آلَ إِلَيْهَا**: رجع إليها. **غَرِيزَةٍ**: طبيعة ومزاج. **أَفَادَهَا**: استفادها من غيره.

(٢) **أَوَدَهَا**: اعوجاجها. **نَهَجَ**: عيّن ورسم. **قَرَائِنِهَا**: ما اقترن بها وهي النفس، والمراد أنه تعالى قرن بها ما تحتاج إليه من الأسباب ووصلها بها .

(٣) **الْغَرَائِزِ**: الطبائع. **بَدَايَا**: مبتدأة، أي مصنوعة. **فَطَرَهَا**: خلقها. **ابْتَدَعَهَا**: أوجدها على غير مثال.

(٤) **رَهَوَاتِ فُرَجِهَا**: أماكنها الخالية المنخفضة. **لاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا**: ألصق شقوقها المتصدعة المنفرجة.

(٥) **وَشَّجَ**: ربط، شبّك. **أَزْوَاجِهَا**: أمثالها من الأجرام الأخرى. **حُزُونَةَ**: صعوبة. **مِعْرَاجِهَا**: صعودها.

(٦) **عُرَىٰ**: جمع عروة وهي العُقدة التي تجعل في الحبل. **أَشْرَاجِهَا**: جمع شرْج وهو مقبض الكوز أو الدلو.

(٧) **فَتَقَ**: شقّ. **الْإِرْتِتَاقِ**: الالتصاق. **صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا**: أبوابها الفارغة.

الثَّوَاقِبِ عَلَىٰ نِقَابِهَا[١]، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ[٢]، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا[٣]، وَقَدَّرَ مَسِيرَهُما فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ والْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا[٤]، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، وَرَمَىٰ مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاها عَلَىٰ أَذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا». [خ٩١]

خلق الملائكة:

«ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَواتِ العُلاَ، فَمَلاَهُنَّ أَطْواراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ: مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ[٥]، وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ، لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ العُيُونِ، وَلاَ سَهْوُ العُقُولِ، وَلاَ فَتْرَةُ الأَبْدَانِ، ولاَ غَفْلَةُ النِّسْيَانِ. وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وأَلسِنَةٌ إِلَىٰ رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ. وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ[٦] لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ. وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَىٰ

---

(١) **رَصَداً**: حرساً. **الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ**: النجوم شديدة الضوء. **نِقَابِهَا**: طرقها، أو ثقوبها. والمعنى: جعل على طرق السماء أو ثقابها حراسة لها عن استراق السمع من جهة الشياطين.

(٢) **تَمُورَ**: تتحرّك وتضطرب. **خَرْقِ الْهَوَاءِ**: الفضاء المثقوب. **بِأَيْدِهِ**: بقدرته وقوّته.

(٣) **مَمْحُوَّةً**: ينمحي ضوؤها في بعض الليل أو كله. **مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا**: ينتقلان في سيرهما من وضع إلى آخر.

(٤) **فَلَكَهَا**: قمرها. **نَاطَ بِهَا زِيْنَتَهَا**: علق بها ما يزينها، وهي النجوم. **دَرَارِيِّهَا**: كواكبها ونجومها المضيئة.

(٥) **فَتَقَ**: شقّ. **أَطْواراً**: أصنافاً مختلفة. **لاَ يَتَزَايَلُونَ**: لا يتفارقون، أو لا يتمايز بعضهم عن بعض.

(٦) **السَّدَنَةُ**: جمع سادن، وهو الخادم.

أَقْدَامُهُمْ، وَالمَارِقَةُ مِنَ السَّماءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، والخَارجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ[1] تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مِنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بالتَّصْوِيرِ، وَلاَ يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلاَ يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلاَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ». [خ١]

«ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَىٰ مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، وَمَلاَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ[2]، وَسُتُرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ[3]، وَوَرَاءَ ذلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً[4] عَلَىٰ حُدُودِهَا. أَنْشَأَهُمْ عَلَىٰ صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلاَلَ عِزَّتِهِ، لاَ يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلاَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾. جَعَلَهُمُ اللهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ

---

(١) **مُتَلَفِّعُونَ**: المتلفّع: الملتحف بالثوب، والمراد أنهم متغطين بأجنحتهم خضوعاً وتذللاً.

(٢) **حَشَا**: ملأ. **فُتُوقَ**: شقوق. **الْفُرُوجِ**: الخروق. **حَظَائِرِ الْقُدُسِ**: الأماكن الطاهرة.

(٣) **سُتُرَاتِ الْحُجُبِ**: سواتر الغيوب . **سُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ**: السرادق: أماكن عالية رفيعة.

(٤) **الرَّجِيجِ**: الزلزلة والاضطراب. **تَسْتَكُّ**: تصم منه الآذان. **سُبُحَاتُ**: طبقات. **خَاسِئَةً**: متحيّرة.

المَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً إِلىٰ تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَىٰ أَعْلاَمِ تَوْحِيدِهِ[١]، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الْآثَامِ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ[٢]، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَىٰ مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلاَ قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ[٣] فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلاَ سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لاَقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمائِرِهِمْ، وَسَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جِلاَلَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا[٤] عَلىٰ فِكْرِهِمْ. مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفِي قَتْرَةِ الظَّلاَمِ الْأَيْهَمِ[٥]، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ[٦] تَحْبِسُهَا عَلَىٰ حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، ووَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلىٰ الْوَلَهِ إِلَيْهِ[٧]، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلىٰ مَا عِنْدَ غَيْرِهِ. قَدْ ذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ

---

(١) **إِخْبَاتِ**: خضوع وخشوع. **ذُلُلاً**: سهلة، مذلّلة. **أَعْلاَمِ تَوْحِيدِهِ**: أمارات واضحة دالّة علىٰ وحدانيته.

(٢) **مُوصِرَاتُ الْآثَامِ**: مثقلاتها. **لَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ**: لم يحملهم تعاقب الليالي والأيام، أي لا يهرمون أو يموتون.

(٣) **قَدَحَتْ**: أشعلت. **قَادِحَةُ الْإِحَنِ**: نار الحقد والضغينة.

(٤) **لاَقَ**: لصق. **تَقْتَرِعَ**: تضرب بالقرعة. **رَيْنِهَا**: الرَّيْن: الدنس وما يُطبع علىٰ القلب من حجب الجهالة.

(٥) **الغَمَامِ الدُّلَّحِ**: السحاب المثقلة بالماء. **الشُّمَّخِ**: العالية المرتفعة. **الْأَيْهَمِ**: الأسود الذي لا يهتدىٰ فيه.

(٦) **تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ**: قعرها البعيدة. **نَفَذَتْ**: استقرت. **مَخَارِقِ الْهَوَاءِ**: خروق الفضاء. **هَفَّافَةٌ**: ساكنة.

(٧) **اسْتَفْرَغَتْهُمْ**: جعلتهم فارغين من أي شُغل. **الْوَلَهِ إِلَيْهِ**: شدة الشوق إلىٰ الله سبحانه.

الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ[١]، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ[٢]، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلاَ تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلاَلِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَىٰ طُولِ دُؤُوبِهِمْ ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلاَتُ[٣] أَلْسِنَتِهِمْ، وَلاَ مَلَكَتْهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْواتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ[٤] الطّاعَةِ مَناكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَىٰ رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلاَ تَعْدُو عَلَىٰ عَزِيمَةِ جِدِّهِم بَلاَدَةُ الْغَفَلاَتِ، وَلاَ تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ. قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَومِ فَاقَتِهِمْ[٥]، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلىٰ الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لاَ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلاَ يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إِلاَّ إِلَىٰ مَوَادَّ[٦] مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ، فَيَنُوا[٧] فِي جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَىٰ اجْتِهَادِهِمْ. ولَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَىٰ

(١) **الرَّوِيَّةِ**: التي تروي العاطش. **وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ**: ما يبعث على الخوف من الله تعالى.

(٢) **حَنَوْا**: انحناء الظهر: تقوّسه. **الزُّلْفَةِ**: القربى. **رِبَقَ خُشُوعِهِمْ**: الربق: حبل فيه عُرا تدخل رقاب صغار المعز في كل واحد منها، وقوله: ربق خشوعهم؛ كناية عن عبوديتهم وتذلّلهم.

(٣) **لَمْ تَغِضْ**: لم تنقص. **أَسَلاَتُ**: جمع أسَلَة، وهي مستدق طرف اللسان.

(٤) **هَمْسِ**: الصوت الخفي. **الْجُؤَارِ**: رفع الصوت بالتضرع. **مَقَاوِمِ**: جمع مقام، وهو الصف.

(٥) **لاَ تَعْدُو**: لا تسطو. **لاَ تَنْتَضِلُ**: لا تسارع. **فَاقَتِهِمْ**: حاجتهم الشديدة.

(٦) **يَمَّمُوهُ**: قصدوه بالرغبة والرجاء. **الِاسْتِهْتَارُ**: العجب والحمق والتكبر. **مَوَادَّ**: إعانة.

(٧) **الشَّفَقَةِ**: الخوف. **يَنُوا**: يتوانوا.

مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا ذلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ[١]، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْواذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلاَ تَوَلاَّهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلاَ تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ، وَلاَ اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مَنْ رِبْقَتِهِ زَيغٌ وَلاَ عُدُولٌ وَلاَ وَنىً وَلاَ فُتُورٌ[٢]، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ[٣]، يَزْدَادُونَ عَلَىٰ طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً». [خ٩١]

«مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ؛ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلاَبَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبَ الْمَنُونِ[٤]؛ وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ». [خ١٠٩]

في خلق الأرض وما فيها من المخلوقات:

«كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَىٰ مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ[٥]، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ

---

(١) **وَشِيكَ السَّعْيِ**: ما قرب من سعيهم في الطاعة والعبادة. **شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ**: خوفهم الشديد.

(٢) **تَشَعَّبَتْهُمْ**: فرقتهم. **مَصَارِفُ الرِّيَبِ**: صروف الشك والريبة. **أَخْيَافُ الْهِمَمِ**: الهمم الضعيفة الساقطة. **رِبْقَتِهِ**: عروته الوثيقة. **وَنىً**: تواني. **فُتُورٌ**: ضعف أو كسل.

(٣) **إِهَابٍ**: جلد. **حَافِدٌ**: خفيف، سريع.

(٤) **مَاءٍ مَهِينٍ**: ماء حقير وهي النطفة. **يَتَشَعَّبْهُمْ**: يأخذهم. **رَيْبَ الْمَنُونِ**: ما يُخاف من الموت.

(٥) **كَبَسَ الْأَرْضَ**: غطاها بالتراب. **مَوْرِ أَمْوَاجٍ**: تحركها واضطرابها. **مُسْتَفْحِلَةٍ**: يصعب التغلب عليها.

أمْواجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِها[١]، وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا[٢]، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ، سَاجِياً[٣] مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً، وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلاَئِهِ، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ[٤]، وَكَعَمَتْهُ عَلَىٰ كِظَّةِ جَرْيَتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ، وَ لَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ[٥]. فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الْبُذَّخِ عَلَىٰ أَكْتَافِهَا، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا[٦]، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلاَمِيدِهَا ، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا[٧]، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا[٨]، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا، وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا

(١) **زَاخِرَةٍ**: ممتلئة. **أَوَاذِيُّ أَمْواجِهَا**: أعلاها. **تَصْطَفِقُ**: يلتطم بعضها ببعض. **أَثْبَاجِها**: أعاليها.
(٢) **الْفُحُولِ**: الذكور من الإبل. **جِمَاحُ الْمَاءِ**: شدة اضطرابه. **كَلْكَلِهَا**: صدرها.
(٣) **مُسْتَخْذِياً**: خاضعاً مستكيناً. **تَمَعَّكَتْ**: تمرغت بالتراب. **كَوَاهِلِهَا**: جوانبها. **سَاجِياً**: ساكناً.
(٤) **مَدْحُوَّةً**: مبسوطة. **بَأْوِهِ**: كبريائه. **غُلَوَائِهِ**: نشاطه.
(٥) **كَعَمَتْهُ**: أغلقت فاه. **كِظَّةِ جَرْيَتِهِ**: شدة حركته وجريانه. **نَزَقَاتِهِ**: خفته وطيشه. **لَبَدَ**: قام. **زَيَفَانِ**: تبختر.
(٦) **أَكْنَافِهَا**: نواحيها. **الْبُذَّخِ**: الشامخة. **عَرَانِينِ أُنُوفِهَا**: أعاليها. **سُهُوبِ**: جمع سهب وهي الأرض الفلاة. **بِيدِهَا**: جمع بيداء وهي الأرض الفلاة. **أَخَادِيدِهَا**: جمع أخدود، وهو الشق، والمراد مجاري الأنهار.
(٧) **جَلاَمِيدِهَا**: الحجار الصلدة. **الشَّنَاخِيبِ**: رؤوس الجبال. **الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا**: جبالها العالية.
(٨) **الْمَيَدَانِ**: التحرك والاضطراب. **أَدِيمِهَا**: سطحها. **جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا**: حفرها وفتحاتها.

أَهْلَهَا عَلَىٰ تَمَامِ مَرَافِقِهَا[١]. ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَلاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَىٰ بُلُوغِهَا، حَتَّىٰ أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا. أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ ، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ. حَتَّىٰ إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ[٢]، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدَارِكاً، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ[٣]، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ، وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ[٤]. فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحابُ بَرْكَ بِوَانِيْهَا، وَبَعَاعَ[٥]مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ[٦]الْأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا، وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا[٧]، وَجَعَلَ ذلِكَ بَلاَغاً لِلْأَنَامِ، وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَىٰ جَوَادِّ طُرُقِهَا[٨]. فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوّلَ جِبِلَّتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ

(١) **جَرَائِيمِهَا**: طبقاتها السفلىٰ التي تلي السطح. **مَرَافِقِهَا**: ما يجعلها صالحة للعيش علىٰ ظهرها.
(٢) **قَزَعِهِ**: سحاباته. **تَمَخَّضَتْ**: تحركت حركة شديدة. **الْمُزْنِ**: السحاب الممطرة. **كُفَفِهِ**: أطرافه.
(٣) **وَمِيضُهُ**: لمعانه. **كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ**: سحابه المتراكم. **سَحًّا**: متتابعاً. **أَسَفَّ**: دنا. **هَيْدَبُهُ**: سحابه القريب.
(٤) **تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ**: تُدرُّه ريح الجنوب. **أَهَاضِيبِهِ**: مطره. **شَآبِيبِهِ**: مطره الكثير المتدفق.
(٥) **بَرْكَ بِوَانِيْهَا**: البرك: الصدر، والبواني: عظام الصدر أو عمود الخيمة. **بَعَاعَ**: ما في السحاب من ماء.
(٦) **هَوَامِدِ الْأَرْضِ**: الأرض التي لا نبات فيها وهي الصحاري. **زُعْرِ الْجِبَالِ**: التي لا تنبت.
(٧) **رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا**: غشاءها الرقيق الليّن. **سُمِطَتْ**: نُظِمت. **نَاضِرِ أَنْوَارِهَا**: جميل أزهارها.
(٨) **بَلاَغاً لِلأَنَامِ**: رزقاً يبلغهم إلى ما تستقيم به أحوالهم. **خَرَقَ الْفِجَاجَ**: شق لهم الطرق. **الْمَنَارَ**: الأعلام، وهي ما يهتدى به إلى الطريق. **جَوَادِّ طُرُقِهَا**: جواد: جمع جادّة، وجادة الطريق هي التي لا عوج فيها.

عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ؛ فَأَقْدَمَ عَلَىٰ مَا نَهَاهُ عَنْهُ ـ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ـ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، ولَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بَالْحُجَجِ عَلَىٰ أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاَتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً؛ حَتَّىٰ تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ الْمُقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ، وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَّمَهَا عَلَىٰ الضِّيقِ والسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بَمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذلِكَ الشُّكْرَ والصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وَبِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا[1]. وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بَالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعاً لمَرائِرِ أَقْرَانِهَا[2]. عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَىٰ الْمُتَخَافِتِينَ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ [3]، وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ[4]، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ[5]، وَمَصَائِفُ الذَّرِّ، وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ، وَرَجْعِ الْحَنِينِ مِنْ

(١) **عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا**: شدائد فقرها وحاجتها. **أَتْرَاحِهَا**: همومها وأحزانها.
(٢) **خَالِجاً**: جاذباً. **أَشْطَانِهَا**: حبالها، والمراد ما طال من العمر. **مَرائِرِ أَقْرَانِهَا**: دقيق حبالها الغليظة.
(٣) **نَجْوَىٰ الْمُتَخَافِتِينَ**: حديث السر. **رَجْمِ الظُّنُونِ**: الشك والوهم.
(٤) **مَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ**: ما يسترقه النظر على حين غفلة.
(٥) **ضَمِنَتْهُ**: حوته. **أَكْنَانُ الْقُلُوبِ**: مكنوناتها. **مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ**: جمع مَصَاخ، وهي ثقبة الأذن.

الْمُولِهَاتِ[١]، وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ، وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلاَئِجِ غُلُفِ الْأَكْمَامِ[٢]، وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا، وَمُخْتَبَإِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا[٣]، وَمَغْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ، وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلاَبِ[٤]، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلاَحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمِ بَنَاتِ الْأَرضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ[٥]، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[٦]، أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ، وَسُبُحَاتُ النُّورِ، وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ ساقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلاَلَةٍ[٧]، لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذلِكَ كُلْفَةٌ، وَلاَ اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلاَ اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلاَ فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ،

---

(١) **مَشَاتِي**: مكان إقامتها في الشتاء. **الْهَوَامِّ**: الحشرات والديدان. **الْمُولِهَاتِ**: الحزينات.

(٢) **مُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ**: انفصالها من وعائها. **وَلاَئِجِ**: البطانة الداخلية. **غُلُفِ الْأَكْمَامِ**: وعاء الثمرة.

(٣) **غِيرَانِ**: كهوف. **سُوقِ**: جمع ساق، وهو الجذع الذي تقوم عليه الفروع. **أَلْحِيَتِهَا**: جمع لحاء وهو القشرة.

(٤) **الْأَفْنَانِ**: الأغصان. **الْأَمْشَاجِ**: النُّطَف. **مَسَارِبِ الْأَصْلاَبِ**: ما يتسرب المني فيه عند خروجه.

(٥) **تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ**: تذرّه أو تحمله. **تَعْفُو**: تمحو. **ذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ**: أعالي رؤوسها.

(٦) **دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ**: ظلماتها. **أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ**: حوته الأصداف من لؤلؤ وجواهر. **سُدْفَةُ لَيْلٍ**: ظلمته.

(٧) **هَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ**: ما تهم به، والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر. **نُقَاعَةِ دَمٍ**: الدم المتجمّع في البدن.

وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ». [خ٩١]

خلق آدم:

«ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا ، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّىٰ خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالبَلَّةِ حَتَّىٰ لَزَبَتْ(١)، فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَ وُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَ فُصُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّىٰ اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّىٰ صَلْصَلَتْ(٢)، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا(٣)، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، والأَذْوَاقِ والْمَشَامِّ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، والْأَخْلاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَاسْتَأْدَىٰ(٤) اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْماماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ

---

(١) **حَزْنِ الْأَرْضِ**: وعرها. **سَبَخِهَا**: المالحة التي لا تنبت. **سَنَّهَا**: بلّها. **لاَطَهَا**: ألصقها. **لَزَبَتْ**: اشتدّت.
(٢) **أَحْنَاءٍ**: جوانب. **أَصْلَدَهَا**: جعلها صلبة. **صَلْصَلَتْ**: يبست.
(٣) **مَثُلَتْ إِنْساناً**: صار إنسانا ماثلاً منتصباً. **يُجِيلُهَا**: يقلبها في ذهنه. **يَخْتَدِمُهَا**: يجعلها في خدمته.
(٤) **الْمُتَبَايِنَةِ**: المختلفة. **اسْتَأْدَىٰ**: طالبهم بأداء الوديعة.

فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً[1]، وَبِالإِغْتِرَارِ نَدَماً. ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ». [خ١]

في عجيب خلق الإنسان:

«أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ[2]، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لاَ تُجِيرُ[3] دُعَاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا؛ فَمَنْ هَدَاكَ لِإِجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ. هَيْهَاتَ؛ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ!». [خ١٦٣]

في عجيب خلق الطيور:

«ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً

(١) **نَفَاسَةً عَلَيْهِ**: حسداً له. **الْجَذَلِ**: الفرح والراحة. **وَجَلاً**: خوفاً.
(٢) **سُلاَلَةٍ**: متناسل. **قَرَارٍ مَكِينٍ**: مستقر متمكن، وهي الأرحام.
(٣) **تَمُورُ**: تتحرك. **لا تُجِيرُ دُعَاءً**: لا تستطيع جواباً.

بِهِ، وَمُسْلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ[١] مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا، وَرَوَاسِي أَعْلاَمِهَا[٢]، مِنْ ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنفَسِحِ وَالْفَضَاءِ الْمُنفَرِجِ. كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ[٣]، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً[٤]، وَنَسَقَهَا عَلَىٰ اخْتِلاَفِهَا فِي الْأَصَابِيغِ[٥] بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ؛ فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ لاَ يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ، وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ[٦]». [خ١٦٥]

في عجيب خلقة النملة والجراد وبعض المخلوقات:

«أَلا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ والْبَصَرَ، وسَوَّىٰ لَهُ الْعَظْمَ والْبَشَرَ؟! انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، ولَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، ولا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ

---

(١) **نَعَقَتْ**: صاحت. **ذَرَأَ**: خلق.

(٢) **أَخَادِيدَ**: جمع أخدود، وهو الشق المستطيل في الأرض. **فِجَاجِهَا**: الفجاج: جمع فجٍّ وهو الطريق الواسع بين جبلين. **رَوَاسِي أَعْلاَمِهَا**: الرواسي والأعلام هي الجبال، وهومن باب إضافة الصفة إلى موصوفها.

(٣) **حِقَاقِ مَفَاصِلَ**: العظام الصغيرة التي بين المفصلين. **مُحْتَجِبَةٍ**: مغطاة باللحم والجلد.

(٤) **عَبَالَةِ خَلْقِهِ**: متناسل. **خُفُوفاً**: سرعة وخفّة. **يَدِفُّ دَفِيفاً**: دفيف الطائر: دنوه من الأرض أثناء طيرانه.

(٥) **أَصَابِيغِ**: أصباغ، وهي الألوان.

(٦) المعنىٰ: جعل له طوق في العنق بلون يختلف عن جسمه.

عَلَىٰ أَرْضِهَا، وصُبَّتْ عَلَىٰ رِزْقِهَا؟ تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَىٰ جُحْرِهَا، وتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا[1]، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا، لا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، ولا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، ولَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، والْحَجَرِ الْجَامِسِ، ولَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وسُفْلِهَا، ومَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ[2] بَطْنِهَا، ومَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، ولَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً، فَتَعَالَىٰ الَّذِي أَقَامَهَا عَلَىٰ قَوَائِمِهَا، وبَنَاهَا عَلَىٰ دَعَائِمِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَىٰ خَلْقِهَا قَادِرٌ، ولَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ؛ مَا دَلَّتْكَ الدَّلالَةُ إِلا عَلَىٰ أَنَّ فَاطِرَ[3] النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وغَامِضِ اخْتِلافِ كُلِّ حَيٍّ، ومَا الْجَلِيلُ واللَّطِيفُ والثَّقِيلُ والْخَفِيفُ والْقَوِيُّ والضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلا سَوَاءٌ. وَكَذلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ. فَانْظُرْ إِلَىٰ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلاَفِ هذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هذِهِ الْقِلاَلِ[4]، وَتَفَرُّقِ هذِهِ اللُّغَاتِ، وَالأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ. فَالوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدِّرَ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ! زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلاَ لِاخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَىٰ حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوا، وَلاَ تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِن غَيْرِ جَانٍ! وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ؛ إِذْ خَلَقَ لَهَا

---

(١) **وِرْدِهَا**: ذهابها. **لِصَدَرِهَا**: رجوعها.

(٢) **شَرَاسِيفِ**: أطراف الأضلاع المشرفة على البطن.

(٣) **فَاطِرَ**: خالق.

(٤) **الْقِلاَلِ**: الجبال.

عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، ونَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، ومِنْجَلَيْنِ[١] بِهِمَا تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، ولا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا، وَلَوْ أَجْلَبُوا[٢] بِجَمْعِهِمْ؛ حَتَّىٰ تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا، وخَلْقُهَا كُلُّهُ لا يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً[٣]. فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً، ويُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً ووَجْهاً، ويُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وضَعْفاً، ويُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وخَوْفاً، فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لأَمْرِهِ، أَحْصَىٰ عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا والنَّفَسِ، وأَرْسَىٰ قَوَائِمَهَا عَلَىٰ النَّدَىٰ والْيَبَسِ، وقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وأَحْصَىٰ أَجْنَاسَهَا، فَهَذَا غُرَابٌ، وهَذَا عُقَابٌ، وهَذَا حَمَامٌ، وهَذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ، وأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ؛ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وعَدَّدَ قِسَمَهَا، فَبَلَّ الأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا[٤]». [خ١٨٥]

في عجيب خلقة الطاووس:

«وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ، الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ[٥]، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ[٦]. إِذَا دَرَجَ إِلَىٰ

(١) **مِنْجَلَيْنِ**: نابين يشبهان المنجل، والمنجل: ما يحصد به الزرع من شريم وغيره.
(٢) **ذَبَّهَا**: دفعها. **أَجْلَبُوا**: اجتمعوا بالجموع الكثيرة.
(٣) **مُسْتَدِقَّةً**: دقيقة العرض صغيرة الطول.
(٤) **جُفُوفِهَا**: جفافها. **جُدُوبِهَا**: يبسها.
(٥) **تَنْضِيدٍ**: نظم وترتيب.
(٦) **أَشْرَجَ قَصَبَهُ**: القصب: عمود الريش المتصل بالجناح. وإشراجها ترتيبها وتنظيمها. **مَسْحَبَهُ**: ذيله.

الْأُنْثَىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلاً عَلَىٰ رَأْسِهِ[١]، كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ[٢]. يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ[٣]، يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلاَقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضِّرَابِ[٤]، أُحِيلُكَ مِنْ ذلِكَ عَلَىٰ مُعَايَنَةٍ، لاَ كَمَنْ يُحِيلُ عَلَىٰ ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ، وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ، وأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لاَ مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَىٰ الدَّمْعِ الْمُنبَجِسِ، لَمَا كَانَ ذلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ[٥]! تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِي مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ، وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ[٦]. فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ: جَنِيَّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ، وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ[٧]، وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ[٨]. يَمْشِي مَشْيَ الْمُرِحِ الْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَهُ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ،

---

(١) **دَرَجَ**: مشىٰ. **نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ**: فرش ذيله بعد أن كان مطويًا. **سَمَا بِهِ**: رفعه. **مُطِلاً**: مشرفاً.

(٢) **قِلْعُ دَارِيٍّ**: شراع سفينة لتاجر يجلب المسك إلىٰ دارين بالبحرين. **عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ**: عطفه ملاحه.

(٣) **يَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ**: يميل جانبه بتبختره.

(٤) المعنى: أنه ينكح فتلقح أنثاه، كما تفعله الفحول من الإبل، ويغتلم كاغتلامها وهياجها على أنثاه.

(٥) **الْمُنبَجِسِ**: النابع من العين. **مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ**: تلقيحه لأنثاه.

(٦) **الْعِقْيَانِ**: الذهب الخالص. **فِلَذَ الزَّبَرْجَدِ**: قطع الزبرجد، وهو نوع من أنواع الجواهر.

(٧) **مَوْشِيِّ الْحُلَلِ**: الموشىٰ: المخلوط بالألوان والصباغات الأنيقة، والحلل: جمع حُلَّة وهو شيء من رقيق الثياب الحريرية. **مُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ**: المونق: المعجب، والعصب: نوع من برود اليمن بيض.

(٨) **اللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ**: الفضة المزينة بالجواهر.

وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ[١]؛ فَإِذَا رَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً[٢] بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلاَسِيَّةِ[٣]. وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ[٤]، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ[٥]، وَمَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ، وَمَغْرَزُهَا إِلَىٰ حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ[٦]؛ إِلاَّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ[٧]، أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ[٨]. وَقَلَّ صِبْغٌ إِلاَّ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلاَهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ، وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ[٩]، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلاَ شُمُوسُ قَيْظٍ[١٠]. وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَىٰ مِنْ

(١) **سِرْبَالِهِ**: لباسه. **أَصَابِيغِ**: ألوان. **وِشَاحِهِ**: الوشاح: طوق من الجلد يرصَّع بالجواهر واللآلئ وأنواع الياقوت، تشدُّ به المرأة ما بين العاتق والكشح.

(٢) **زَقَا مُعْوِلاً**: صاح باكياً.

(٣) **حُمْشٌ**: دقيقة. **قَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلاَسِيَّةِ**: أقدام الديكة المتولدة من دجاج هندي وفارسي.

(٤) **نَجَمَتْ**: ظهرت. **مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ**: حرف عظمه الأسفل. **صِيصِيَةٌ**: شوكة صغيرة في الرجل.

(٥) **مَوْضِعِ الْعُرْفِ**: فوق الناصية، مكان الجبهة. **قُنْزُعَةٌ**: خصلة من الشعر. **مُوَشَّاةٌ**: منقوشة.

(٦) **مِعْجَرٍ أَسْحَمَ**: قناع أسود تلفه المرأة على رأسها وعنقها.

(٧) **الْأُقْحُوَانِ**: نوع من الشجر الظاهر منه ورق أبيض شديد البياض، ووسطه أصفر شديد الصفرة.

(٨) **يَقَقٌ**: شديد البياض. **يَأْتَلِقُ**: يلمع.

(٩) **بَصِيصِ**: لمعان. **دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ**: جماله وروعته.

(١٠) **قَيْظٍ**: حر شديد.

لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَىٰ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ[١] مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلاَحَقُ نَامِياً حَتَّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لاَ يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلاَ يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عسْجَدِيَّةً[٢] فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ صِفَةِ هذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ! وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ! وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ[٣] إِلَىٰ مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيلَةِ! وَوَأَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَلاَّ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ، إِلاَّ وَجَعَلَ الْحِمَامَ[٤] مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ». [خ١٦٥]

في عجيب خلقة الخفاش:

«وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ[٥] أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً

(١) **تَتْرَىٰ**: شيئا فشيئاً. **يَنْحَتُّ**: يتساقط.
(٢) **عسْجَدِيَّةً**: ذهبية.
(٣) **الْهَمَجَةِ**: الذباب الصغير.
(٤) **وَأَىٰ**: أقسم. **شَبَحٌ**: جسم. **أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ**: أسكن فيه الروح. **الْحِمَامَ**: الموت.
(٥) **عَشِيَتْ**: عميت.

تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلُ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلاَلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِيٰ بُلَجِ ائْتِلاَقِهَا[1]، فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بَالنَّهَارِ عَلَىٰ حِدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا؛ فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلاَ تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ[2]. فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَىٰ الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَىٰ مَآقِيهَا[3]، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَجَعَلَ النَّهَارَ لَهَا سَكَناً وَقَرَاراً! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الْآذَانِ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ[4]، إِلاَّ أَنَّكَ تَرَىٰ مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا لاَجِيٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لاَيُفَارِقُهَا حَتَّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ!». [خ١٥٥]

---

(١) **سُبُحَاتِ**: درجات. **مَكَامِنِهَا** : مخابئها. **بُلَجِ ائْتِلاَقِهَا**: لمعان ضوئها.

(٢) **إِسْدَافُ**: ظلام. **غَسَقِ دُجُنَّتِهِ**: شدة ظلمته.

(٣) **وِجَارِهَا**: جُحْرها. **مَآقِيهَا**: عيونها.

(٤) **قَصَبٍ**: عمود الريش المتصل بالجناح.

أدعية ومناجات

«نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا كَانَ، ونَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَىٰ مَا يَكُونُ، ونَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الأَدْيَانِ كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الأَبْدَانِ». **[خ٩٩]**

«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ[1] مِنْ نَفْسِي، ولَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي، ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الأَلْحَاظِ، وسَقَطَاتِ الأَلْفَاظِ، وشَهَوَاتِ الْجَنَانِ[2]، وهَفَوَاتِ اللِّسَانِ». **[خ٧٨]**

«اللهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، والتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ، اللهُمَّ وقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، ولا أُثْنِي بِهِ عَلَىٰ أَحَدٍ سِوَاكَ، ولا أُوَجِّهُهُ إِلَىٰ مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ، ومَوَاضِعِ الرِّيبَةِ، وعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الآدَمِيِّينَ، وَالثَّنَاءِ عَلَىٰ الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللهُمَّ ولِكُلِّ مُثْنٍ عَلَىٰ مَنْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَىٰ ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ، وكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اللهُمَّ وهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، ولَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ والْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلا فَضْلُكَ، ولا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا[3] إِلا مَنُّكَ وجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ

---

(١) **وَأَيْتُ**: وعدت.

(٢) **رَمَزَاتِ الأَلْحَاظِ**: الإشارة بالعين. **شَهَوَاتِ الْجَنَانِ**: ما يشتهيه القلب مما يكون مخالفاً لأمرك.

(٣) **فَاقَةٌ**: فقر وحاجة شديدة. **خَلَّتِهَا**: فقرها.

رِضَاكَ، وأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الأَيْدِي إِلَىٰ سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». [خ٩١]

«الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً ولا سَقِيماً، ولا مَضْرُوباً عَلَىٰ عُرُوقِي بِسُوءٍ، ولا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي، ولا مَقْطُوعاً دَابِرِي، ولا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي، ولا مُنْكِراً لِرَبِّي، ولا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي، ولا مُلْتَبِساً عَقْلِي، ولا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الأَمَمِ مِنْ قَبْلِي، أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً، ظَالِماً لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ، ولا حُجَّةَ لِي، ولا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلا مَا أَعْطَيْتَنِي، ولا أَتَّقِيَ إِلا مَا وَقَيْتَنِي. اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ والأَمْرُ لَكَ. اللهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي. اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَىٰ الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ». [خ٢١٥]

«اللهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، ولا تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالإِقْتَارِ[1]، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ، وأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وأُبْتَلَىٰ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ والْمَنْعِ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». [خ٢٢٥]

«اللهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لأَوْلِيَائِكَ، وأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ

(١) **الْيَسَارِ**: الغنى. **لا تَبْذُلْ جَاهِيَ**: تسقط منزلتي من قلوب الناس. **الإِقْتَارِ**: الفقر.

ذِكْرُكَ، وإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَئُوا إِلَىٰ الاسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ[١] الأُمُورِ بِيَدِكَ، ومَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ. اللهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي[٢]؛ فَدُلَّنِي عَلَىٰ مَصَالِحِي، وخُذْ بِقَلْبِي إِلَىٰ مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، ولا بِبِدْعٍ[٣] مِنْ كِفَايَاتِكَ. اللهُمَّ احْمِلْنِي عَلَىٰ عَفْوِكَ، ولا تَحْمِلْنِي عَلَىٰ عَدْلِكَ ». **[خ٢٢٧]**

«اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تُحَسِّنَ فِي لامِعَةِ الْعُيُونِ عَلانِيَتِي، وتُقَبِّحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي، مُحَافِظاً عَلَىٰ رِثَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي، بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فَأُبْدِيَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وأُفْضِيَ إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلَىٰ عِبَادِكَ، وتَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ»

من دعاء له عليه السلام كان يقوله إذا لقي العدو محاربا :

«اللهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، ومُدَّتِ الأَعْنَاقُ، وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ، ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ، وأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ. اللهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وجَاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغَانِ. اللهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ»

«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ[٤]، والْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً[١] لِلَّيْلِ

---

(١) **أَزِمَّةُ**: جمع زمام وهوما تقاد به الدابة.

(٢) **فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِيْ**: عجزت عن بيانها. **طِلْبَتِي**: مطلوبي.

(٣) **نُكْرٍ**: منكر، قبيح. **بِدْعٍ**: غريب غير معهود.

(٤) **السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ**: السماء.

والنَّهَارِ، ومَجْرًىٰ لِلشَّمْسِ والْقَمَرِ، ومُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً[٢] مِنْ مَلائِكَتِكَ، لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، ورَبَّ هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ، ومَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ والأَنْعَامِ، ومَا لا يُحْصَىٰ مِمَّا يُرَىٰ ومَا لا يُرَىٰ، ورَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً، ولِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً؛ إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ، وسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ، وإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، واعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ». [خ١٧١]

من دعائه عليه السلام في السفر:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ[٣]، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ المَنظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالمَالِ والْوَلَدِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، وَلاَ يَجْمَعُهُما غَيْرُكَ، لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لاَ يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَالْمُسْتَصْحَبُ لاَ يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً». [خ٤٦]

من دعائه عليه السلام في الاستسقاء :

«اللهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ والأَكْنَانِ[٤]، وبَعْدَ عَجِيجِ[٥] الْبَهَائِمِ والْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، ورَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ

---

(١) **المَكْفُوفِ**: المضموم بعضه إلى بعض، المحفوظ عن التغيّر والزوال. **مَغِيضاً**: محلاً.

(٢) **سِبْطاً**: قبيلة.

(٣) **وَعْثَاءِ السَّفَرِ**: مشقته.

(٤) **الأَكْنَانِ**: جمع كِن، وهو ما وقى من الشمس والمطر كالسقف ونحوه.

(٥) **عَجِيجِ**: صياح.

ونِقْمَتِكَ. اللهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، ولا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، ولا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ، نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ[1] الْمُجْدِبَةُ، وأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وتَلاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ. اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، ولا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ[2]، ولا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، ولا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا. اللهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وبَرَكَتَكَ، ورِزْقَكَ ورَحْمَتَكَ، واسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً، مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا[3]، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَىٰ، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ، وتُسِيلُ الْبُطْنَانَ[4]، وتَسْتَوْرِقُ الأَشْجَارَ[5]، وتُرْخِصُ الأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلَىٰ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ». [خ١٤٣]

من دعائه عليه السلام في الاستسقاء أيضاً:

«اللهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، واغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وهَامَتْ دَوَابُّنَا، وتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وعَجَّتْ[6] عَجِيجَ الثَّكَالَىٰ عَلَىٰ أَوْلادِهَا، ومَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، والْحَنِينَ إِلَىٰ مَوَارِدِهَا. اللهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الآنَّةِ، وحَنِينَ الْحَانَّةِ. اللهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا. اللهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا

(١) **أَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ**: ألجأتنا سنوات القحط.
(٢) **وَاجِمِينَ**: ممسكين عن الكلام لهول الموقف.
(٣) **الْحَيَا**: الخصب والمطر.
(٤) **الْبُطْنَانَ**: جمع بطن ويقصد بها الوديان وكل ما انخفض من الأرض.
(٥) **تَسْتَوْرِقُ الأَشْجَارَ**: تخرج أوراقها.
(٦) **انْصَاحَتْ**: تشققت. **عَجَّتْ**: صاحت مستغيثة.

حَدَابِيرُ السِّنِينَ[١]، وأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الجُودِ، فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ، والْبَلاغَ لِلْمُلْتَمِسِ، نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الأَنَامُ، ومُنِعَ الْغَمَامُ، وهَلَكَ السَّوَامُ[٢]؛ أَلا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، ولا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا، وانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ، بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ، والرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، والنَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحّاً وَابِلاً[٣]، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ اللهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً، زَاكِياً نَبْتُهَا، ثَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلادِكَ. اللهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا[٤]، ويُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وتَنْدَىٰ بِهَا أَقَاصِينَا، وتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا، مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ، عَلَىٰ بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ، ووَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ، وأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً[٥]، مِدْرَاراً هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدْقُ[٦] مِنْهَا الْوَدْقَ، ويَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا، ولا جَهَامٍ عَارِضُهَا[٧]، ولا قَزَعٍ رَبَابُهَا، ولا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا[٨]، حَتَّىٰ يُخْصِبَ لإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، ويَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ، وأَنْتَ

---

(١) **مَوَالِجِهَا**: مساكنها. **حَدَابِيرُ السِّنِينَ**: جدبها.

(٢) **السَّوَامُ**: المرعىٰ.

(٣) **الْمُنْبَعِقِ**: المنشق بالمطر. **الْمُونِقِ**: ذا منظر جميل مُعجِب. **سَحّاً وَابِلاً**: صبًّا متتابعاً.

(٤) **نِجَادُنَا**: النجاد: الجبال والمرتفعات. **وِهَادُنَا**: الوهاد: الوديان والمنخفضات.

(٥) **مُخْضِلَةً**: كثيرة السُّقيا.

(٦) **الْوَدْقُ**: المطر.

(٧) **خُلَّبٍ**: ليس معه مطر. **جَهَامٍ عَارِضُهَا**: سحابها الذي يعرض ولا مطر فيه.

(٨) **قَزَعٍ رَبَابُهَا**: ذات سحب مقطعة. **شَفَّانٍ ذِهَابُهَا**: ذات أمطار قليلة.

الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ». [خ١١٥]

«نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، ولا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، ولا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ ولا كَآبَةٌ».

«اسْتَعْمَلَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وطَاعَةِ رَسُولِهِ، وعَفَا عَنَّا وعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ»

* * *

سلسلة روائع نهج البلاغة (٢)

النبوّات

الرسول – آل البيت – القرآن – الإسلام

جمعها

عبد الرحمن محمد عبدالملك المروني

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م



الرسول

اصطفاء الأنبياء ومبعث النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «وَاصْطَفىٰ سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَىٰ الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَىٰ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ[1] الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ[2]، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بَالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَال تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَاب[3] تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَة، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ. عَلَىٰ ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ. إِلَىٰ أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَىٰ النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ[4]، كَرِيماً مِيلادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذ

---

(١) **الْأَنْدَادَ**: جمع نِد، وهو المثل والضد. **اجْتَالَتْهُمُ**: صرفتهم عن قصدهم.

(٢) **وَاتَرَ**: تابع ارسال الأنبياء نبياً بعد آخر. **لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**: ليطلبوا منهم أداء ما ألـزمهم الله في العهد المأخوذ عليهم.

(٣) **أَوْصَاب**: متاعب.

(٤) **عِدَتِهِ**: وعده. **سِمَاتُهُ**: صفاته المذكورة في الكتب السماوية السابقة.

مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لله بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ في اسْمِهِ، أَوْ مُشِير إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ». [خ١]

«أَحْمَدُ اللهَ وأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ ومَزَاجِرِهِ[١]، والاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ ومَخَاتِلِهِ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ونَجِيبُهُ[٢] وصَفْوَتُهُ، لا يُؤَازَىٰ فَضْلُهُ، ولا يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلادُ بَعْدَ الضَّلالَةِ الْمُظْلِمَةِ، والْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، والنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، ويَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَىٰ فَتْرَةٍ، ويَمُوتُونَ عَلَىٰ كَفْرَةٍ». [خ١٥١]

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ[٣]، ولا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ». [خ٢١٤]

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، والنُّورِ السَّاطِعِ، والضِّيَاءِ اللامِعِ، والأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، واحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وتَخْوِيفاً بِالْمَثُلاتِ[٤]، وَالنَّاسُ في فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيها حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي اليَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ[٥]،

---

(١) **مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ ومَزَاجِرِهِ**: ما يدحر به الشيطان ويزجر به.

(٢) **نَجِيبُهُ**: من اصطفاه واختاره.

(٣) **لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ**: لم يكن من آبائه من أتىٰ من غير حِلّه.

(٤) **الْمَثُلاتِ**: العقوبات الواقعة علىٰ الأمم السابقة.

(٥) **انْجَذَمَ** : انقطع. **النَّجْرُ**: الأصل، ويقصد به أمر الدين.

وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَىٰ خَامِلٌ، والْعَمَىٰ شَامِلٌ. عُصِيَ الرَّحْمنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ[١]. أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ[٢]، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلاَفِهَا، وَقَامَتْ عَلَىٰ سَنَابِكِهَا[٣]، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُها مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُها مُكْرَمٌ». [خ٢]

«ونَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ غَيْرُهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّىٰ أَمِيناً، ومَضَىٰ رَشِيداً، وخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ[٤]، ومَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلامِ[٥]، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ[٦]، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللهُ حَتَّىٰ يُطْلِعِ اللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ». [خ١٠٠]

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللهِ، وسَفِيرُ وَحْيِهِ، ورَسُولُ رَحْمَتِهِ». [خ١٩٨]

---

(١) **دَرَسَتْ سُبُلُهُ**: انطمست طرقه. **عَفَتْ شُرُكُهُ**: خفيت مسالكه.

(٢) **وَرَدُوا مَنَاهِلَهُ**: المنهل: مجرىٰ النهر، والوارد من يأتي للشرب منه.

(٣) **أَظْلاَفِهَا**: الظلف: ظفر البقرة أو الشاة. **سَنَابِكِهَا**: جمع سنبك، وهو طرف حافر الخيل.

(٤) **مَرَقَ**: خرج عن الدين. **زَهَقَ**: زال وهلك.

(٥) **دَلِيلُهَا**: قائدها، ويعني به النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم. **مَكِيثُ الْكَلامِ**: يتأنىٰ في كلامه فلا يعجل.

(٦) **أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ**: أطعتم أمره واتبعتموه.

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، دَعَا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ، جِهَاداً عَنْ دِينِهِ، لا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ، والْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِهِ». **[خ١٩٠]**

«أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وقَدَّمَهُ فِي الاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ[١]، وذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ، حَتَّىٰ سَرَّحَ الضَّلالَ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ». **[خ٢١٣]**

«وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، خَاضَ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ[٢]، وقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْنَ، وتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ[٣]، وخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وضَرَبَتْ إِلَىٰ مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وأَسْحَقِ الْمَزَارِ». **[خ١٩٤]**

«وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلاَصٍ وَإِذْعَانٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وأَعْلامُ الْهُدَىٰ دَارِسَةٌ، ومَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، ونَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَىٰ إِلَىٰ الرُّشْدِ، وأَمَرَ بِالْقَصْدِ[٤]، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ». **[خ١٩٥]**

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ابْتَعَثَهُ والنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، ويَمُوجُونَ فِي

---

(١) **رَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ**: سدّ به ما بين الناس من مفاسد واختلال. **سَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ**: واثب به من يُغالب الحق.

(٢) **غَمْرَةٍ**: الغَمرة: ما يَغمُر من الماء، والمراد الشدّائد والأهوال. **غُصَّةٍ**: الغصة: الشجا في الحلق، كناية عمَّا وقع فيه الرسول من العسرة باحتمال أعباء النبوة، والاضطلاع بأثقالها.

(٣) **الأَدْنَوْنَ**: الأقارب. **الأَقْصَوْنَ**: الأباعد.

(٤) **دَارِسَةٌ**: مطموسة ممحوّة. **الْقَصْدِ**: الاعتدال في كل أمر.

حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، واسْتَغْلَقَتْ عَلَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ[١]». [خ١٩١]

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، الْمُجْتَبَىٰ مِنْ خَلائِقِهِ، والْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ[٢]، والْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، والْمُصْطَفَىٰ لِكَرَائِمِ رِسَالاتِهِ، والْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَىٰ، والْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَىٰ[٣]». [خ١٧٨]

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وأَمِينُهُ الرَّضِيُّ، صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وظُهُورِ الْفَلَجِ[٤]، وإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وحَمَلَ عَلَىٰ الْمَحَجَّةِ دَالاً عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلامَ الاهْتِدَاءِ، ومَنَارَ الضِّيَاءِ، وجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلامِ مَتِينَةً، وعُرَىٰ[٥] الإِيمَانِ وَثِيقَةً». [خ١٨٥]

«حَتَّىٰ أَوْرَىٰ قَبَساً لِقَابِسٍ[٦]، وأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ[٧]، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً، اللهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، واجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللهُمَّ أَعْلِ عَلَىٰ بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وأَعْطِهِ السَّنَاءَ

---

(١) **أَزِمَّةُ**: جمع زمام وهوما تقاد به الدابة. **الْحَيْنِ**: الهلاك. **الرَّيْنِ**: الحجاب، والمراد به حجاب الضلالة.

(٢) **الْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ**: المختار لبيان حقائق توحيده وتنزيهه.

(٣) **الْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَىٰ**: من أظهر الله به ظلمات الضلال.

(٤) **الْفَلَجِ**: الظهور والظفر، والمراد علو كلمة الدين.

(٥) **أَمْرَاسَ**: حبال. **عُرَىٰ**: جمع عروة؛ وهي العُقدة التي تجعل في الحبل لرفع الشيء الثقيل به.

(٦) **أَوْرَىٰ قَبَساً لِقَابِسٍ**: أضاء نار القابس: وهو من يطلب النار للإضاءة والاستدفاء.

(٧) **أَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ**: أظهر أعلام الطرق لمن احتبست ناقته فتوقف عن السير لضلاله عنها.

والْفَضِيلَةَ، واحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا ولا نَادِمِينَ، ولا نَاكِبِينَ[١]، ولا نَاكِثِينَ، ولا ضَالِّينَ، ولا مُضِلِّينَ، ولا مَفْتُونِينَ». [خ١٠٦]

«فَاسْتَوْدَعَهُمْ – أي الأنبياء – فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَع[٢]، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلاَبِ إِلَىٰ مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ؛ كُلَّمَا مَضَىٰ سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ الله خَلَفٌ. حَتَّىٰ أَفْضَتْ كَرَامَةُ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأُرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وانْتَجَبَ[٣] مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وثَمَرٌ لا يُنَالُ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَىٰ، وبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَىٰ، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وزَنْدٌ[٤] بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وكَلامُهُ الْفَصْلُ، وحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ». [خ٩٤]

«قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وصَغَّرَهَا، وأَهْوَنَ بِهَا وهَوَّنَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا عَنْهُ[٥] اخْتِيَاراً، وبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ،

---

(١) **نَاكِبِينَ**: منحرفين عن طريق الحق.

(٢) **مُسْتَوْدَع**: مكان وضع الوديعة، ويقصد بها أرحام الأمهات.

(٣) **الأُرُومَاتِ**: الأصول. **انْتَجَبَ**: اختار واصطفىٰ.

(٤) **زَنْدٌ**: الزنْد: عود يورىٰ به النار.

(٥) **زَوَاهَا عَنْهُ**: أبعدها عنه.

وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[١]، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً، بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً، ونَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، ودَعَا إِلَىٰ الْجَنَّةِ مُبَشِّراً، وخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً». [خ١٠٩]

«بَعَثَهُ حِينَ لا عَلَمٌ قَائِمٌ، ولا مَنَارٌ سَاطِعٌ، ولا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ». [خ١٩٦]

«ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، والْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، والْمِنْهَاجِ الْبَادِي، والْكِتَابِ الْهَادِي، أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلا بِهَا ذِكْرُهُ، وامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، ومَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، ودَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ». [خ١٦١]

«أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَة مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتَشَار مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، والدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَىٰ حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا[٢]، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَىٰ، وَظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرِّدَىٰ[٣]، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا[٤] السَّيْفُ». [خ٨٩]

---

(١) **رِيَاشاً**: الرياش: لباس الزينة.

(٢) **اغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا**: ذهاب الماء وانعدامه.

(٣) **دَرَسَتْ**: انطمست. **أَعْلاَمُ الرِّدَىٰ**: أدلة الهلاك.

(٤) **الشعار**: ما يلي البدن من اللباس، **والدثار**: ما يوضع فوقه. والمعنىٰ أن الخوف لم تكن يفارقهم.

«أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأمَمِ، وانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ[١]، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ والنُّورِ الْمُقْتَدَىٰ بِهِ». [خ١٥٨]

«أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وتَنَازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ، فَقَفَّىٰ بِهِ الرُّسُلَ، وخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ والْعَادِلِينَ بِهِ». [خ١٣٣]

«أَمِينُ وَحْيِهِ، وخَاتَمُ رُسُلِهِ، وبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، ونَذِيرُ نِقْمَتِهِ». [خ١٧٣]

«فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، وبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللهُ بِهِ الصَّدْعَ، ورَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ والضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ[٢]». [خ٣٣١]

«اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ، ومِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ[٣]، وسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ[٤]، ومَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، ويَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.....طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وأَحْمَىٰ مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وآذَانٍ صُمٍّ، وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، ومَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، ولَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ[٥]، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالأَنْعَامِ

---

(١) **الْمُبْرَمِ**: الأمر المُحكم.

(٢) **الصَّدْعَ**: الشَّق. **رَتَقَ**: رقع. **الْفَتْقَ**: المنفصل من أجزائه. **الْوَاغِرَةِ**: الداخلة. **الْقَادِحَةِ**: التي تشعل النار.

(٣) **ذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ**: الذؤابة: الخصلة من الشعر، والمراد أنه من أرفع الناس مكانة وأعلاهم منزلة..

(٤) **سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ**: خلاصة بطحاء مكة.

(٥) **زِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ**: الزند والزناد: عود يورىٰ به النار، ويسمىٰ قدْحاً. والمعنىٰ: أنهم متخبطون في الجهالات ولم يسيروا علىٰ هدىٰ وعلم ثاقب.

السَّائِمَةِ، والصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ. قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لأَهْلِ الْبَصَائِرِ، ووَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا[١]، وأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وظَهَرَتِ الْعَلامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا[٢]». [خ١٠٨]

«أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ، وشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ ولا مُقَصِّرٍ، وجَاهَدَ فِي اللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ ولا مُعَذِّرٍ، إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى». [خ١١٦]

«بَعَثَهُ والنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، واسْتَخَفَّتْهُمُ[٣] الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وبَلاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ». [خ٩٥]

«مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، ومَمَاهِدِ السَّلامَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ[٤]، دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ[٥]، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلامُهُ بَيَانٌ، وصَمْتُهُ لِسَانٌ». [خ٩٦]

---

(١) **انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لأَهْلِ الْبَصَائِرِ**: انكشفت الأسرار لأصل العقول المبصرة. **لِخَابِطِهَا**: السائر عليها. يقصد أن الرسول صلوات الله عليه وعلى آله قد أوضح طريق الحق، وكشف عن طريق الضلال.

(٢) **أَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا**: كشفت عن وجهها بما ظهر من أماراتها. **مُتَوَسِّمِهَا**: طالبها.

(٣) **اسْتَزَلَّتْهُمُ**: أدت بهم إلى الوقوع في الزلل. **اسْتَخَفَّتْهُمُ**: أوقعتهم في الطيش والجهل.

(٤) **أَزِمَّةُ**: جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة، والمعنى أن الأزمة مصروفة عنه دون غيره.

(٥) **الضَّغَائِنَ**: الأحقاد. **الثَّوَائِرَ**: جمع ثائرة.

«فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ بِالْحَقِّ؛ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، ولِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، ولِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ، فَتَجَلَّىٰ لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمُثُلاتِ، واحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ». [خ١٤٧]

«ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ بِالْحَقِّ، حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الانْقِطَاعُ، وأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاطِّلاعُ، وأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَىٰ سَاقٍ، وخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ[1]، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، واقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وعَفَاءٍ[2] مِنْ أَعْلامِهَا، وتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا، جَعَلَهُ اللهُ بَلاغاً لِرِسَالَتِهِ، وكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، ورَبِيعاً لأَهْلِ زَمَانِهِ، ورِفْعَةً لأَعْوَانِهِ، وشَرَفاً لأَنْصَارِهِ». [خ١٩٨]

«حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، شَهِيداً وبَشِيراً ونَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً[3]». [خ١٠٥]

«فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّىٰ، وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّىٰ، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَىٰ اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، والْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا

(١) **سَاقٍ**: شدة. **مِهَادٌ**: مستقر، وخشونة المهاد كناية عن شدة آلام الدنيا وسوء أحوالها. **أَزِفَ**: قرب.
(٢) **تَصَرُّمٍ**: تقطّع. **انْفِصَامٍ**: انقطاع. **عَفَاءٍ**: انطماس. **أَعْلامِهَا**: دلائلها الواضحة.
(٣) **شِيمَةً**: خلقاً. **دِيمَةً**: مطراً، كناية عن جوده وإحسانه.

قَضْماً[١]، ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وأَخْمَصُهُمْ[٢]مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إلا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ ورَسُولُهُ –يعني الدنيا– وتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ ورَسُولُهُ لَكَفَىٰ بِهِ شِقَاقاً لله، ومُحَادَّةً[٣]عَنْ أَمْرِ الله، ولَقَدْ كَانَ صلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ يَأْكُلُ عَلَىٰ الأَرْضِ، ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، ويَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، ويَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، ويُرْدِفُ خَلْفَهُ، ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَىٰ بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ، فَيَقُولُ: «يَا فُلانَةُ –لإِحْدَىٰ أَزْوَاجِهِ– غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا» فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ؛ لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، ولا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، ولا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وأَشْخَصَهَا[٤]عَنِ الْقَلْبِ، وغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ. ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ الله صلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَىٰ مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ[٥]، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ؛ فَقَدْ كَذَبَ والله الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ، وإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ، حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا

---

(١) **قَضْماً**: القضم: الأكل بأطراف الأسنان.

(٢) **كَشْحاً**: الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع. **أَخْمَصُهُمْ**: أكثرهم جوعاً..

(٣) **مُحَادَّةً**: المحادة: المخالفة في عناد.

(٤) **رِيَاشاً**: الرياش: اللباس الفاخر. **أَشْخَصَهَا**: أبعدها.

(٥) **زُوِيَتْ عَنْهُ**: أبعدت عنه. **زُلْفَتِهِ**: منزلته العليا وقربه من الله تعالى.

لَهُ وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّىٰ مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، واقْتَصَّ أَثَرَهُ، ووَلَجَ[1] مَوْلِجَهُ، وإلا فَلا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ عَلَماً لِلسَّاعَةِ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً[2]، ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَىٰ حَجَرٍ، حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ، وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ. واللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، ولَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟! فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي؛ فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَىٰ[3]». [خ١٦٠]

من معجزات النبي صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ:

«وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ المَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسَأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ لهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَمَا تَسْأَلُونَ؟». قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّىٰ تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَىٰ خَيْرٍ، وَإِنَّ

(١) **زَوَاهَا**: أبعدها. **تَأَسَّىٰ**: اقتدىٰ. **وَلَجَ مَوْلِجَهُ**: دخل مدخله في طرح الدنيا، والإعراض عنها.

(٢) **خَمِيصاً**: خالي البطن، كناية عن عدم تمتعه بالدنيا.

(٣) **السُّرَىٰ**: السير ليلاً. والمعنىٰ: في الصباح يحمد القوم سيرهم ليلاً لقطعهم مسافة كبيرة في ظلمة الليل.

فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ[١]، وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ». ثُمَّ قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤمِنِينَ بِالله وَاليَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ الله، فَانْقَلِعِي بعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ الله». فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفِرفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَىٰ ذلِكَ قَالُوا ـ عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا. فَأَمَرَهَا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً: فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ الله، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ الله تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هذَا! (يَعْنُونَنِي)». [خ١٩٢]

ومن خطبة له عليه السلام علم فيها الناس الصلاة علىٰ النبي صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ :

«اللهُمَّ دَاحِيَ الْمُدْحُوَّاتِ، ودَاعِمَ الْمُسْمُوكَاتِ[٢]، وجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَىٰ فِطْرَتِهَا؛

---

(١) **لاَ تَفِيئُونَ:** لا ترجعون. **الْقَلِيبِ:** البئر، ويعني به بئر بدر.

(٢) **دَاحِيَ الْمُدْحُوَّاتِ:** باسط المبسوطات، وهي الأرضين. **الْمُسْمُوكَاتِ:** المرفوعات، وهي السموات.

شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، ونَوَامِيَ[١] بَرَكَاتِكَ، عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، والْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، والدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ[٢]، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ[٣] قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ[٤]، ولا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَىٰ نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّىٰ أَوْرَىٰ قَبَسَ[٥] الْقَابِسِ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ[٦]، وهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ، وأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلامِ ونَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ[٧]، فَهُوَأَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، ورَسُولُكَ إِلَىٰ الْخَلْقِ. اللهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، واجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللهُمَّ وأَعْلِ عَلَىٰ بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، واجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، ومَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وخُطْبَةٍ فَصْلٍ، اللهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ، وقَرَارِ النِّعْمَةِ، ومُنَىٰ الشَّهَوَاتِ، وأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ[٨]، ومُنْتَهَىٰ الطُّمَأْنِينَةِ، وتُحَفِ الْكَرَامَةِ». [٧٢]

---

(١) **نَوَامِيَ**: زوائد.

(٢) **الدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ**: الذي ضرب رأس الباطل وردّ هجمات الضلال.

(٣) **اضْطَلَعَ**: نهض بها بقوة وعزيمة.

(٤) **مُسْتَوْفِزاً**: مسارعاً. **غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ**: غير ناكص ولا متأخر عن المضي فيما ما أمر به.

(٥) **أَوْرَىٰ قَبَسَ القَابِسِ**: أضاء نار القابس: وهو من يطلب النار للإضاءة والاستدفاء.

(٦) **الْخَابِطِ**: المتخبط، وهو الذي يسير ليلا علىٰ غير هدىٰ.

(٧) **مُوضِحَاتِ الأَعْلامِ**: واضحات الطرق. **نَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ**: الأحكام الواضحة البينة.

(٨) **مُنَىٰ الشَّهَوَاتِ**: ما يتمناه الإنسان من المشتهيات. **رَخَاءَ الدَّعَةِ**: سعة الحال سكون النفس وراحة البال.

آل البيت

آل البيت «ع» وشرف مكانتهم:

«نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَىٰ، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي»

«بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ ذَرْوَةَ العلْيَاءَ، وبِنَا أَفْجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ[١]». [خ٤]

«انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، واتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًىٰ، ولَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًىٰ، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا[٢]، وإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، ولا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، ولا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا». [خ٩٧]

«هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ[٣]، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ[٤]، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ[٥]» [خ٢]

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ؟ والأَعْلامُ قَائِمَةٌ، والآيَاتُ وَاضِحَةٌ، والمَنَارُ[٦]

---

(١) **تَسَنَّمْتُمُ ذَرْوَةَ العلْيَاءَ:** ركبتم سنامها، يعني ارتقيتم مرتبة عالية. **أَفْجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ:** دخلتم في الفجر بعد ظلام آخر ليلة من الشهر، بمعنىٰ أن ما كان لهم أن يعرفوا النور والهداية لولا مبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وجهاد أهل البيت وتضحياتهم .

(٢) **سَمْتَهُمْ:** حالهم. **رَدًىٰ:** هلاك. **لَبَدُوا:** أقاموا.

(٣) **لَجَأُ أَمْرِهِ:** ملاذ أمره، ويقصد به النبي صلوات الله عليه وعلىٰ آله.

(٤) **عَيْبَةُ عِلْمِهِ:** وعاء علمه. **مَوْئِلُ حُكْمِهِ:** مرجع حكمه .

(٥) **فَرَائِصِهِ:** جمع فريصة، وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف.

(٦) **تُؤْفَكُونَ:** تصرفون عن الأمر الواضح البين. **الأَعْلامُ:** الأدلة الواضحة من معجزات وغيرها. **المَنَارُ:** المنارات، وهي الأعلام التي يستدل بها علىٰ الطريق.

مَنْصُوبَةٌ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ وكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وهُمْ أَزِمَّةُ[1] الْحَقِّ، وأَعْلامُ الدِّينِ، وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ[2]. أَيُّهَا النَّاسُ؛ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ، ويَبْلَىٰ مَنْ يَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبَالٍ، فَلا تَقُولُوا بِمَا لا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، واعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ؛ وهُوَ أَنَا». [خ٨٧]

«لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولا يُسَوَّىٰ بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي[3]، وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ، الآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَىٰ أَهْلِهِ ونُقِلَ إِلَىٰ مُنْتَقَلِهِ». [خ٢]

«هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، ومَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ، لا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ، ولا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلامِ، ووَلائِجُ الاعْتِصَامِ[4]، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَىٰ نِصَابِهِ، وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ ورِعَايَةٍ، لا عَقْلَ سَمَاعٍ ورِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَهُ قَلِيلٌ». [خ٣٣٩]

---

(١) **أَزِمَّةُ**: جمع زمام وهوما تقاد به الدابة، والمعنىٰ أنه من تمسك بهم هدي إلىٰ الحق.

(٢) **رِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ**: أقبلوا عليهم إقبال الإبل العطشىٰ علىٰ موارد الماء.

(٣) **يَفِيءُ**: يرجع. **الْغَالِي**: المجاوز الحد بالإفراط.

(٤) **وَلائِجُ الاعْتِصَامِ**: الولائج: جمع وليجة وهي الملجأ، ويقصد بها ما يحتمي به المسافر من مطر أو نحوه.

«أَلا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَىٰ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ». [خ١٠٠]

«فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا». [خ١٥٤]

«نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ، ومُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وينَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا ومُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وعَدُوُّنَا ومُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ». [خ١٠٩]

«نَحْنُ الشِّعَارُ[1] والأَصْحَابُ، والْخَزَنَةُ والأَبْوَابُ، ولا تُؤْتَىٰ الْبُيُوتُ إِلا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً». [خ١٥٤]

«أَلا وإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، ولِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وهُوَ اللهُ الَّذِي لا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، ولا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ». [خ١٠٥]

«أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وبَغْياً عَلَيْنَا؟ أَنْ رَفَعَنَا اللهُ ووَضَعَهُمْ، وأَعْطَانَا وحَرَمَهُمْ، وأَدْخَلَنَا وأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَىٰ الْهُدَىٰ ويُسْتَجْلَىٰ الْعَمَىٰ، إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لا تَصْلُحُ عَلَىٰ سِوَاهُمْ ولا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ». [خ١٤٤]

«إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لا يَحْمِلُهُ إِلا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ، امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، ولا يَعِي حَدِيثَنَا إِلا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وأَحْلامٌ رَزِينَةٌ». [خ١٨٩]

---

(١) **الشعار**: هو ما يلي البدن من اللباس، والمراد: بطانة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وخاصته.

القرآن

«إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً، بِكِتَابٍ نَاطِقٍ، وأَمْرٍ قَائِمٍ، لا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلا هَالِكٌ».[خ١٦٩]

«ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهَ عَنْ مُقَامِ البَلْوَىٰ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ في أُمَمِها، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً، بِغَيْرِ طَرِيقٍ واضِحٍ، ولاَ عَلَمٍ قَائِمٍ؛ كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ، مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ. بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَىٰ العِبَادِ في جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَت في الكِتابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُوم في السُّنَّهِ نَسْخُهُ، وَوَاجب في السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ في الكِتابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِب بِوَقْتِهِ، وَزَائِل في مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبير أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ في أَدْنَاهُ، ومُوَسَّعٍ في أَقْصَاهُ». [خ١]

«ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، نُوراً لا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وسِرَاجاً لا يَخْبُو[1] تَوَقُّدُهُ، وبَحْراً لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، ومِنْهَاجاً لا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وشُعَاعاً لا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وفُرْقَاناً لا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وتِبْيَاناً لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وشِفَاءً لا تُخْشَىٰ أَسْقَامُهُ، وعِزّاً لا تُهْزَمُ

(١) يَخْبُو: ينطفئ.

أَنْصَارُهُ، وحَقّاً لا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ، فَهُوَ مَعْدِنُ الإيمَانِ وبُحْبُوحَتُهُ[١]، وينَابِيعُ الْعِلْمِ وبُحُورُهُ، ورِيَاضُ الْعَدْلِ وغُدْرَانُهُ[٢]، وأَثَافِيُّ الإسْلامِ وبُنْيَانُهُ، وأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وغِيطَانُهُ[٣]، وبَحْرٌ لا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وعُيُونٌ لا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، ومَنَاهِلُ لا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ[٤]، ومَنَازِلُ لا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وأَعْلامٌ لا يَعْمَىٰ عَنْهَا السَّائِرُونَ، وآكَامٌ لا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ[٥]، جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، ومَحَاجَّ[٦] لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، ودَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، ونُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وعِزّاً لِمَنْ تَوَلاهُ، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وهُدًىٰ لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ[٧]، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ، ومَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ[٨]، وعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ، وحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ، وحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ». [خ١٩٨]

---

(١) **بُحْبُوحَتُهُ**: وسطه وخياره.

(٢) **رِيَاضُ**: جمع روضة وهي مستنقع الماء في العشب. **غُدْرَانُهُ**: الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل.

(٣) **أَثَافِيُّ**: جمع أثفية، ، وهي الواحدة من الأحجار التي يستقر عليها الْقِدرُ. **غِيطَانُهُ**: جمع غَوط، وهو المكان المنخفض من الأرض.

(٤) **لا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ**: لا ينقصها من اغترف منها. **لا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ**: لا ينقصها الشاربون منها.

(٥) **أَعْلامٌ**: جمع علم وهو منارات الطريق. **آكَامٌ**: مرتفعات. **الْقَاصِدُونَ**: من قصدها وأرادها.

(٦) **مَحَاجَّ**: جمع محجّة، وهي الجادّة من الطريق.

(٧) **مَعْقِلاً**: حصناً. **ذِرْوَتُهُ**: أصله، أو أعلاه. **انْتَحَلَهُ**: ادّعاه وتلبّس به.

(٨) **فَلْجاً**: ظفراً وفوزاً. **مَطِيَّةً**: راحلة. **تَوَسَّمَ**: تأمّل. **جُنَّةً**: وقاية. **اسْتَلأَمَ**: لبس لامة الحرب.

«إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ[١]، وبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لا تَفْنَىٰ عَجَائِبُهُ، ولا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، ولا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلا بِهِ». [خ١٨]

«وعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ الله فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، والنُّورُ الْمُبِينُ، والشِّفَاءُ النَّافِعُ، والرِّيُّ النَّاقِعُ[٢]، والْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، والنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، ولا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، ولا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ ووُلُوجُ السَّمْعِ[٣]، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ». [خ١٥٦]

«أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأمَمِ، وانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ[٤]، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ والنُّورِ الْمُقْتَدَىٰ بِهِ. ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ولَنْ يَنْطِقَ، ولَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ، أَلا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، والْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، ودَوَاءَ دَائِكُمْ، ونَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ». [خ١٥٨]

«وكِتَابُ الله بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؛ نَاطِقٌ لا يَعْيَا لِسَانُهُ، وبَيْتٌ لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وعِزٌّ لا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ». [خ١٣٣]

«وفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ»

«وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ، والْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ،

---

(١) **أَنِيقٌ**: جميل، مُعجِب.

(٢) **الرِّيُّ**: المروي للظمأ. **النَّاقِعُ**: الذي يزيل العطش ويقطعه.

(٣) **لا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ ووُلُوجُ السَّمْعِ**: لا يبليه كثرة ترديده وسماعه.

(٤) **الْمُبْرَمِ**: المُحكم.

والمُحَدِّثُ الَّذِي لا يَكْذِبُ، ومَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى. واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، ولا لأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، واسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ[1]، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ؛ وهُوَ الْكُفْرُ، والنِّفَاقُ، والْغَيُّ، والضَّلالُ، فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، وتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، ولا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ. واعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، ومَنْ مَحَلَ بِهِ[2] الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ[3] مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ؛ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وأَتْبَاعِهِ، واسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، واسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، واتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، واسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ». [خ١٧٦]

«وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وسَبَبُهُ الأَمِينُ، وفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ، ومَا لِلْقَلْبِ جِلاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ!». [خ١٧٦]

«فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ،

---

(١) **فَاقَةٍ**: فقر، والمراد: الحاجة إلى هاد ومرشد. **لأْوَائِكُمْ**: اللأواء: الحاجة والشدة.

(٢) **مَحَلَ بِهِ**: حاججه بكشف سيئاته.

(٣) **حَارِثٍ**: عامل.

وارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ[١]، أَتَمَّ نُورَهُ، وأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وقَبَضَ نَبِيَّهُ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ وقَدْ فَرَغَ إِلَىٰ الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَىٰ بِهِ». [خ١٨٣]

«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إلا ويَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ ويَمَلُّهُ؛ إلا الْحَيَاةَ، فَإِنَّهُ لا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وسَمْعٌ لِلأُذُنِ الصَّمَّاءِ، ورِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وفِيهَا الْغِنَىٰ كُلُّهُ والسَّلامَةُ، كِتَابُ الله تُبْصِرُونَ بِهِ، وتَنْطِقُونَ بِهِ، وتَسْمَعُونَ بِهِ، ويَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، ويَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ، ولا يَخْتَلِفُ فِي الله، ولا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ الله». [خ١٣٣]

الإسلام

«الْحَمْدُ لله الَّذِي شَرَعَ الإِسْلامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ[٢]، وأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَىٰ مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، ونُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، ولُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ[٣]، وتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، ونَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، ورَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وأَوْضَحُ الْوَلائِجِ[٤]، مُشْرَفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ[٥]، رَفِيعُ الْغَايَةِ،

---

(١) **ارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ**: جعل نفوسهم رهينة بما أخذ عليهم من الميثاق.

(٢) **وَرَدَهُ**: جاءه طالباً ري عطشه.

(٣) **لُبّاً**: عقلا وبصيرة. **تَوَسَّمَ**: تأمّل.

(٤) **جُنَّةً**: وقاية. **أَبْلَجُ**: واضح. **الْوَلائِجِ**: جمع وليجة وهي دخائل النفوس وبواطنها.

(٥) **الْمِضْمَارَ**: الموضع والزمن الذي تضمّر فيه الخيل لتخف في الجري يوم السباق.

جَامِعُ الْحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السَّبْقَةِ[١]، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ، التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، والصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، والْمَوْتُ غَايَتُهُ، والدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، والْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، والْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ». [خ١٠٦]

«بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ؛ لِئَلا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ». [خ١٤٤]

«لَأَنْسُبَنَّ الإسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي، الإسْلامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، والتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، والْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، والتَّصْدِيقُ هُوَ الإقْرَارُ، والإقْرَارُ هُوَ الأدَاءُ، والأدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ»

«إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَصَّكُمْ بِالإسْلامِ، واسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وذَلِكَ لأَنَّهُ اسْمُ سَلامَةٍ، وجِمَاعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْهَجَهُ، وبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وبَاطِنِ حُكْمٍ، لا تَفْنَىٰ غَرَائِبُهُ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، ومَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلا بِمَفَاتِيحِهِ، ولا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَىٰ حِمَاهُ[٢]، وأَرْعَىٰ مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي، وكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي». [خ١٥٢]

«إِنَّ هَذَا الإسْلامَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، واصْطَنَعَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ، وأَصْفَاهُ

---

(١) **الْحَلْبَةِ**: أفراس تجمع من جهات شتىٰ للمسابقة ، وأراد أن الإسلام جامع لجميع خصال الخير مؤلف بين أشتاتها. **السَّبْقَةِ**: جائزة السباق العظيمة.

(٢) **أَحْمَىٰ حِمَاهُ**: جعله حمًى لا يستباح.

خِيَرَةَ خَلْقِهِ[١]، وأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ، وأَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، ووَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وخَذَلَ مُحَادِّيهِ[٢] بِنَصْرِهِ، وهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلالَةِ بِرُكْنِهِ، وسَقَىٰ مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ[٣]، ثُمَّ جَعَلَهُ لا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ[٤]، ولا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، ولا انْهِدَامَ لأَسَاسِهِ، ولا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، ولا انْقِلاعَ لِشَجَرَتِهِ، ولا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، ولا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، ولا جَذَّ لِفُرُوعِهِ، ولا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، ولا وُعُوثَةَ[٥] لِسُهُولَتِهِ، ولا سَوَادَ لِوَضَحِهِ، ولا عِوَجَ لانْتِصَابِهِ، ولا عَصَلَ فِي عُودِهِ، ولا وَعَثَ لِفَجِّهِ[٦]، ولا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، ولا مَرَارَةَ لِحَلاوَتِهِ، فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا[٧]، وثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا، ويَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، ومَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، ومَنَارٌ اقْتَدَىٰ بِهَا سُفَّارُهَا[٨]، وأَعْلامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، ومَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا[٩]، جَعَلَ اللهُ فِيهِ مُنْتَهَىٰ رِضْوَانِهِ، وذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وسَنَامَ[١٠] طَاعَتِهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ وَثِيقُ الأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ،

---

(١) **اصْطَنَعَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ**: جعله في حفظه ورعايته. **أَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ**: أثر به أفضل الخلق عنده وهو الرسول صلىٰ الله عليه وآله.

(٢) **مُحَادِّيهِ**: أشد أعدائه ومخالفيه.

(٣) **أَتْأَقَ الْحِيَاضَ**: ملأها. **مَوَاتِحِهِ**: جمع ماتح، وهو المستقي من الماء ينزعه من البئر.

(٤) **لا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ**: لا تنقطع عروته، والعروة هي العُقدة التي تجعل في الحبل لرفع الشيء الثقيل به .

(٥) **عَفَاءَ**: طمْس. **جَذَّ**: قطع. **ضَنْكَ**: ضيق. **وُعُوثَةَ**: مشقة.

(٦) **عَصَلَ**: الاعوجاج. **وَعَثَ**: مشقة. **فَجِّهِ**: الفج: الطريق الواسع بين جبلين.

(٧) **أَسَاخَ**: ثبت. **أَسْنَاخَهَا**: أصولها.

(٨) **مَنَارٌ**: ما ارتفع من الأرض فتوقد عليه نار أو يجعل عليه سراج. **سُفَّارُهَا**: المسافرون.

(٩) **أَعْلامٌ**: منصوبات للدلالة علىٰ الطريق. **وُرَّادُهَا**: جمع وارد وهو من يقصد الماء ليشرب.

(١٠) **سَنَامَ**: سنام الجمل: أعلىٰ جزء فيه.

مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعْوِذُ الْمَثَارِ[١]، فَشَرِّفُوهُ، واتَّبِعُوهُ، وأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ». [خ١٩٨]

«فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دَيْناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، ويَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، والْعَذَابِ الْوَبِيلِ[٢]». [خ١٦١]

فرائض الإسلام

«فَرَضَ اللهُ الإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، والصَّلاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ، والزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ، والصِّيَامَ ابْتِلاءً لإِخْلاصِ الْخَلْقِ، والْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ، والْجِهَادَ عِزّاً لِلإِسْلامِ، والأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ، وصِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ، والْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، ومُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ، وتَرْكَ الزِّنَى تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، والشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ، وتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ، والسَّلامَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ، والأَمَانَةَ نِظَاماً لِلأُمَّةِ، والطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلإِمَامَةِ»

الصلاة:

«تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاةِ، وحَافِظُوا عَلَيْهَا، واسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا

(١) **مُعْوِذُ**: مُلجِئ. **الْمَثَارِ**: هيجان الغبار، والمعنى: لو طلب أحد إثارة هذا الدين لألجأه إلى مشقة لقوته.
(٢) **تَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ**: ينقطع عنه ما يتمسك به. **تَعْظُمْ كَبْوَتُهُ**: تكبر سقطته. **مَآبُهُ**: مرجعه. **الْوَبِيلِ**: الشديد.

كانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً، أَلا تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ؛ وإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وتُطْلِقُهَا إِطْلاقَ الرِّبَقِ، وشَبَّهَهَا رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وآله بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَىٰ بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ[1]، وقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، ولا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ ولا مَالٍ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وإِقامِ الصَّلاةِ وإِيتاءِ الزَّكاةِ» وكَانَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وآله نَصِباً[2] بِالصَّلاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ الله سُبْحَانَهُ: ﴿وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْها﴾ فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ، ويُصَبِّرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ». [خ١٩٩]

الزكاة:

«ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاةِ قُرْبَاناً لأَهْلِ الإِسْلامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، ومِنَ النَّارِ حِجَازاً ووِقَايَةً، فَلا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، ولا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ[3] الأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ». [خ١٩٩]

---

(١) **الْحَمَّةِ**: عين الماء الحار. **الدَّرَنِ**: الوسخ.

(٢) **نَصِباً**: تعِباً.

(٣) **لَهَفَهُ**: حزنه وتأسّفه. **مَغْبُونُ**: منقوص.

الحج:

«وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيأْلَهُونَ إِلَيْهِ[1] وُلُوهَ الْحَمَامِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتِهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بمَلاَئِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِسْلامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَقَّه، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ[2]، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾». [خ١]

* * *

(١) **يَرِدُونَهُ**: يفدون إليه. **يأْلَهُونَ إِلَيْهِ**: يلوذون به .
(٢) **وِفَادَتَهُ**: زيارته .

سلسلة روائع نهج البلاغة (٣)

المواعظ

جمعها

عبد الرحمن محمد عبدالملك المروني

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م



التقوى

الوصية بالتقوىٰ:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ وطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، والْمَنْجَاةُ أَبَداً» [خ١٦١]

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَىٰ الْعِبَادُ بِهِ وخَيْرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِنْدَ اللهِ». [خ١٧٣]

«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ، والْمُوجِبَةُ عَلَىٰ اللهِ حَقَّكُمْ، وأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ، وتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَىٰ اللهِ، فَإِنَّ التَّقْوَىٰ فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ والْجُنَّةُ، وفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ، مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وسَالِكُهَا رَابِحٌ، ومُسْتَوْدَعُهَا[1] حَافِظٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَىٰ الأَمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ والْغَابِرِينَ؛ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً، إِذَا أَعَادَ اللهُ مَا أَبْدَىٰ، وأَخَذَ مَا أَعْطَىٰ، وسَأَلَ عَمَّا أَسْدَىٰ[2]، فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا، أُولَئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَداً، وهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: «وقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ» فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وأَلِظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، واعْتَاضُوهَا[3] مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً، ومِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً، أَيْقِظُوا بِهَا

---

(١) **الْجُنَّةُ**: الواقية من المهالك. **مُسْتَوْدَعُهَا**: من كانت عنده وديعة محفوظة.

(٢) **أَسْدَىٰ**: منح وأعطىٰ.

(٣) **أَهْطِعُوا**: اسرعوا. **وأَلِظُّوا**: ألحُّوا. **اعْتَاضُوهَا**: اجعلوا عوضها، أو استبدلوا بها.

نَوْمَكُمْ، واقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ، وارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ، ودَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ، وبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ[١]، واعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، ولا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا، أَلا فَصُونُوهَا وتَصَوَّنُوا بِهَا، وكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً، وإِلَى الآخِرَةِ وُلاهاً[٢]. ولا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَىٰ، ولا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا، ولا تَشِيمُوا بَارِقَهَا، ولا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا[٣]، ولا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، ولا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، ولا تُفْتَنُوا بِأَعْلاقِهَا، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[٤]، ونُطْقَهَا كَاذِبٌ، وأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ، وأَعْلاقَهَا مَسْلُوبَةٌ، أَلا وهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ[٥]، والْجَامِحَةُ الْحَرُونُ، والْمَائِنَةُ الْخَئُونُ[٦]، والْجَحُودُ الْكَنُودُ[٧]، والْعَنُودُ الصَّدُودُ، والْحَيُودُ الْمَيُودُ[٨]، حَالُهَا انْتِقَالٌ، ووَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وعِزُّهَا ذُلٌّ، وجِدُّهَا هَزْلٌ، وعُلْوُهَا سُفْلٌ، دَارُ حَرَبٍ وسَلَبٍ، ونَهْبٍ وعَطَبٍ، أَهْلُهَا عَلَىٰ سَاقٍ وسِيَاقٍ[٩]، ولَحَاقٍ وفِرَاقٍ، قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، ولَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ،

---

(١) **الأَسْقَامَ**: الأمراض. **الْحِمَامَ**: الموت.

(٢) **تَصَوَّنُوا**: تحفّظوا. **وُلاهاً**: جمع واله، وهو الحزين على الشيء حتى يناله.

(٣) **لا تَشِيمُوا بَارِقَهَا**: لا تنتظروا برقها أن يمطر، والمراد لا تلتفتوا إليها ولا تنتظروا خيرها.

(٤) **نَاعِقَهَا**: صائحها، والمراد إذا أقبلت عليكم فأعرضوا عنها. **أَعْلاقِهَا**: نفائسها. **خَالِبٌ**: خادع.

(٥) **الْمُتَصَدِّيَةُ**: المعترضة للناس تميلهم إليها. **الْعَنُونُ**: القاصدة للمكر والخديعة.

(٦) **الْجَامِحَةُ**: الصعبة على راكبها. **الْحَرُونُ**: التي يطلب منها السير فتقف. **الْمَائِنَةُ**: الكاذبة. **الْخَئُونُ**: الخائنة.

(٧) **الْجَحُودُ**: الجاحد: من ينكر الشيء وهو علم به. **الْكَنُودُ**: لا تقر لصاحبها بنعمة.

(٨) **الْعَنُودُ**: شديدة العناد. **الصَّدُودُ**: كثيرة الصد والهجران. **الْحَيُودُ**: كثيرة الميول. **الْمَيُودُ**: المتغيّرة المضطربة.

(٩) **عَطَبٍ**: هلاك. **سَاقٍ**: هول. **وسِيَاقٍ**: سائقة للناس إلى المهالك، أو إلى الموت والقيامة.

وأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ[١]، فَمِنْ نَـاجٍ مَعْقُـورٍ، ولَحْـمٍ مَجْزُورٍ، وشِـلْوٍ[٢] مَـذْبُوحٍ، ودَمٍ مَسْفُوحٍ، وعَاضٍّ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ، ومُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْـهِ، وزَارٍ[٣] عَـلَىٰ رَأْيِـهِ، ورَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ، وقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وأَقْبَلَـتِ الْغِيلَـةُ، ولاتَ حِـينَ مَنَـاصٍ[٤]، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ؛ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وذَهَبَ مَا ذَهَبَ، ومَضَتِ الـدُّنْيَا لِحَـالِ بَالِهَـا، ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأَرْضُ وما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾». [خ١٩١]

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ والْقِوَامُ[٥]، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، واعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَىٰ أَكْنَانِ الدَّعَةِ[٦]، وأَوْطَانِ السَّعَةِ، ومَعَاقِلِ الْحِرْزِ، ومَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ، وتُظْلِمُ لَهُ الأَقْطَارُ، وتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ[٧]، ويُنْفَخُ فِي الصُّورِ؛ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، والصُّمُّ الرَّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً[٨]، ومَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً، فَلا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، ولا حَمِيمٌ[٩] يَنْفَعُ، ولا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ». [خ١٩٥]

---

(١) **الْمَعَاقِلُ**: الحصون. **أَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ**: أعجزتهم المحاولات والفِكَر عن النجاة من أهوالها ومكارهها.

(٢) **مَعْقُورٍ**: مجروح. **مَجْزُورٍ**: مسلوخ الجلد. **شِلْوٍ**: بدن.

(٣) **مُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ**: واضع خديه على مرفقيه. **زَارٍ**: الزاري: المقبح لرأيه اللائم على نفسه.

(٤) **الْغِيلَةُ**: الاغتيال. **لاتَ حِينَ مَنَاصٍ**: ليس الحين حين فرار.

(٥) **الزِّمَامُ**: ما تقاد به الدابة. **الْقِوَامُ**: ما يقيم حياتهم من عيش وغيره.

(٦) **أَكْنَانِ**: جمع كِن، ما يستكن به من سقف ونحوه. **الدَّعَةِ**: خفض العيش وسعته.

(٧) **صُرُومُ**: جمع صرم، وهي الجماعة من الإبل. **الْعِشَارِ**: جمع عشراء، وهي الناقة مضى لحملها عشرة أشهر. وتعطيلها: إهمالها. والمراد أن يوم القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنفسه.

(٨) **صَلْدُهَا**: الصلد: الصلب الأملس. **سَرَاباً رَقْرَقاً**: يخيل للرائي أنه ماء صافي.

(٩) **مَعْهَدُهَا**: المحل الذي يعهد وجودها فيه. **سَمْلَقاً**: مستوياً. **حَمِيمٌ**: صديق محب.

«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ؛ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ[١]، وإِلَيْهِ مُنْتَهَىٰ رَغْبَتِكُمْ، ونَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وبَصَرُ عَمَىٰ أَفْئِدَتِكُمْ، وشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وصَلاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وجِلاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ[٢]، وضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ. فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ[٣]، ودَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ، ولَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاعِكُمْ، وأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، ومَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ، وجُنَّةً[٤] لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، ومَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، ونَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ، ومَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَىٰ عَزَبَتْ[٥] عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، واحْلَوْلَتْ لَهُ الأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وانْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا، وهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا[٦]، وتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، ووَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا[٧].

---

(١) **طَلِبَتِكُمْ**: ما تطلبونه وترجون حصوله.

(٢) **عَشَا أَبْصَارِكُمْ**: فسادها وعماها. **فَزَعِ**: خوف. **جَأْشِكُمْ**: الجأش: اضطراب القلب لتوقع المكروه.

(٣) **شِعَاراً**: ما يلي البدن من اللباس، **دِثَارِكُمْ**: الدثار: ما يوضع فوقه.

(٤) **مَنْهَلاً**: المنهل: مورد الماء للشرب. **وُرُودِكُمْ**: الورود: قصد الماء للشرب. **جُنَّةً**: وقاية.

(٥) **مَتَالِفَ**: أسباب هلاك. **مُكْتَنِفَةٍ**: مجتمعة. **أُوَارِ نِيرَانٍ**: حرارة النار ولهيبها. **عَزَبَتْ**: غابت.

(٦) **إِنْصَابِهَا**: إتعابها. **قُحُوطِهَا**: جدبها.

(٧) **نُضُوبِهَا**: يباسها. **وَبَلَتْ**: أمطرت. **إِرْذَاذِهَا**: الرذاذ: المطر الضعيف المتطاير كالغبار.

فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، ووَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ، فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، واخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ». [١٩٨]

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ، وبِهَا الْمَعَاذُ، زَادٌ مُبْلِغٌ، ومَعَاذٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، ووَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وفَازَ وَاعِيهَا. عِبَادَ اللهِ؛ إِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ، وأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّىٰ أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ[١]، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، والرِّيَّ بِالظَّمَإِ، واسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وكَذَّبُوا الأَمَلَ[٢] فَلاحَظُوا الأَجَلَ». [خ١١٤]

«فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، ولَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ؛ إِلا وجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً، وآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ. واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَىٰ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، ولَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَئُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وحَثَّكُمْ عَلَىٰ الشُّكْرِ، وافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَىٰ، وجَعَلَهَا مُنْتَهَىٰ رِضَاهُ وحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ[٣] ونَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وإِنْ

---

(١) **أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ**: أشغلتهم بالعبادة في ظلام الليل. **أَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ**: الهواجر: جمع هاجرة، وهي شدة الحر بالنهار. والمراد كثرة صيامهم في أيام الصيف وشدة الحر.

(٢) **النَّصَبِ**: التعب. **الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

(٣) **بِعَيْنِهِ**: مطلع عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

أَعْلَنْتُمْ كَتبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِراماً، لا يُسْقِطُونَ حَقّاً، ولا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً. واعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ، ويُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، ويُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، ونُورُهَا بَهْجَتُهُ، وزُوَّارُهَا مَلائِكَتُهُ، ورُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ. فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وسَابِقُوا الآجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ[1]، ويَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ، ويُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَىٰ سَفَرٍ، مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ، وأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ. واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَىٰ النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا، أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، والْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، والرَّمْضَاءِ[2] تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وقَرِينَ شَيْطَانٍ؟ أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَىٰ النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا[3] جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ؟ أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ؛ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ[4]، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، ونَشِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّىٰ أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ!. فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ؛ وأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا

---

(١) **الأَمَل**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

(٢) **الرَّمْضَاء**: شدة الحر في الصيف.

(٣) **حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً**: تحطّمت. **زَجَرَهَا**: زاد في إشعالها. **تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا**: تدافعت مسرعة من أبوابها.

(٤) **الْيَفَنُ**: الشيخ المسن. **لَهَزَهُ**: خالطه. **الْقَتِيرُ**: الشيب.

فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، واسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ، فَجُودُوا بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، ولا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ ولَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾. فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، ولَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ ولَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، واسْتَقْرَضَكُمْ ولَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وأَزَارَهُمْ مَلائِكَتَهُ، وأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً، وصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَىٰ لُغُوباً ونَصَباً، «ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ». [خ١٨٣]

«عِبَادَ اللهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّىٰ مِنْهُ، وَلاَ يَبْقَىٰ سَرْمَداً مَا فِيهِ. آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ. فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ[1]، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ. اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوَىٰ دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لاَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ

(١) **تَحْدُوكُمْ**: تسوقكم. **الزَّاجِرِ**: سائق الإبل. **بِشَوْلِهِ**: إبله، والشول: ما مضىٰ علىٰ رضاعها سبعة أشهر.

إِلَيْهِ. أَلاَ وَبِالتَّقْوَىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا[١]، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَىٰ. عِبَادَ الله، اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُم، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ! فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ. قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَىٰ الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بَالظَّعْنِ[٢]، وَحُثِثْتُمْ عَلَىٰ الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لاَ يَدْرُونَ مَتَىٰ يُؤْمَرُونَ بَالسَّيْرِ، أَلاَ فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَىٰ عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ! عِبَادَ الله، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلاَ فِيمَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ. عِبَادَ الله، احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ. اعْلَمُوا، عِبَادَ الله، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لاَ تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلاَ يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ[٣]، وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لاَحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لَفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بَالْغِيَرِ،

---

(١) **حُمَةُ الْخَطَايَا**: الحُمة: سم العقرب وما يلسع من الهوام، والمراد: سطوة الخطايا وضررها.

(٢) **الظَّعْنِ**: السفر، والمراد هنا الرحيل عن الدنيا بالموت والفناء.

(٣) **ذُو رِتَاجٍ**: عظيم محكم الإغلاق.

وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ». [خ١٥٧]

«فَإِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، ونَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، ويَنْجُو الْهَارِبُ، وتُنَالُ الرَّغَائِبُ. فَاعْمَلُوا والْعَمَلُ يُرْفَعُ، والتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، والدُّعَاءُ يُسْمَعُ، والْحَالُ هَادِئَةٌ، والأَقْلامُ جَارِيَةٌ[١]، وبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً[٢]، فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، ومُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، ومُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، ووَاتِرٌ[٣] غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ، وأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ[٤]، وعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ[٥]، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ، واحْتِدَامُ عِلَلِهِ، وحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ[٦]، وغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ، ودُجُوُّ أَطْبَاقِهِ، وجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ[٧]. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً، فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ، وفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وعَفَّىٰ آثَارَكُمْ[٨]، وعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وقَرِيبٍ

(١) **الأَقْلامُ جَارِيَةٌ**: يعني في حال الحياة، بكتابة الأعمال خيرها وشرها.
(٢) **نَاكِساً**: يقلبكم من الحياة إلى الموت. **حَابِساً**: مانعاً من العمل. **خَالِساً**: خاطفاً.
(٣) **قِرْنٌ**: كفؤ شجاع. **وَاتِرٌ**: جاني، قاتل.
(٤) **تَكَنَّفَتْكُمْ**: أحاطتكم. **غَوَائِلُهُ**: دواهيه ومصائبه. **أَقْصَدَتْكُمْ**: رمتكم بسهمها. **مَعَابِلُهُ**: جمع معبلة، وهي النصل الطويل العريض.
(٥) **عَدْوَتُهُ**: عدوانه. **نَبْوَتُهُ**: نبوة السيف: أن يخطئ في الضربة فلا يصيب.
(٦) **دَوَاجِي ظُلَلِهِ**: سحبه المظلمة. **احْتِدَامُ عِلَلِهِ**: اشتداد أمراضه. **حَنَادِسُ**: ظلمات. **غَمَرَاتِهِ**: شدائده.
(٧) **دُجُوُّ أَطْبَاقِهِ**: ظلماته الكثيفة المتراكمة بعضها فوق بعض. **جُشُوبَةُ**: خشونة.
(٨) **نَجِيَّكُمْ**: مناجاتكم لبعضكم البعض. **نَدِيَّكُمْ**: مجالسكم التي تجتمعون فيها. **عَفَّىٰ آثَارَكُمْ**: محاها.

مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَدِّ والاجْتِهَادِ، والتَّأَهُّبِ والاسْتِعْدَادِ، والتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، ولا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأمَمِ الْمَاضِيَةِ، والْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا، وأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً[1]، وأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً، لا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، ولا يَحْفِلُونَ[2] مَنْ بَكَاهُمْ، ولا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ، فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ، غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، ولا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، ولا يَرْكُدُ بَلاؤُهَا[3]». **[خ٢٣٠]**

«فَاعْمَلُوا وأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، والصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، والتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ[4]، والْمُدْبِرُ يُدْعَى، والْمُسِيءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ، ويَنْقَطِعَ الْمَهَلُ[5]، ويَنْقَضِيَ الأجَلُ، ويُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وتَصْعَدَ الْمَلائِكَةُ، فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، ومِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، ومِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ، امْرُؤٌ خَافَ اللهَ وهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، ومَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وزَمَّهَا بِزِمَامِهَا[6]، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ». **[خ٣٣٦]**

---

(١) **دِرَّتَهَا**: لبنها. **غِرَّتَهَا**: غفلتها. **أَخْلَقُوا جِدَّتَهَا**: جعلوا جديدها خَلِقاً، أي بالياً قديماً. **أَجْدَاثاً**: قبوراً.

(٢) **لا يَحْفِلُونَ**: لا يبالون.

(٣) **نَزُوعٌ**: تنزع عن اللابس ما ألبسته. **لا يَرْكُدُ بَلاؤُهَا**: لا يسكن لها بلاء، أي كلما زال بلاء أتى غيره.

(٤) **نَفَسِ الْبَقَاءِ**: فسحة الأجل. **الصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ**: صحف كتابة الأعمال لم تقفل بعد. **مَبْسُوطَةٌ**: مقبولة.

(٥) **الْمُدْبِرُ**: المعرض عن الطاعة. **يُرْجَى**: يؤخر له في التوبة. **يَخْمُدَ الْعَمَلُ**: ينقطع بالموت. **الْمَهَلُ**: الإمهال.

(٦) **زَمَّهَا بِزِمَامِهَا**: قادها بزمامها، والزّمام: هو ما تقاد به الدابّة.

«رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَىٰ، ودُعِيَ إِلَىٰ رَشَادٍ فَدَنَا[١]، وأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ[٢] فَنَجَا، رَاقَبَ رَبَّهُ، وخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصاً، وعَمِلَ صَالِحاً، اكْتَسَبَ مَذْخُوراً، واجْتَنَبَ مَحْذُوراً، ورَمَىٰ غَرَضاً، وأَحْرَزَ عِوَضاً، كَابَرَ هَوَاهُ، وكَذَّبَ مُنَاهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، والتَّقْوَىٰ عُدَّةَ وَفَاتِهِ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ، ولَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ[٣]، اغْتَنَمَ الْمُهَلَ[٤]، وبَادَرَ الأَجَلَ، وتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ». [خ٧٦]

تخففوا تلحقوا:

«إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا[٥] عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا. الْفَرَائِضَ الْفَرائِضَ! أَدُّوهَا إِلَىٰ اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ. إِنَّ اللهَ تَعالَىٰ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلاَلاً غَيْرَ مَدْخُولٍ[٦]، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلاَصِ وَالتَّوحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَلاَ يَحِلُّ أَذَىٰ الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِمَا يَجِبُ. بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ،

---

(١) **دَنَا:** قرب من الرشاد الذي دعي إليه.

(٢) **حُجْزَةِ هَادٍ:** الحجزة: معقد الإزار، والمعنىٰ تمسك بالهداية واعتصم بها.

(٣) **الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ:** جادة الطريق الواضحة.

(٤) **اغْتَنَمَ الْمُهَلَ:** اغتنم المهلة، وهي مدة الحياة مع العافية.

(٥) **اصْدِفُوا:** اعرضوا.

(٦) **مَدْخُولٍ:** معيب.

فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ[١] مِنْ خَلْفِكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللهَ وَلاَ تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ». [خ١٦٧]

صفات المتقين:

روي أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّامٌ كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين؛ صف لي المتقين كأني أنظر إليهم. فتثاقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال: يا همّامُ، اتقِ اللهَ وأحْسِنْ، فَإِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ. فلم يقنع همّامٌ بِذَلِكَ القول حتّىٰ عزم عليه. فحمد الله وأثنىٰ عليه، وصلّىٰ علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله، ثم قال عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ. فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ؛ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاقْتِصَادُ[٢]، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ. وَلَوْلاَ الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ لَمْ تَسْتَقِرَّ

(١) **تَحْدُوكُمْ**: تسوقكم.

(٢) **مَلْبَسُهُمُ الْاقْتِصَادُ**: يقتصدون في ملبسهم، فليست ملا بسهم بالثمينة جدًّ، ولا بالرخيصة المُحتقرة.

أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَىٰ الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مَرْبِحَةٌ، يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُم. أَرَادَتْهُمُ الْدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ[1] ، مُفْتَرِشُونَ لِجَبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكْبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَىٰ الله تَعَالِي فِي فَكَاكِ رِقَابِهِم. وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمْ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ[2]، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الْنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: لَقَدْ خُولِطُوا[3]! وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ! لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ

(١) **زَفِيرَ جَهَنَّمَ**: صوت توقدها. **شَهِيقَهَا**: الشديد من زفيرها. **حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ**: مُنحنون راكعون.
(٢) **الْقِدَاحِ**: جمع قدح، وهو السهم، وبري القداح: نحتها وتسويتها.
(٣) **خُولِطُوا**: خالط عقولهم خلل لأمر عظيم وهو الخوف الشديد من الله وخشيتهم منه.

مُشْفِقُونَ[١]. إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسي! اللهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ. فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنىً، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ، وَنَشاطاً فِي هُدًىٰ، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ. يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ. يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ[٢] فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَىٰ، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمَ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً[٣] دِينُهُ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ. يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ. بَعِيداً فُحشُهُ ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ. فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ،

---

(١) **مُشْفِقُونَ**: خائفون.

(٢) **اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ**: صعب عليه انقيادها.

(٣) **حَرِيزاً**: محفوظا مُصاناً، والمراد أنه متمسك بدينه مبتعد عن الشهوات.

وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ. لاَ يَحِيفُ[١] عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ. لاَ يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ، وَلاَ يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ[٢]، وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، ولاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتّىٰ يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ». [خ١٩٣]

من كلام له عليه السلام في وصف أهل التقوىٰ والسالك الطريق إلى اللهّ سبحانه:

«قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا[٣]، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلاَمُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ[٤]، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ[٥]، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلاَئِفِ أَنْبِيَائِهِ». [خ١٨٢]

---

(١) **لاَ يَحِيفُ**: لا يظلم.

(٢) **لاَ يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ**: لا يدعو غيره بما يكره ويشمئز منه.

(٣) **جُنَّتَهَا**: الجُنّة: الوقاية، والمراد: ما يحفظ الحكمة علىٰ صاحبها من الزهد والورع.

(٤) **عَسِيبِ ذَنَبِهِ**: أصل الذنب. كناية عن شدة اجتهاده في الذبِّ عن الدين؛ لأن الحيوان إذا لحقه الأذى من ورائه من ذباب أو غيره فإنه يدفعه بفرع الذَّنَب، فإذا اشتد الأذى حرَّك جميع الذَّنَب من أصله.

(٥) **جِرَانَهُ**: جِران البعير ـ بالكسر ـ: مقدّمُ عنقه من مذبحه إلىٰ مَنْحَره؛ وإلصاق الجِران كناية عن التمكّن، يقال: ألصق جرانه في الأرض إذا استقر به المكان.

«كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ولَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الآخِرَةِ، ويَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ»

«قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، ولَطُفَ غَلِيظُهُ[1]، وبَرَقَ لَهُ لامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وتَدَافَعَتْهُ الأَبْوَابُ[2] إِلَى بَابِ السَّلامَةِ، ودَارِ الإِقَامَةِ، وثَبَتَتْ رِجْلاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ، فِي قَرَارِ الأَمْنِ والرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وأَرْضَى رَبَّهُ». [خ٢٢٠]

«واعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ؛ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، ولَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ، والْمَتْجَرِ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ، لا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، ولا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ»

«إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذْ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا،

---

(١) **أَحْيَا عَقْلَهُ**: بالعلم والتفكر. **أَمَاتَ نَفْسَهُ**: بالزهادة وكفها عن الشهوات. **دَقَّ جَلِيلُهُ**: صغر ما عظم منه، والمراد نحل بدنه. **لَطُفَ غَلِيظُهُ**: تلطفت أخلاقه وصفت نفسه.

(٢) **تَدَافَعَتْهُ الأَبْوَابُ**: انسدت عنه أبواب الشر، وتنقل من مقام إلى آخر حتى بلغ درجة الكمال.

واشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذِ اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، ورَأَوُا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلالاً، ودَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وسِلْمُ مَا عَادَىٰ النَّاسُ، بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ، وبِهِ عَلِمُوا، وبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ، وبِهِ قَامُوا، لا يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، ولا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ»

«أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَىٰ الإِسْلامِ فَقَبِلُوهُ، وقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وهِيجُوا إِلَىٰ الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ[1] إِلَىٰ أَوْلادِهَا، وسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ وبَعْضٌ نَجَا، لا يُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ، ولا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَىٰ، مُرْهُ الْعُيُونِ[2] مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ؟ أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، ونَعَضَّ الأَيْدِي عَلَىٰ فِرَاقِهِمْ». [خ١٢١]

من وصف الإمام عليه السلام لبعض الصالحين من أخوانه:

قال عليه السلام: «كَانَ لِي فِيمَا مَضَىٰ أَخٌ فِي الله، وكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلا يَشْتَهِي مَا لا يَجِدُ، ولا يُكْثِرُ إِذَا

(١) **فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ**: التوليه: التفريق، واللقاح: جمع لقحة، وهي الحلوب من الإبل، والمراد بيان حرصهم على الجهاد، وسرعة إجابتهم للداعي إليه، وإنهم لعظم حاله يفرقون اللقاح بأولادها استعظاماً لأمره.

(٢) **مُرْهُ الْعُيُونِ**: من مرهت العين: إذا ابيضت وتغيرت.

وَجَدَ، وكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ، ونَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ، وكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً، فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَلَيْثُ غَابٍ وصِلُّ وَادٍ، لا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ قَاضِياً، وكَانَ لا يَلُومُ أَحَداً عَلَىٰ مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّىٰ يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ، وكَانَ لا يَشْكُو وَجَعاً إِلا عِنْدَ بُرْئِهِ، وكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ، ولا يَقُولُ مَا لا يَفْعَلُ، وكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَىٰ الْكَلامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَىٰ السُّكُوتِ، وكَانَ عَلَىٰ مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَىٰ الْهَوَىٰ فَيُخَالِفُهُ، فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلائِقِ فَالْزَمُوهَا، وتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ»

الزهد

في الاشتغال بأمر الآخرة والإجمال في طلب الرزق:

«النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلانِ: عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَىٰ عَلَىٰ مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ ويَأْمَنُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ، وعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً، ومَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللهِ، لا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ».

«اعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ -وإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، واشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، وقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ- أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، ولَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وقِلَّةِ حِيلَتِهِ؛ وبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، والْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ، والتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلاً فِي مَضَرَّةٍ، ورُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ، ورُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَىٰ، فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَنْفِعُ فِي شُكْرِكَ، وقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ رِزْقِكَ»

«يَا ابْنَ آدَمَ؛ الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، فَلا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَىٰ هَمِّ يَوْمِكَ، كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَىٰ مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ، ولَنْ يَسْبِقَكَ إِلَىٰ رِزْقِكَ طَالِبٌ، ولَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، ولَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ»

التأسي بالأنبياء في ترك الدنيا والزهد فيها:

«يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ -كَذَبَ والْعَظِيمِ- مَا بَالُهُ لا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ، ويَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لا يُعْطِي الرَّبَّ[1]، فَمَا بَالُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا

(١) المعنى: أن الإنسان لجهله يرجو من الله دخول الجنة وهو أمر عظيم، ويرجو من الناس صغائر الأمور، ومع ذلك يتواضع للناس بأكثر مما يتواضع لله.

يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً؟ أَوْ تَكُونَ لا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً؟ وكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً[١] ووَعْداً، وكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ؛ آثَرَهَا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وصَارَ عَبْداً لَهَا. وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، ودَلِيلٌ لَكَ عَلَىٰ ذَمِّ الدُّنْيَا وعَيْبِهَا، وكَثْرَةِ مَخَازِيهَا ومَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، ووُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا[٢]، وفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا، وزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا. وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَىٰ كَلِيمِ اللهِ صلىٰ اللهُ عليهِ حَيْثُ يَقُولُ: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» واللهِ مَا سَأَلَهُ إِلا خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ، ولَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَىٰ مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ[٣]، لِهُزَالِهِ وتَشَذُّبِ لَحْمِهِ. وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صلّىٰ اللهُ عليهِ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ[٤] بِيَدِهِ، ويَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا؟ ويَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عليهِ السلامُ فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، ويَلْبَسُ الْخَشِنَ، ويَأْكُلُ الْجَشِبَ[٥]، وكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وظِلالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا، وفَاكِهَتُهُ

(١) **ضِمَاراً**: الضمار: ما لا يرجىٰ من الوعود والديون.
(٢) **أَكْنَافُهَا**: جوانبها.
(٣) **شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ**: جلد بطنه الرقيق الشفاف.
(٤) **سَفَائِفَ الْخُوصِ**: الآنية المنسوجة من ورق النخيل.
(٥) **الْجَشِبَ**: اليابس غير الطيب من الطعام.

ورَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، ولَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، ولا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، ولا مَالٌ يَلْفِتُهُ، ولا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاهُ، وخَادِمُهُ يَدَاهُ. فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّىٰ، وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّىٰ، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَىٰ اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، والْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً[١]، ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وأَخْمَصُهُمْ[٢] مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ ورَسُولُهُ -يعني الدنيا- وتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ ورَسُولُهُ لَكَفَىٰ بِهِ شِقَاقاً لله، ومُحَادَّةً[٣] عَنْ أَمْرِ الله، ولَقَدْ كَانَ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ يَأْكُلُ عَلَىٰ الأَرْضِ، ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، ويَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، ويَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، ويُرْدِفُ خَلْفَهُ، ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَىٰ بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ، فَيَقُولُ: «يَا فُلانَةُ -لإِحْدَىٰ أَزْوَاجِهِ- غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا» فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ؛ لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، ولا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، ولا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وأَشْخَصَهَا[٤] عَنِ الْقَلْبِ، وغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ. ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ مَا يَدُلُّكَ

(١) **قَضْماً**: القضم: الأكل بأطراف الأسنان.

(٢) **كَشْحاً**: الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع. **أَخْمَصُهُمْ**: أكثرهم جوعاً..

(٣) **مُحَادَّةً**: المحادة: المخالفة في عناد.

(٤) **رِيَاشاً**: الرياش: اللباس الفاخر. **أَشْخَصَهَا**: أبعدها.

عَلَىٰ مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ[١]، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ؛ فَقَدْ كَذَبَ واللهِ الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ، وإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ، حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّىٰ مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، واقْتَصَّ أَثَرَهُ، ووَلَجَ[٢] مَوْلِجَهُ، وإِلا فَلا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ عَلَماً لِلسَّاعَةِ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً[٣]، ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَىٰ حَجَرٍ، حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ، وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ. واللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، ولَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟! فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي؛ فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَىٰ[٤]». [خ١٦٠]

في بيان حقيقة الدنيا والاستعداد للآخرة

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا أَدْبَرَتْ وآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وأَشْرَفَتْ

---

(١) **زُوِيَتْ عَنْهُ**: أبعدت عنه. **زُلْفَتِهِ**: منزلته العليا وقربه من الله تعالىٰ.

(٢) **زَوَاهَا**: أبعدها. **تَأَسَّىٰ**: اقتدىٰ. **وَلَجَ مَوْلِجَهُ**: دخل مدخله في طرح الدنيا، والإعراض عنها.

(٣) **خَمِيصاً**: خالي البطن، كناية عن عدم تمتعه بالدنيا.

(٤) **السُّرَىٰ**: السير ليلاً. والمعنىٰ: في الصباح يحمد القوم سيرهم ليلاً لقطعهم مسافة كبيرة في ظلمة الليل.

بِاطِّلاعٍ، أَلا وإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ[١] وغَداً السِّبَاقَ، والسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، والْغَايَةُ النَّارُ[٢]، أَفَلا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ، أَلا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ، أَلا وإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ؛ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، ولَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ، ومَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ؛ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ، وضَرَّهُ أَجَلُهُ، أَلا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ، أَلا وإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ولا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، ومَنْ لا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَىٰ يَجُرُّ بِهِ الضَّلالُ إِلَى الرَّدَىٰ[٣]، أَلا وإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[٤] ودُلِلْتُمْ عَلَىٰ الزَّادِ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، وطُولُ الأَمَلِ[٥]، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً». [خ٢٨]

«مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ؛ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلالِهَا حِسَابٌ، وفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنِ اسْتَغْنَىٰ فِيهَا فُتِنَ، ومَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، ومَنْ سَاعَاهَا[٦] فَاتَتْهُ، ومَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، ومَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، ومَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ». [خ٨٢]

---

(١) **الْمِضْمَارَ**: الموضع والزمن الذي تضمّر فيه الخيل، والتضمير: إحداث الضمور وهو الهزال وخفة اللحم، وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتىٰ تسمن، ثم يُقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتىٰ تهزل، ثم تُرَدّ إلىٰ القوت، وإنما يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق.

(٢) **والسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ**: الغاية التي يجب علىٰ السابق أن يصل إليها.

(٣) **الرَّدَىٰ**: أدلة الهلاك.

(٤) **الظَّعْنِ**: السفر، والمراد هنا الرحيل عن الدنيا بالموت والفناء.

(٥) **الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

(٦) **سَاعَاهَا**: سعىٰ في طلب ملذاتها.

«دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ[١]، ولأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلاءُ، وهِيَ حُلْوَةٌ خَضْرَاءُ، وقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ، والْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ، فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، ولا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، ولا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلاغِ[٢]». [خ٤٥]

«فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ، وقُرَاضَةِ الْجَلَمِ[٣]، واتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ». [خ٣٢]

«أَلا وإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وآذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ، وتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ[٤]، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا[٥]، وقَدْ أَمَرَّ فِيهَا مَا كَانَ حُلْواً، وكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإِدَاوَةِ[٦]، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقَلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ[٧]، فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ، ولا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الأَمَلُ[٨]، ولا

---

(١) **مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ**: قدر لها الفناء والزوال.

(٢) **الْكَفَافِ**: الكفاية، وهو مقدار القوت الضروري. **الْبَلاغِ**: ما يتبلغ به المسافر مما يكفيه لسفره.

(٣) **الْقَرَظِ**: ورق السلم أو ثمر السنط يستخدم في دباغة الجلود. **الْجَلَمِ**: ما يسقط من الصوف إذا حز بالمقراض. ويعبر بهما -أي القرض والجلم- عن الشيء التافه الذي لا قيمة له.

(٤) **تَصَرَّمَتْ**: انقضت أيامها. **حَذَّاءَ**: سريعة، وفي رواية: جذاء أي مقطوعة.

(٥) المعنى: تعجل بسكانها إلى الفناء، وتسوق المعمرين فيها إلى الموت.

(٦) **سَمَلَةِ الإِدَاوَةِ**: ما يبقى في الإناء الذي يتطهر به.

(٧) **جُرْعَةِ الْمَقَلَةِ**: المَقَلة بفتح القاف والميم: حجر صغيرة توضع في أسفل الإناء، لقسمة الماء بين المسافرين عندما يكون قليلاً. **تَمَزَّزَهَا**: مصها ببطء. **الصَّدْيَانُ**: العطشان. **لَمْ يَنْقَعْ**: لم يروَ.

(٨) **أَزْمِعُوا**: اعزموا، استعدوا. **الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الأمَدُ. فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ، ودَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ، وجَأَرْتُمْ[1] جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ، وخَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأمْوَالِ والأوْلادِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ؛ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ وحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ؛ لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ. وَتَاللهِ لَوِ انْمَاثَتْ[2] قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثاً، وسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ؛ مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ، ولَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ، وهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلإِيمَانِ». **[خ٥٢]**

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وطُولُ الأمَلِ[3]، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وأَمَّا طُولُ الأمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ. أَلا وإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلا صُبَابَةٌ[4] كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا، أَلا وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، ولِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، ولا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولا حِسَابَ، وغَداً حِسَابٌ ولا عَمَلَ». **[خ٤٢]**

«أَلا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلا فِيهَا، ولا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ، وحُوسِبُوا عَلَيْهِ، ومَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا

---

(١) **الْوُلَّهِ الْعِجَالِ**: الناقة إذا فدت وليدها. **جَأَرْتُمْ**: رفعتم أصواتكم.

(٢) **انْمَاثَتْ**: ذابت.

(٣) **طُولُ الأمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

(٤) **حَذَّاءَ**: سريعة. ويروى: جذاء -بالجيم- بمعنى مقطوعة منتهية. **صُبَابَةٌ**: ما يبقى في الإناء بعد الشرب.

قَدِمُوا عَلَيْهِ، وأَقَامُوا فِيهِ، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّىٰ قَلَصَ[١]، وزَائِداً حَتَّىٰ نَقَصَ». [خ٦٣]

«فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وابْتَاعُوا مَا يَبْقَىٰ لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ[٢]، واسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ، وكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًىٰ، ومَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، وإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ، وتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ[٣]؛ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ: اللَّيْلُ والنَّهَارُ؛ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ[٤]، وإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً. فَاتَّقَىٰ عَبْدٌ رَبَّهُ؛ نَصَحَ نَفْسَهُ، وقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، والشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، ويُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا، فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَىٰ كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ؛ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشِّقْوَةِ». [خ٦٤]

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ الَّذِي ضَرَبَ الأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ،

---

(١) **فَيْءِ الظِّلِّ**: تمدد الظل وانقباضه. **سَابِغاً**: واسعاً ممتدًّا. **قَلَصَ**: انقبض وزال.

(٢) **ابْتَاعُوا**: اشتروا. **تَرَحَّلُوا**: تجهزوا للرحيل واستعدوا له. **جُدَّ بِكُمْ**: أمرتم بالرحيل دون اختيار منكم.

(٣) المعنىٰ: أن الحياة قصيرة جدا باعتبار الموت يأتي في لحظة والعمر ينقضي في ساعة.

(٤) **يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ**: يسوقه الليل والنهار إلى نهايته، وهو الموت. **الأَوْبَةِ**: الرجوع والعودة.

وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ[١] لَكُمُ المَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمُ الْإِحْصَاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرِّفَدِ الرَّوافِغِ[٢]، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، ودَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا ومُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، ويُوبِقُ مَخْبَرُهَا[٣]، غُرُورٌ حَائِلٌ، وضَوْءٌ آفِلٌ، وظِلٌّ زَائِلٌ، وسِنَادٌ مَائِلٌ[٤]، حَتَّىٰ إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا[٥]، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا[٦]، وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَىٰ ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، ومُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ، وَكَذلِكَ الْخَلَفُ بَعْقِبِ السَّلَفِ، لاَ تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً[٧]، وَلاَ يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً، يَحْتَذُونَ مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَىٰ غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ». [خ٨٣]

«فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ، ووَهِلْتُمْ[٨]، وسَمِعْتُمْ وأَطَعْتُمْ ولَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ، ولَقَدْ

---

(١) **الرِّيَاشَ:** ما ظهر من اللباس. **أَرْفَغَ:** أوسع.

(٢) **السَّوَابِغِ:** الكاملة. **الرِّفَدِ الرَّوافِغِ:** العطايا الواسعة.

(٣) **رَنِقٌ:** كدر. **رَدِغٌ:** كثير الطين والوحل. **مَشْرَعُهَا:** المشرع: مورد الشرب. **يُونِقُ:** يعجب. **يُوبِقُ:** يهلك.

(٤) **آفِلٌ:** قارب على المغيب. **حَائِلٌ:** مائل. **آفِلٌ:** غائب. **سِنَادٌ مَائِلٌ:** دعامة معوجة.

(٥) **نَافِرُهَا:** من ينفر منها. **نَاكِرُهَا:** من يجهلها لعدم علمه بها.

(٦) **قَمَصَتْ:** وثبت عليه. **قَنَصَتْ:** صادت. **أَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا:** أقصد السهم إذا أصاب وقتل في مكانه.

(٧) المعنى: لا تزال المنية -وهي الموت- تخرم أجله وتفني عمره.

(٨) **وَهِلْتُمْ:** خفتم وفزعتم.

بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ العِبَرُ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ[١]، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّماءِ إِلاَّ البَشَرُ». [خ٢٠]

«حَتَّىٰ إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ[٢]، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، سِرَاعاً إِلَىٰ أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَىٰ مَعَادِهِ، رَعِيلاً صُمُوتاً[٣]، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الْاسْتِكَانَةِ، وَضَرَعُ الْاسْتِسْلاَمِ وَالذِّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ، وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي[٤] إِلَىٰ فَصْلِ الْخِطَابِ، وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ[٥]، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ. عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً، وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً ، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً[٦]، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ جَزَاءً، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً؛ قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ، وَكُشِفَتْ

---

(١) **جَاهَرَتْكُمُ العِبَرُ:** انتصبت لتنبهكم، وصرحت لكم بعواقب أُموركم. **مُزْدَجَرٌ:** موعظة زاجرة مخيفة.
(٢) **تَصَرَّمَتْ:** انقضت أيامها. **أَزِفَ:** قرب. **أَوْجِرَةِ السِّبَاعِ:** أوكارها.
(٣) **مُهْطِعِينَ:** مسرعين. **رَعِيلاً صُمُوتاً:** جماعة بعد جماعة لا ينقطعون.
(٤) **كَاظِمَةً:** ساكنة. **مُهَيْنِمَةً:** متخافية. **الشَّفَقُ:** الخوف. **زَبْرَةِ الدَّاعِي:** صيحة الداعي.
(٥) **مُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ:** المقايضة: المعاوضة، أي مبادلة الخير بالخير والشر بالشر.
(٦) **مَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً:** مملوكون قسراً. **مُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً:** موضوعون في قبورهم.

عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ[١]، وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ، وَرَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ[٢]، فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ[٣]. فَيَالَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَاءً عَازِمَةً، وَأَلْبَاباً[٤] حَازِمَةً! فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، واقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، ووَجِلَ فَعَمِلَ، وحَاذَرَ فَبَادَرَ، وأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وحُذِّرَ فَحَذِرَ، وزُجِرَ فَازْدَجَرَ، وأَجَابَ فَأَنَابَ، ورَاجَعَ فَتَابَ، واقْتَدَىٰ فَاحْتَذَىٰ، وأُرِيَ فَرَأَىٰ، فَأَسْرَعَ طَالِباً، ونَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وأَطَابَ سَرِيرَةً، وعَمَّرَ مَعَاداً، واسْتَظْهَرَ زَاداً، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، ووَجْهِ سَبِيلِهِ، وحَالِ حَاجَتِهِ، ومَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ». **[خ٨٣]**

«جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا[٥]، وَأَشْلاَءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلاَئِمَةً لِأَحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا[٦]، وَقُلُوبٍ رائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلاَتِ نِعَمِهِ، وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ، وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ. وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ

---

(١) **الْمُسْتَعْتِبِ:** الطالب للرضا ممن يسخط عليه. **سُدَفُ الرِّيَبِ:** ظلمة الشُّبَه.

(٢) **مِضْمَارِ الْجِيَادِ:** ميدان السباق، والمعنى المسابقة للخيرات. **رَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ:** إعمال الفكر في الأمر. **أَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ:** انتظار من يأخذ بيده ليرتاد في ضوئه.

(٣) **مُضْطَرَبِ الْمَهَلِ:** العمل في أيام المهلة وفسحة الأجل.

(٤) **أَلْبَاباً:** عقولا.

(٥) **عَنَاهَا:** أهمها. **تَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا:** تكشف عما خفي عنها.

(٦) **مُلاَئِمَةً لِأَحْنَائِهَا:** تناسب الأعضاء مع جوانبها. **أَرْفَاقِهَا:** منافعها.

قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاَقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ[١]. أَرْهَقَتْهُمُ الْمُنَايَا دُونَ الْآمَالِ، وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ[٢]، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلاَمَةِ الْأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ[٣]. فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلا حَوَانِيَ الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ[٤] إِلا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلا آوِنَةَ الْفَنَاءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وَأُزُوفِ الانْتِقَالِ[٥]، وعَلَزِ الْقَلَقِ، وأَلَمِ الْمَضَضِ، وغُصَصِ الْجَرَضِ[٦]، وتَلَفُّتِ الاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ والأَقْرِبَاءِ، والأعِزَّةِ والْقُرَنَاءِ! فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ؟ وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ[٧] وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ[٨]، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ[٩]، وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا[١٠]، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا مُوقِنَةً بَغَيْبِ

(١) **خَلاَقِهِمْ:** نصيبهم من الخير والملذات. **خَنَاقِهِمْ:** ما يخنقهم، والمراد ما يكدر عيشهم.
(٢) **الْمُنَايَا:** جمع منية، وهي الموت. **تَخَرُّمُ الْآجَالِ:** انقطاعها بالموت.
(٣) **أُنُفِ الْأَوَانِ:** أَنُفُ كل شيء: أوله، وجمعها أُنُفٌ، والمراد أنهم لم ينقدح لهم الاعتبار في أول زمانهم، فيحصل لهم الاتعاظ والزجر.
(٤) **بَضَاضَةِ:** رونق. **حَوَانِيَ الْهَرَمِ:** زمن انحناء الظهر لكبر السن. **غَضَارَةِ الصِّحَّةِ:** نعمة الصحة.
(٥) **الزِّيَالِ:** المفارقة. **أُزُوفِ الانْتِقَالِ:** قرب الانتقال بحضور الموت.
(٦) **عَلَزِ الْقَلَقِ:** الضيق النفس والاضطراب الذي يحصل لقرب الأجل. **الْمَضَضِ:** الحزن وتوجع القلب. **الْجَرَضِ:** الريق اذا جف وحبس النفس.
(٧) **النَّوَاحِبُ:** جمع ناحبة، وهي الرافعة صوتها بالبكاء. **الْمَضْجَعِ:** مكان النوم، والمراد به القبر.
(٨) **النَّوَاهِكُ:** ما أنهك البدن من مرض أو غيره، والمعنى: قطعت الهوام جلدته فأبلتها.
(٩) **عَفَتِ:** محت. **الْحَدَثَانُ:** الليل والنهار. **مَعَالِمَهُ:** صورته.
(١٠) **بَضَّتِهَا:** رونقها وطلاوتها، ما كان عليها من أثر النعمة.

أَنْبَائِهَا، لاَ تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلاَ تُسْتَعْتَبُ[١] مِنْ سَيِّىءِ زَلَلِهَا! أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ[٢]، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَؤُونَ جَادَّتَهُمْ[٣]؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمارِهَا! كَأَنَّ الْمُعْنِيَّ سِوَاهَا، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَىٰ الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ؛ فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ[٤]، وأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ[٥]، وأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ، وقَدَّمَ الْخَوْفَ لأَمَانِهِ، وتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ[٦]، وسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَىٰ النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، ولَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاتُ الْغُرُورِ[٧]، ولَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَىٰ، ورَاحَةِ النُّعْمَىٰ، فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وآمَنِ يَوْمِهِ، وقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً، وقَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً، وبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ[٨]، ورَغِبَ فِي طَلَبٍ، وذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، ورَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، ونَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ، فَكَفَىٰ بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً ونَوَالاً، وكَفَىٰ بِالنَّارِ عِقَاباً ووَبَالاً،

---

(١) **لا تُسْتَعْتَبُ:** لا يطلب منها تقديم العتبىٰ وهي الاعتذار والتوبة.

(٢) **تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ:** تقتدون بأمثلتهم التي وضعوها لكم فسرتم عليها، وهي التقاليد والعادات.

(٣) **قِدَّتَهُمْ ، جَادَّتَهُمْ:** طريقتهم. والمعنىٰ: تسيرون علىٰ طريقتهم وتمضون في سبيلهم.

(٤) **دَحْضِهِ:** زلله. **ذِي لُبٍّ:** لبيب، عاقل. **أَنْصَبَ:** أتعب. **غِرَارَ نَوْمِهِ:** قليل نومه.

(٥) **هَوَاجِرَ يَومَهِ:** جمع هاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر. **ظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ:** منعه منها.

(٦) **تَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ:** تجنب ما يجذبه عن الطريق الواضح.

(٧) **لَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاتُ الْغُرُورِ:** لم تخدعه خوادع الغرور.

(٨) **أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ:** جد السير في مهلة العمر.

وكَفَىٰ بِاللهِ مُنْتَقِماً ونَصِيراً، وكَفَىٰ بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وخَصِيماً! أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ[١]، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وَأَرْدَىٰ، وَوَعَدَ فَمَنَّىٰ، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ[٢]، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاستَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ». [خ٨٣]

«أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ[٣]، نُطْفَةً دِهَاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً[٤]، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً. ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِساناً لافِظاً، وَبَصَراً لاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً؛ حَتَّىٰ إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، واسْتَوَىٰ مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وخَبَطَ سَادِراً، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ[٥]، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وبَدَوَاتِ أَرَبِهِ، ثُمَّ لا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، ولا يَخْشَعُ تَقِيَّةً[٦]، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، ولَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً، دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِراً[٧]، وبَاتَ سَاهِراً، فِي

---

(١) **بِمَا نَهَجَ:** بما أوضح من المناهج والأعلام البينة.

(٢) **عَدُوًّا:** هو الشيطان. **مَنَّىٰ:** غركم بالأماني الكاذبة. **مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ:** المهلكات من كبائر الذنوب.

(٣) **شُغُفِ الْأَسْتَارِ:** الشغف: جمع شغاف وهي حجاب القلب، والمراد الشغف الساترة له.

(٤) **دِهَاقاً:** مصبوباً بقوة. **عَلَقَةً مِحَاقاً:** علقة قد خفيت فيها الشكل والصورة.

(٥) **سَادِراً:** متحيراً متخبطاً. **مَاتِحاً:** الماتح هو: الذي ينزع الماء من البئر. **غَرْبِ هَوَاهُ:** الغرب هو الدلو العظيمة، والمعنىٰ: أنه متابع لهواه منقاد له.

(٦) **أَرَبِهِ:** مراده. **رَزِيَّةً:** مصيبة. **تَقِيَّةً:** تقوىٰ من الله وخوف منه.

(٧) **غُبَّرِ جِمَاحِهِ:** بقايا تعنته علىٰ الحق. **سَنَنِ مِرَاحِهِ:** طريقته في فر حه وسروره. **سَادِراً:** متحيراً.

غَمَرَاتِ الآلامِ، وطَوَارِقِ الأَوْجَاعِ والأسْقَامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، ووَالِدٍ شَفِيقٍ، ودَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، ولادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً، والْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ[١]، وغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ، وأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ، ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَىٰ الأعْوَادِ، رَجِيعَ وَصَبٍ، ونِضْوَ سَقَمٍ[٢]، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وحَشَدَةُ الإخْوَانِ، إِلَىٰ دَارِ غُرْبَتِهِ، ومُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ[٣]، ومُفْرَدِ وَحْشَتِهِ، حَتَّىٰ إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، ورَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ، نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وعَثْرَةِ الامْتِحَانِ، وأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، ولا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ[٤]، ولا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، ولا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وعَذَابِ السَّاعَاتِ. إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ!

عِبَادَ اللهِ؛ أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وسُلِّمُوا فَنَسُوا؟ أُمْهِلُوا طَوِيلاً، ومُنِحُوا جَمِيلاً، وحُذِّرُوا أَلِيماً، ووُعِدُوا جَسِيماً. احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ[٥]، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ. أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ[٦] أَوْ خَلاصٍ؟ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاذٍ؟ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ؟ أَمْ لا؟ فَأَنَّىٰ

(١) **لادِمَةٍ لِلصَّدْرِ:** ضاربة لصدرها بكفها. **سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ:** سكرة الموت التي يصحبها اللهث حال النزع.
(٢) **رَجِيعَ وَصَبٍ:** ينقله من الدنيا إلى وصب آخر وهو الآخرة. **نِضْوَ سَقَمٍ:** قد أضناه المرض وأتعبه.
(٣) **مُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ:** إلى مكان تنقطع فيه زيارته، فلا يزار كما يزار الأحياء.
(٤) **سَوْرَاتُ الزَّفِيرِ:** شدة صوت زفير جهنم. **دَعَةٌ مُزِيحَةٌ:** راحة تزيح عنه التعب.
(٥) **الْمُوَرِّطَةَ:** المهلكة.
(٦) **مَنَاصٍ:** ملجأ ومفر.

تُؤْفَكُونَ؟ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ؟ وإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ والْعَرْضِ قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَىٰ خَدِّهِ. الآنَ عِبَادَ اللهِ؛ والْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، والرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ الإِرْشَادِ، ورَاحَةِ الأَجْسَادِ، وبَاحَةِ الاحْتِشَادِ، ومَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ[1]، قَبْلَ الضَّنْكِ والْمَضِيقِ، والرَّوْعِ والزُّهُوقِ، وقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ». **[خ٨٣]**

«حَتَّىٰ إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، واسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلابِيبِ[2] غَفْلَتِهِمْ، اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، واسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، ولا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ[3]، إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ ونَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ. فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، ونَظَرَ فَأَبْصَرَ، وانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً[4] وَاضِحاً، يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، والضَّلالَ فِي الْمَغَاوِي، ولا يُعِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْغُوَاةَ، بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ. فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، واسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، واخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَىٰ لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ مِمَّا لا بُدَّ مِنْهُ ولا مَحِيصَ عَنْهُ، وخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، ودَعْهُ ومَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وضَعْ فَخْرَكَ، واحْطُطْ كِبْرَكَ، واذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ،

---

(١) **مَهَلِ الْبَقِيَّةِ:** المهلة بما بقي من العمر. **أُنُفِ الْمَشِيَّةِ:** مستأنف مشيئة الله وإرادته. **الْحَوْبَةِ:** الحاجة.

(٢) **جَلابِيبِ:** جمع جلباب، وهو ما تضعه المرأة فوق ثيابها.

(٣) **طَلِبَتِهِمْ:** مرادهم. **وَطَرِهِمْ:** حاجتهم.

(٤) **جَدَداً:** طريقاً.

ومَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وقَدِّمْ لِيَوْمِكَ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ؛ والْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ؛ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ». [خ١٥٣]

«فَاتَّعِظُوا عِبَادَ الله بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، واعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ، وازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ[١]، وانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ والْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ[٢]، وانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلائِقُ الأمْنِيَّةِ، ودَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأمُورِ[٣]، والسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ، فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ، سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا». [خ٨٥]

«عِبَادَ الله؛ إِنَّكُمْ ومَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، ومَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ[٤]، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وعَمَلٌ مَحْفُوظٌ. فَرُبَّ دَائِبٍ[٥] مُضَيَّعٌ، ورُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ. وقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلا إِدْبَاراً، ولا الشَّرُّ فِيهِ إِلا إِقْبَالاً، ولا الشَّيْطَانُ فِي هَلاكِ النَّاسِ إِلا طَمَعاً، فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ. اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ الله كُفْراً، أَوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ الله

(١) **الآيِ السَّوَاطِعِ:** الأدلة الظاهرة. **الْبَوَالِغِ:** التي بلغت كل غاية في الإنذار.
(٢) **عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ:** أمسكت بكم المنية بمخالبها، والمراد: جاءكم الموت فلم تستطيعوا الفرار منه.
(٣) **مُفْظِعَاتُ الأمُورِ:** عظائم الأمور وشدائدها.
(٤) **أَثْوِيَاءُ:** ضعفاء. **مَدِينُونَ:** محاسبون على أعمالكم. **مُقْتَضَوْنَ:** مُجازون على أعمالكم.
(٥) **دَائِبٍ:** مجتهد في عمله مداوم عليه.

وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً[١]؟ أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وصُلَحَاؤُكُمْ؟ وأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وسُمَحَاؤُكُمْ؟ وأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ والْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا[٢] جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، والْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ؟ وهَلْ خُلِقْتُمْ إِلا فِي حُثَالَةٍ لا تَلْتَقِي إِلا بِذَمٍّ الشَّفَتَانِ؟ اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ. ظَهَرَ الْفَسَادُ، فَلا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، ولا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ، أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ؟ وتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟ هَيْهَاتَ! لا يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، ولا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلا بِطَاعَتِهِ». [١٢٩]

«اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ الله جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، واحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، واسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ؛ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ، والْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ».

«فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ، وفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ، وفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، ولْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وقَدَمِهِ، ولْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ. فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلاَ عَمًى، قَدْ سَمَّىٰ آثَارَكُمْ[٣]، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ

(١) **بِحَقِّ الله:** ما يجب لله تعالىٰ من زكاة ونحوها. **وَفْراً:** توفير. **وَقْراً:** صمم.

(٢) **ظَعَنُوا:** فارقوها وانتقلوا عنها.

(٣) **سَمَّىٰ آثَارَكُمْ:** الأثر: ما يؤثر عن الإنسان بعد موته، والمعنىٰ: كتب أعمالكم وأحصاها.

عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّىٰ أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ ـ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ ـ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنفْسِهِ، وَأَنْهَىٰ إِلَيْكُمْ ـ عَلَىٰ لِسَانِهِ ـ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، فَأَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ الْمِعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُم فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ؛ وَلاَ تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ، وَلاَ تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْإِدْهَانُ[1] عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ». **[خ٨٦]**

«اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللهُ عَلَىٰ أَعْلامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُوا إِلَىٰ دارِ السَّلامِ، وأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ[2]، عَلَىٰ مَهَلٍ وفَرَاغٍ، والصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، والأَقْلامُ جَارِيَةٌ[3]، والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، والتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، والأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ». **[خ٩٤]**

«أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا، التَّارِكَةِ لَكُمْ وإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، والمُبْلِيَةِ لأَجْسَامِكُمْ وإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ ومَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وأَمُّوا عَلَماً[4] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وكَمْ عَسَىٰ المُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَهَا، ومَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لا يَعْدُوهُ،

---

(١) **الْإِدْهَانُ:** المصانعة بترك بعض ما لا يرضاه الغير أو فعل ما يرضاه مصانعة له، قال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: ٩].

(٢) **أَعْلام بَيِّنَةٍ:** أدلة طريق واضحة. **مُسْتَعْتَبٍ:** المستعتب: الطالب للرضا ممن يسخط عليه.

(٣) **الأَقْلامُ جَارِيَةٌ:** بتسجيل الأعمال، يعني في مهلة الدنيا.

(٤) **أَمُّوا عَلَماً:** قصدوا معلماً أرادوا الوصول إليه.

وطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ، ومُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُفَارِقَهَا رَغْماً. فَلا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وفَخْرِهَا، ولا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا ونَعِيمِهَا، ولا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وفَخْرَهَا إِلَىٰ انْقِطَاعٍ، وإِنَّ زِينَتَهَا ونَعِيمَهَا إِلَىٰ زَوَالٍ، وضَرَّاءَهَا وبُؤْسَهَا إِلَىٰ نَفَادٍ، وكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَىٰ انْتِهَاءٍ، وكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَىٰ فَنَاءٍ. أَولَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ، وفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ ومُعْتَبَرٌ؟ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ، أَولَمْ تَرَوْا إِلَىٰ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لا يَرْجِعُونَ، وإِلَىٰ الْخَلَفِ الْبَاقِينَ لا يَبْقَوْنَ؟ أَولَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ ويُمْسُونَ، عَلَىٰ أَحْوَالٍ شَتَّىٰ؟ فَمَيِّتٌ يُبْكَىٰ، وآخَرُ يُعَزَّىٰ، وصَرِيعٌ مُبْتَلًىٰ، وعَائِدٌ يَعُودُ، وآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وطَالِبٌ لِلدُّنْيَا والْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وغَافِلٌ ولَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وعَلَىٰ أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي. أَلا فَاذْكُرُوا هَاذِمَ اللَّذَّاتِ، ومُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، وقَاطِعَ الأُمْنِيَاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، واسْتَعِينُوا اللهَ عَلَىٰ أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، ومَا لا يُحْصَىٰ مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وإِحْسَانِهِ». **[خ٩٩]**

«فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ الله، وَاذْكُرُوا تِيكَ[1] الَّتي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلاَ بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلاَ خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ[2]، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلاَبِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَاللهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلاَّ وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ

(١) **تِيكَ:** اشارة إلى الدنيا.

(٢) **الأَحْقَابُ:** جمع حقب، وهي ثمانون سنة، وقيل أكثر. **الْقُرُونُ:** جمع قرن، وهو مائة عام.

الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ، وَلاَ شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبصَارُ، وَجُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِي ذلِكَ الْزَمَانِ، إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هذَا الزَّمَانِ. وَوَاللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلاَ أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا، رِخْواً بِطَانُهَا[1]، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ». [خ٨٩]

«أَيُّهَا النَّاسُ انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا، فَإِنَّهَا واللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ، وتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْآمِنَ[2]، لا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّىٰ مِنْهَا فَأَدْبَرَ، ولا يُدْرَىٰ مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ والْوَهْنِ، فَلا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، واعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ. فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ». [خ١٠٣]

«لا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، ولا تَنْقَادُوا لأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَىٰ[3] عَلَىٰ ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لا يَلْتَصِقُ، ويُقَرِّبَ مَا لا يَتَقَارَبُ، فَاللهَ اللهَ أَنْ

(١) **جَائِلاً خِطَامُهَا**: الخطام: ما يكون في رأس البعير ، وجولان الخطام: حركته وعدم استقراره. **رِخْواً بِطَانُهَا**: البِطَان: حزام يكون في صدر البعير. كناية عن تلاشي الأمر وفساده.

(٢) **الصَّادِفِينَ عَنْهَا**: المعرضين عنها زهدا فيها. **الثَّاوِيَ**: المقيم. **الْمُتْرَفَ**: المترفّه الذي لا يمنع من شيء.

(٣) **شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**: مُشرِف على الانهدام والهلاك. **الرَّدَىٰ**: الهلاك.

تَشْكُوا إِلَىٰ مَنْ لا يُشْكِي شَجْوَكُمْ، ولا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ[١]». [خ١٠٥]

«سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلاَئِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً؛ مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وَقُصُوراً، وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً، وَثِمَاراً. ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَلاَ إِلَىٰ مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلَىٰ جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، واصْطَلَحُوا عَلَىٰ حُبِّهَا، ومَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَىٰ بَصَرَهُ[٢]، وأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُو يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، ويَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، ووَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ولِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا، لا يَنْزَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ، ولا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وهُوَ يَرَىٰ الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ[٣]، حَيْثُ لا إِقَالَةَ ولا رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَىٰ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً[٤]، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، ويَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَىٰ صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ

---

(١) **لا يُشْكِي شَجْوَكُمْ**: لا يزيل شكواكم أي حزنكم. **أَبْرَمَ لَكُمْ**: ما قد لزم عليكم وقدر لكم.

(٢) **أَعْشَىٰ بَصَرَهُ**: أعماه.

(٣) **الْغِرَّةِ**: البغتة.

(٤) **ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً**: خالطهم مخالطة عظيمة.

فِيمَ أَفْنَىٰ عُمُرَهُ، وفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، ويَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا ومُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وأَشْرَفَ عَلَىٰ فِرَاقِهَا، تَبْقَىٰ لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا ويَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، والْعِبْءُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، والْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَىٰ مَا أَصْحَرَ لَهُ[1] عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، ويَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، ويَتَمَنَّىٰ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا ويَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّىٰ خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ، لا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، ولا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَىٰ حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، ولا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلامِهِمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ[2]، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لا يُسْعِدُ بَاكِياً، ولا يُجِيبُ دَاعِياً، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَىٰ مَخَطٍّ فِي الأَرْضِ، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَىٰ عَمَلِهِ، وانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ». [خ١٠٩]

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[3]، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، ورَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، ولا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ[4]، لا

(١) **أَصْحَرَ لَهُ**: كشف له.

(٢) **الْتِيَاطاً بِهِ**: لصوقا به.

(٣) **خَضِرَةٌ**: ذات جمال ورونق.

(٤) **حَبْرَتُهَا**: سرورها. **حَائِلَةٌ**: متقلبة متغيرة. **غَوَّالَةٌ**: مهلكة.

تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَىٰ أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا والرِّضَاءِ بِهَا؛ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ سُبْحَانَهُ: ﴿كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وكانَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾. لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً[١]، ولَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً إِلا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ إِلا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاءٍ[٢]، وحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ واحْلَوْلَىٰ؛ أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَىٰ[٣]، لا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً إِلا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، ولا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلا أَصْبَحَ عَلَىٰ قَوَادِمِ خَوْفٍ، غَرَّارَةٌ، غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلا التَّقْوَىٰ. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، ومَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[٤]، وزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً[٥]. سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ، وعَيْشُهَا رَنِقٌ، وعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وحُلْوُهَا صَبِرٌ[٦]، وغِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وأَسْبَابُهَا رِمَامٌ[٧]. حَيُّهَا

---

(١) **حَبْرَةٍ**: سرور. **عَبْرَةً**: دمعة، والمراد الأسىٰ والحزن.

(٢) **دِيمَةُ رَخَاءٍ**: مطر هنيء دائم لا رعد فيه ولا برق. **هتنت**: أمطرت. **مُزْنَةُ بَلاءٍ**: سحب منذرة بالبلاء.

(٣) **أَمَرَّ**: صيرها مرة المذاق. **فَأَوْبَىٰ**: فأصابها بالبلاء.

(٤) **يُوبِقُهُ**: يهلكه.

(٥) **ذِي أُبَّهَةٍ**: صاحب عظمة وكبرياء. **ذِي نَخْوَةٍ**: صاحب سلطان ورفعة.

(٦) **رَنِقٌ**: كدر. **أُجَاجٌ**: شديد الملوحة. **صَبِرٌ**: شجر صحراوي ذا مذاق مر.

(٧) **سِمَامٌ**: سم قاتل. **أَسْبَابُهَا رِمَامٌ**: الأسباب: ما يستعين بها الإنسان علىٰ نيل مطلوباته. والرمام: جمع رُمّة: وهي قطعة الحبل البالية.

بِعَرَضِ مَوْتٍ، وصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، ومَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ، وجَارُهَا مَحْرُوبٌ. أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وأَبْقَىٰ آثَاراً، وأَبْعَدَ آمَالاً، وأَعَدَّ عَدِيداً، وأَكْثَفَ جُنُوداً؟ تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وآثَرُوهَا أَيَّ إِيْثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا[1] بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، ولا ظَهْرٍ قَاطِعٍ. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ؟ أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ؟ أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ، وأَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، ووَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ[2]، وأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وآثَرَهَا وأَخْلَدَ إِلَيْهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ، وهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلا السَّغَبَ[3]؟ أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلا الضَّنْكَ؟ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلا النَّدَامَةَ، أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا ولَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَىٰ وَجَلٍ مِنْهَا!! فَاعْلَمُوا -وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وظَاعِنُونَ عَنْهَا[4]، واتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟﴾ حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ، فَلا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ، فَلا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ[5]، ومِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، ومِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لا يُجِيبُونَ دَاعِياً، ولا يَمْنَعُونَ

(١) **ظَعَنُوا عَنْهَا**: تركوها ورحلوا عنها.
(٢) **الْقَوَادِحِ**: الأمور العظيمة الفادحة. **الْقَوَارِعِ**: المحن والمصائب. **الْمَنَاسِمِ**: جمع منسم؛ وهوخف البعير.
(٣) **السَّغَبَ**: الجوع.
(٤) **ظَاعِنُونَ عَنْهَا**: تاركوها وراحلون عنها.
(٥) **الصَّفِيحِ**: الأحجار العريضة المصفَّحة. **أَجْنَانٌ**: مغطية لأجسادهم.

ضَيْماً، ولا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وإِنْ قُحِطُوا[١] لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وهُمْ آحَادٌ، وجِيرَةٌ وهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ[٢] لا يَتَزَاوَرُونَ، وقَرِيبُونَ لا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وجُهَلاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لا يُخْشَىٰ فَجْعُهُمْ، ولا يُرْجَىٰ دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْناً، وبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وبِالأَهْلِ غُرْبَةً، وبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا[٣] بِأَعْمَالِهِمْ إِلَىٰ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ والدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾». [خ١١١]

«وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، ولَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٤]، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارُهَا هَانَتْ عَلَىٰ رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلالَهَا بِحَرَامِهَا، وخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وحُلْوَهَا بِمُرِّهَا، لَمْ يُصْفِهَا اللهُ تَعَالَىٰ لأَوْلِيَائِهِ، ولَمْ يَضِنَّ[٥] بِهَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وشَرُّهَا عَتِيدٌ، وجَمْعُهَا يَنْفَدُ، ومُلْكُهَا يُسْلَبُ، وعَامِرُهَا يَخْرَبُ، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وعُمُرٍ يَفْنَىٰ فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، ومُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ، اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، واسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَىٰ بِكُمْ. إِنَّ

---

(١) **ضَيْماً**: ظلم. **مَنْدَبَةً**: المندبة: الطعام مصنوع لغير ضيافة. **جِيدُوا**: مُطروا. **قُحِطُوا**: أصابهم القحط.

(٢) **مُتَدَانُونَ**: متجاورون.

(٣) **ظَعَنُوا عَنْهَا**: تركوها ورحلوا عنها.

(٤) **قُلْعَةٍ**: مكان إقلاع أي ليست بوطن. **نُجْعَةٍ**: انتقال.

(٥) **يَضِنَّ**: يبخل.

الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وإِنْ ضَحِكُوا، ويَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وإِنْ فَرِحُوا، ويَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا. قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، والْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ». [خ١١٣]

«ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ، وعَنَاءٍ، وغِيَرٍ، وعِبَرٍ. فَمِنَ الْفَنَاءِ: أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ[١] لا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، ولا تُؤْسَى جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، والصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، والنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ[٢]، آكِلٌ لا يَشْبَعُ، وشَارِبٌ لا يَنْقَعُ. ومِنَ الْعَنَاءِ: أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لا يَأْكُلُ، ويَبْنِي مَا لا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ تَعَالَى لا مَالاً حَمَلَ، ولا بِنَاءً نَقَلَ. ومِنْ غِيَرِهَا: أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً[٣]، والْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذَلِكَ إِلا نَعِيماً زَلَّ، وبُؤْساً نَزَلَ. ومِنْ عِبَرِهَا: أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلا أَمَلٌ يُدْرَكُ، ولا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وأَظْمَأَ رِيَّهَا، وأَضْحَى فَيْئَهَا[٤]، لا جَاءٍ يُرَدُّ، ولا مَاضٍ يَرْتَدُّ. فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لانْقِطَاعِهِ عَنْهُ، نَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ،

---

(١) **مُوتِرٌ قَوْسَهُ**: شد الوتر على القوس للرمي.

(٢) **الْعَطَبِ**: الهلاك.

(٣) **مَغْبُوط**: محسود.

(٤) **فَيْئَهَا**: الفيء: زوال الظل.

فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا: فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، ومَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، ومَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ، قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ واللهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ ودَخِلَ الْيَقِينُ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وكَأَنَّ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ. فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لاَ يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي، فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ». [خ١١٤]

«فَلا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، ولا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ، ولا تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ». [خ١١٧]

«فَإِنَّهُ واللهِ الْجِدُّ لا اللَّعِبُ، والْحَقُّ لا الْكَذِبُ، ومَا هُوَ إِلا الْمَوْتُ، أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وأَعْجَلَ حَادِيهِ[1]. فَلا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ

(١) **أَسْمَعَ دَاعِيهِ**: أسمع صوته كل حي. **أَعْجَلَ حَادِيهِ**: الحادي: الذي يسوق الإبل ويحدو بها. والمعنى: أن الموت يسرع بسوق الأحياء إلى آجالهم المحتومة.

قَبْلَكَ، مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ، وحَذِرَ الإقْلالَ، وأَمِنَ الْعَوَاقِبَ، طُولَ أَمَلٍ، واسْتِبْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولاً عَلَىٰ أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَىٰ بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلاً عَلَىٰ الْمَنَاكِبِ، وإِمْسَاكاً بِالأَنَامِلِ. أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، ويَبْنُونَ مَشِيداً، ويَجْمَعُونَ كَثِيراً؟ كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، ومَا جَمَعُوا بُوراً[١]، وصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، ولا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ، فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَىٰ قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ، وفَازَ عَمَلُهُ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا[٢]، واعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً، لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمَالَ إِلَىٰ دَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَىٰ أَوْفَازٍ، وقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ[٣]». [خ١٣٢]

«وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَىٰ بَصَرِ الأَعْمَىٰ، لا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، والْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، ويَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، والأَعْمَىٰ إِلَيْهَا شَاخِصٌ، والْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، والأَعْمَىٰ لَهَا مُتَزَوَّدٌ». **[خ١٣٣]**

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا[٤]، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ[٥]، لا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ، ولا يُعَمَّرُ

---

(١) **بُوراً**: هالكاً.

(٢) **اهْتَبِلُوا هَبَلَهَا**: اغتنموا غنمها، ويعني بالغنيمة التقوىٰ.

(٣) **أَوْفَازٍ**: عجلة. **الظُّهُورَ**: جمع ظهر ويقصد به الراحلة. **الزِّيَالِ**: الانتقال. والمراد فراق الدنيا بالموت.

(٤) **تَنْتَضِلُ فِيْهِ**: تترامىٰ إليه. **الْمَنَايَا**: جمع منية وهي الموت.

(٥) **شَرَقٌ**: غصة. **غَصَصٌ**: جمع غصة. وهي ما يعترض في الحلق من أكل أو نحوه فيكظم النفس.

مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، ولا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، ولا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، ولا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ[1] لَهُ جَدِيدٌ، ولا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلا وتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ، وقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ». [خ١٤٥]

«بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ، وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ، وَتُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمارِهَا[2] إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَىٰ، قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الأَجْدَاثِ، وصَارُوا إِلَى مَصَايِرِ الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، ولا يُنْقَلُونَ عَنْهَا». [خ١٥٦]

«عِبَادَ الله، احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ. اعْلَمُوا، عِبَادَ الله، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لاَ تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلاَ يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ[3]، وإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ، يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، ويَجِيءُ الْغَدُ لاحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، ومَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، ومَنْزِلِ وَحْشَةٍ، ومُفْرَدِ غُرْبَةٍ، وكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، والسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ

---

(١) **يَخْلَقَ**: يبلى.

(٢) **لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ**: لا ما نع لهم. **مُرْقِلِينَ فِي مِضْمارِهَا**: مسارعين في السبق إليها.

(٣) **ذُو رِتَاجٍ**: عظيم محكم الإغلاق.

الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الأَبَاطِيلُ، واضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، واسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ، وصَدَرَتْ بِكُمُ الأُمُورُ مَصَادِرَهَا». [خ١٥٧]

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَىٰ الله وطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، والْمُنْجَاةُ أَبَداً. رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، ورَغَّبَ فَأَسْبَغَ[١]، ووَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وانْقِطَاعَهَا، وزَوَالَهَا وانْتِقَالَهَا، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ الله، وأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ الله. فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ الله غُمُومَهَا وأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وتَصَرُّفِ حَالاتِهَا، فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، والْمُجِدِّ الْكَادِحِ، واعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ، قَدْ تَزَايَلَتْ[٢] أَوْصَالُهُمْ، وزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وأَسْمَاعُهُمْ، وذَهَبَ شَرَفُهُمْ وعِزُّهُمْ، وانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ ونَعِيمُهُمْ. فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الأَوْلادِ فَقْدَهَا، وبِصُحْبَةِ الأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا، لا يَتَفَاخَرُونَ، ولا يَتَنَاسَلُونَ، ولا يَتَزَاوَرُونَ، ولا يَتَحَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا عِبَادَ الله حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ، فَإِنَّ الأَمْرَ وَاضِحٌ، والْعَلَمَ قَائِمٌ، والطَّرِيقَ جَدَدٌ، والسَّبِيلَ قَصْدٌ[٣]». [خ١٦١]

«أَلا وإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وتَرْغَبُونَ فِيهَا، وأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وتُرْضِيكُمْ؛ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، ولا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ، ولا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ،

---

(١) **أَسْبَغَ**: رغّبكم بأحسن ما يكون الترغيب.

(٢) **تَزَايَلَتْ**: تقطعت وتفارقت.

(٣) **جَدَدٌ**: سهل، مستوي. **قَصْدٌ**: مستقيم.

أَلا وإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ، ولا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وهِيَ وإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا، فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وسَابِقُوا فِيهَا إِلَىٰ الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا، ولا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الأَمَةِ عَلَىٰ مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا[1]. واسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ الله وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلا وإِنَّهُ لا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلا وإِنَّهُ لا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ، وأَلْهَمَنَا وإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ». [خ١٧٣]

«انْتَفِعُوا بِبَيَانِ الله، واتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ الله، واقْبَلُوا نَصِيحَةَ الله، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ[2]، واتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ ومَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وتَجْتَنِبُوا هَذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ الله صلّىٰ اللهُ عليه وآلِهِ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ[3]، وإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ" واعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ الله شَيْءٌ إِلا يَأْتِي فِي كُرْهٍ، ومَا مِنْ مَعْصِيَةِ الله شَيْءٌ إِلا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وقَمَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً[4]، وإِنَّهَا لا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِي هَوًىٰ. واعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنَّ الْمُؤْمِنَ لا

---

(١) **لا يَخِنَّنَّ**: الخنين: نوع من البكاء يردد به الصوت في الأنف. **زُوِيَ عَنْهُ**: منع منه.

(٢) **الْجَلِيَّةِ**: الموعظة الواضحة البينة.

(٣) **حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ**: أحيطت من جميع جوانبها بما يكره من الأعمال لمشقتها علىٰ النفس.

(٤) **أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً**: أبعد ما تكون عن ترك ما تهواه واعتادت عليه.

يُصْبِحُ ولا يُمْسِي إلاّ ونَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلا يَزَالُ زَارِياً[١] عَلَيْهَا، ومُسْتَزِيداً لَهَا، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، والْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ[٢]». [خ١٧٦]

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَىٰ الله، الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ[٣]، وأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ، فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً؛ لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليهِ السلامُ الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ والإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ، وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَىٰ طُعْمَتَهُ، واسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ[٤] بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، والْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، ووَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ. وإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ[٥] وأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ؟ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ، أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وهَزَمُوا بِالأُلُوفِ، وعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، ومَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟». [خ١٨٢]

«أُوصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَىٰ الله، وكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَىٰ آلائِهِ إِلَيْكُمْ، ونَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ،

---

(١) **ظَنُونٌ**: ضعيف، قليل الحيلة. **زَارِياً**: عائباً.

(٢) **طَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ**: قطعوها قطع المسافر للمراحل البعيدة.

(٣) **الرِّيَاشَ**: ما ظهر من اللباس.

(٤) **الزُّلْفَةِ**: القربى من الله. **قِسِيُّ الْفَنَاءِ**: رمي الموت بنباله.

(٥) **الْعَمَالِقَةُ**: قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح تفرقوا في البلاد، ومنهم قوم سبأ.

وبَلائِهِ لَدَيْكُمْ، فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ، أَعْوَرْتُمْ لَهُ[١] فَسَتَرَكُمْ، وتَعَرَّضْتُمْ لأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ. وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وإِقْلالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ؟ فَكَفَىٰ وَاعِظاً بِمَوْتَىٰ عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ[٢]، واشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا، لا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً، ولا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً، أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، ووَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ. فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَىٰ مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، والَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا، ودُعِيتُمْ إِلَيْهَا، واسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، والْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ». [خ١٨٨]

«فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَىٰ اللهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وبَادِرُوا الْمَوْتَ وغَمَرَاتِهِ، وامْهَدُوا[٣] لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ، وكَفَىٰ بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، ومُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ، وقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الأَرْمَاسِ، وشِدَّةِ الإِبْلاسِ[٤]، وهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، ورَوْعَاتِ

---

(١) **أَعْوَرْتُمْ لَهُ:** أظهرتم له عوراتكم، أي الخطايا والعيوب.

(٢) **أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ:** خلت منهم الدور التي كانوا يسكنونها. **أَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ:** سكنوا القبور التي كانوا غائبين عنها.

(٣) **مَعْقِلاً:** ملجأ. **ذِرْوَتُهُ:** أعلى مكان فيه. **امْهَدُوا:** وطئوا له بالعمل الصالح.

(٤) **الأَرْمَاسِ:** القبور. **الإِبْلاسِ:** حزن في خذلان ويأس.

الْفَزَعِ، واخْتِلافِ الأَضْلاعِ، واسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ، وظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وخِيفَةِ الْوَعْدِ، وغَمِّ الضَّرِيحِ، ورَدْمِ الصَّفِيحِ. فَاللهَ اللهَ عِبَادَ الله؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَىٰ سَنَنٍ، وأَنْتُمْ والسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ[١]، وكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا[٢]، ووَقَفَتْ بِكُمْ عَلَىٰ صِرَاطِهَا، وكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلازِلِهَا، وأَنَاخَتْ بِكَلاكِلِهَا[٣]، وانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَىٰ أَوْ شَهْرٍ انْقَضَىٰ، وصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا، وسَمِينُهَا غَثًّا[٤]. فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، ونَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا، عَالٍ لَجَبُهَا، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا[٥]، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ وُقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا. وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً[٦]، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، واطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، ورَضُوا الْمَثْوَىٰ والْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً واسْتِغْفَارًا، وكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً، تَوَحُّشاً وانْقِطَاعاً، فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً، والْجَزَاءَ ثَوَاباً، وكَانُوا

---

(١) **سَنَنٍ:** جمع سُنّة، وهي العادة الجارية في الخلق. **قَرَنٍ:** مقرونون بها، والمراد أنها قريبة منهم.

(٢) **أَشْرَاطِهَا:** علاماتها وأماراتها. **أَزِفَتْ:** قربت. **أَفْرَاطِهَا:** دلائلها.

(٣) **أَنَاخَتْ:** أناخت الناقة إذا قعدت. **كَلاكِلِهَا:** صدرها.

(٤) **رَثًّا:** بالياً. **غَثًّا:** هزيلاً.

(٥) **كَلَبُهَا:** الكلَب: الأكل بلا شبع. **لَجَبُهَا:** اللجَب: الصياح والاضطراب. **مُتَغَيِّظٍ:** متهيج. **زَفِيرُهَا:** صوت توقدها.

(٦) **زُمَراً:** جماعات.

أَحَقَّ بِها وأَهْلَها، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ونَعِيمٍ قَائِمٍ. فَارْعَوْا عِبَادَ الله مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ، وبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، ومَدِينُونَ[١] بِمَا قَدَّمْتُمْ، وكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ، فَلا رَجْعَةً تَنَالُونَ، ولا عَثْرَةً تُقَالُونَ[٢]». [خ١٩٠]

«وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، ومَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وقَاطِنُهَا بَائِنٌ[٣]، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ[٤]، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ، ومِنْهُمُ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ[٥] الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، ومَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ. عِبَادَ الله ؛الآنَ فَاعْمَلُوا، والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، والأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ، والْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ[٦]، والْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ، وحُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ولا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ». [خ١٩٦]

«إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ ونَهَارِهِمْ، لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وأَحَاطَ بِهِ عِلْماً، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ،

---

(١) **مُرْتَهَنُونَ:** في مثل الرهن الذي لا يفك إلا بتسليم ما رهن فيه. **مَدِينُونَ:** محاسبون.

(٢) **ولا عَثْرَةً تُقَالُونَ:** ولا تستطيعون أن تستقيلوا من عثراتكم – أي زلاّتكم – فتطلبون من الله غفرانها.

(٣) **شُخُوصٍ:** ذهاب وانتقال. **ظَاعِنٌ:** مسافر. **قَاطِنُهَا:** المقيم فيها. **بَائِنٌ:** منفصل، مبتعد عنها.

(٤) **تَمِيدُ:** تضطرب. **تَقْصِفُهَا:** تضربها بشدة. **لُجَجِ الْبِحَارِ:** أمواجها العظيمة.

(٥) **الْوَبِقُ:** الهالك. **تَحْفِزُهُ:** تدفعه بقوّة.

(٦) **لَدْنَةٌ:** ليّنة. **الْمُنْقَلَبُ:** مكان التقلّب والتحوّل، يعني الدنيا، كناية عن سعة العمر وفسحة الأجل.

وضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ[١]». [خ١٩٩]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، والآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، ولا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ[٢] عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ ولِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ لله آبَاؤُكُمْ؛ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً، ولا تُخْلِفُوا كُلاً فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ». [خ٢٠٣]

«تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ[٣] عَلَى الدُّنْيَا، وانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَئُوداً، ومَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا والْوُقُوفِ عِنْدَهَا. واعْلَمُوا أَنَّ مَلاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ[٤]، وكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، ومُعْضِلاتُ الْمَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عَلائِقَ الدُّنْيَا، واسْتَظْهِرُوا[٥] بِزَادِ التَّقْوَى». [خ٢٠٤]

«فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، ولْيَحْذَرْ قَارِعَةً[٦] قَبْلَ حُلُولِهَا، ولْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ

---

(١) **مُقْتَرِفُونَ**: مكتسبون له من أعمال الخير والشر، والطاعة والمعصية. **خُبْراً**: علماً. **عِيَانُهُ**: معاينته.

(٢) **لا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ**: لا تخرقوا الحجاب الساتر لكم بترك الطاعة وفعل المعصية.

(٣) **الْعُرْجَةَ**: الإقامة على الشيء والالتفات إليه.

(٤) **عَقَبَةً كَئُوداً**: مرتقًى صعباً. **الْوُرُودِ عَلَيْهَا**: الإتيان إليها. **مَلاحِظَ الْمَنِيَّةِ**: منبعث نظرها. **دَانِيَةٌ**: قريبة.

(٥) **اسْتَظْهِرُوا**: استعينوا.

(٦) **قَارِعَةً**: مصيبة الموت، أو القيامة تأتي بغتة.

أَيَّامِهِ، وقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ حَتَّىٰ يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ، ومَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ[١]. فَطُوبَىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ، وأَصَابَ سَبِيلَ السَّلامَةِ، بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وبَادَرَ الْهُدَىٰ قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ، واسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وأَمَاطَ الْحَوْبَةَ[٢]، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ». [خ٢١٤]

«دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلاَ يَسْلَمُ نُزَّالُهَا. أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ[٣]، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا[٤]. وَاعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنَّكُم وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً، فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ؛ الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللاَّطِئَةَ[٥] الْمُلْحَدَةَ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَىٰ الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ

---

(١) **مُتَحَوَّلِهِ:** ما يتحوّل إليه. **مُنْتَقَلِهِ:** مواضع الانتقال.

(٢) **أَمَاطَ الْحَوْبَةَ:** أزال الإثم ومحاه.

(٣) **نُزَّالُهَا:** جمع نازل، وهو الضيف. **تَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ:** أحوال متغيرة متحوّلة.

(٤) **حِمَامِهَا:** الحِمام: الموت، والمراد الآفات والمصائب.

(٥) **النَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ:** الوسائد الصغيرة أو البُسط المفروشة. **اللاَّطِئَةَ:** الملتصقة ببعضها البعض.

مُتَشَاغِلِينَ، لاَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيْرَانِ، عَلَىٰ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَىٰ، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَىٰ[١]! وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ، وبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ[٢]: «هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كَانُوا يفْتَرُون». **[خ٢٢٦]**

«فَإِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، ونَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، ويَنْجُو الْهَارِبُ، وتُنَالُ الرَّغَائِبُ. فَاعْمَلُوا والْعَمَلُ يُرْفَعُ، والتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، والدُّعَاءُ يُسْمَعُ، والْحَالُ هَادِئَةٌ، والأَقْلامُ جَارِيَةٌ[٣]، وبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً[٤]، فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، ومُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، ومُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، ووَاتِرٌ[٥] غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ، وأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ[٦]، وعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ، وَقَلَّتْ

---

(١) **كَلْكَلِهِ:** صدره. **الْبِلَىٰ:** الفناء. **الْجَنَادِلُ:** الحجارة. **الثَّرَىٰ:** التراب.

(٢) **تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ:** وصلت بكم إلى الغاية وهو القيامة. **بُعْثِرَتِ الْقُبُورُ:** أخرج موتاها.

(٣) **الأَقْلامُ جَارِيَةٌ:** يعني في حال الحياة، بكتابة الأعمال خيرها وشرها.

(٤) **نَاكِساً:** يقلبكم من الحياة إلى الموت. **حَابِساً:** مانعاً من العمل. **خَالِساً:** خاطفاً.

(٥) **وِتْرٌ:** كفؤ شجاع. **وَاتِرٌ:** جاني، قاتل.

(٦) **تَكَنَّفَتْكُمْ:** أحاطتكم. **غَوَائِلُهُ:** دواهيه ومصائبه. **أَقْصَدَتْكُمْ:** رمتكم بسهمها. **مَعَابِلُهُ:** جمع معبلة، وهي النصل الطويل العريض.

عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ[١]، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ، واحْتِدَامُ عِلَلِهِ، وحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ[٢]، وغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ، ودُجُوُّ أَطْبَاقِهِ، وجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ[٣]. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً، فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ، وفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وعَفَّىٰ آثَارَكُمْ[٤]، وعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ والاجْتِهَادِ، والتَّأَهُّبِ والاسْتِعْدَادِ، والتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، ولا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، والْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا، وأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً[٥]، وأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً، لا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، ولا يَحْفِلُونَ[٦] مَنْ بَكَاهُمْ، ولا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ، فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ، غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، ولا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، ولا يَرْكُدُ بَلاؤُهَا[٧]». **[خ٢٣٠]**

«فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ الْمَوْتَ وقُرْبَهُ، وأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً، فَمَنْ أَقْرَبُ

---

(١) **عَدْوَتُهُ**: عدوانه. **نَبْوَتُهُ**: نبوة السيف: أن يخطئ في الضربة فلا يصيب.

(٢) **دَوَاجِي ظُلَلِهِ**: سحبه المظلمة. **احْتِدَامُ عِلَلِهِ**: اشتداد أمراضه. **حَنَادِسُ**: ظلمات. **غَمَرَاتِهِ**: شدائده.

(٣) **دُجُوُّ أَطْبَاقِهِ**: ظلماته الكثيفة المتراكمة بعضها فوق بعض. **جُشُوبَةُ**: خشونة.

(٤) **نَجِيَّكُمْ**: مناجاتكم لبعضكم البعض. **نَدِيَّكُمْ**: مجالسكم التي تجتمعون فيها. **عَفَّىٰ آثَارَكُمْ**: محاها.

(٥) **دِرَّتَهَا**: لبنها. **غِرَّتَهَا**: غفلتها. **أَخْلَقُوا جِدَّتَهَا**: جعلوا جديدها خَلِقاً، أي بالياً قديماً. **أَجْدَاثاً**: قبوراً.

(٦) **لا يَحْفِلُونَ**: لا يبالون.

(٧) **نَزُوعٌ**: تنزع عن اللابس ما ألبسته. **لا يَرْكُدُ بَلاؤُهَا**: لا يسكن لها بلاء، أي كلما زال بلاء أتىٰ غيره.

إِلَىٰ الجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا، ومَنْ أَقْرَبُ إِلَىٰ النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا»

«إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً، وجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وخُشُونَةَ السَّفَرِ، وجُشُوبَةَ المَطْعَمِ؛ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، ومَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، ولا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً، ولا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ. ومَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَىٰ مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ، ولا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ؛ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَىٰ مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ ويَصِيرُونَ إِلَيْهِ».

«واعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، ومَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وأَنَّهُ لا غِنَىٰ بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ، وقَدْرِ بَلاغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلا تَحْمِلَنَّ عَلَىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلا تَجِدُهُ، واغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ».

«واعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً، المُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ المُثْقِلِ، والمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ المُسْرِعِ، وأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لا مَحَالَةَ إِمَّا عَلَىٰ جَنَّةٍ أَوْ عَلَىٰ نَارٍ. فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، ووَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، ولا إِلَىٰ الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ».

«وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتكفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَىٰ مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَىٰ، وَلَمْ يُشدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وبَابَ الْاِسْتِعتَابِ؛ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاك، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَك، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَىٰ أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ غيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَىٰ شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ[1]. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَخَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِك لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسَأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَىٰ عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لاَ يَبْقَىٰ

(١) **الآمِلِ**: المؤمّل.

لَكَ وَلاَ تَبْقَىٰ لَهُ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْت لاَ لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطرِيقٍ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي، لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ ،وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَىٰ حَذرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَىٰ حَال سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ».

«يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَىٰ مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَىٰ مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاع يُقِيمُهَا، وَلاَ مُسِيمٌ يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَىٰ، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَىٰ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي ن عْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا. رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلاَمُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ»

«طُوبَىٰ لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَىٰ رَبِّهَا فَرْضَهَا، وعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّىٰ إِذَا غَلَبَ الْكَرَىٰ عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ،

وهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، ولَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، ولَهَجاً بِهَا، ولَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، ومِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، ونَقْضُ مَا أَبْرَمَ»

«فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الأُمُورَ وضَرَّسْتُمُوهَا[1]، ووُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وضُرِبَتِ الأَمْثَالُ لَكُمْ، ودُعِيتُمْ إِلَى الأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلا يَصَمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلا أَصَمُّ، ولا يَعْمَىٰ عَنْ ذَلِكَ إِلا أَعْمَىٰ». [خ١٧٦]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا، والْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، ولا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا، وايْمُ اللهِ؛ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ[2] مِنْ عَيْشٍ، فَزَالَ عَنْهُمْ؛ إِلا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ، ولَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ؛ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، ووَلَهٍ[3] مِنْ قُلُوبِهِمْ؛ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ». [خ١٧٨]

«إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا[4]، ونَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، ومَعَ كُلِّ

---

(١) **ضَرَّسْتُمُوهَا**: جربتموها.

(٢) **لا تَنْفَسُ**: لا ترفه أو تسعد، لا تحسد. **غَضِّ نِعْمَةٍ**: أحسن نعمة وأجلها.

(٣) **وَلَهٍ**: حيرة وذهول.

(٤) **تَنْتَضِلُ فِيْهِ**: تترامى إليه. **الْمَنَايَا**: جمع منية وهي الموت.

جُرْعَةٍ شَرَقٌ» وفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، ولا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ، ولا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ، وأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ؟ وهَذَا اللَّيْلُ والنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً؛ إِلا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا»

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ اتَّقُوا اللهَ، الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وبَادِرُوا الْمَوْتَ، الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ»

«مَعَاشِرَ النَّاسِ؛ اتَّقُوا اللهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لا يَبْلُغُهُ، وبَانٍ مَا لا يَسْكُنُهُ، وجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، ولَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، ومِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً، واحْتَمَلَ بِهِ آثَاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وقَدِمَ عَلَىٰ رَبِّهِ، آسِفاً لاهِفاً، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ، ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ»

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ، فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ، قُلْعَتُهَا أَحْظَىٰ مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا، وبُلْغَتُهَا أَزْكَىٰ مِنْ ثَرْوَتِهَا، حُكِمَ عَلَىٰ مُكْثِرٍ مِنْهَا بِالْفَاقَةِ، وأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ، مَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً، ومَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَىٰ سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ، هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وغَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، فَيُلْقَىٰ بِالْفَضَاءِ مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ، هَيِّناً عَلَى اللهِ فَنَاؤُهُ، وعَلَىٰ الإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ، وإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ، ويَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاضْطِرَارِ، ويَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ والإِبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ: أَثْرَىٰ؛ قِيلَ أَكْدَىٰ. وإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ، هَذَا ولَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ»

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ اتَّقُوا اللهَ، فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، ولا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُوَ، ومَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ؛ بِخَلَفٍ مِنَ الآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، ومَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَىٰ هِمَّتِهِ؛ كَالآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الآخِرَةِ بِأَدْنَىٰ سُهْمَتِهِ»

مواعظ جامعة

نصيحة نافعة:

«لا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، ويُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ[1]، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، ويَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، ويَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْهَىٰ ولا يَنْتَهِي، ويَأْمُرُ بِمَا لا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، ويُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وهُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، ويُقِيمُ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وإِنْ صَحَّ أَمِنَ لاهِياً، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، ويَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ، إِنْ أَصَابَهُ بَلاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَىٰ مَا يَظُنُّ، ولا يَغْلِبُهَا عَلَىٰ مَا يَسْتَيْقِنُ، يَخَافُ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِأَدْنَىٰ مِنْ ذَنْبِهِ، ويَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنِ اسْتَغْنَىٰ بَطِرَ وفُتِنَ، وإِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ ووَهَنَ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، ويُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ، وسَوَّفَ التَّوْبَةَ، وإِنْ

(١) **طُولِ الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ، يَصِفُ الْعِبْرَةَ ولا يَعْتَبِرُ، ويُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ولا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، ومِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَىٰ، ويُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَىٰ، يَرَىٰ الْغُنْمَ مَغْرَماً والْغُرْمَ مَغْنَماً، يَخْشَىٰ الْمَوْتَ، ولا يُبَادِرُ الْفَوْتَ، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، ويَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَىٰ النَّاسِ طَاعِنٌ، ولِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّهْوُ مَعَ الأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَىٰ غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ، ويُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ ويَعْصِي، ويَسْتَوْفِي ولا يُوفِي، ويَخْشَىٰ الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، ولا يَخْشَىٰ رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ».

رد الإمام عليه السلام علىٰ رجل وقد سمعه يذم الدنيا:

«أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا؛ الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا، أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَىٰ اسْتَهْوَتْكَ؟ أَمْ مَتَىٰ غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَىٰ؟ أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَىٰ؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ؟ وكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ؟ تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الأَطِبَّاءَ، غَدَاةَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، ولا يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ، لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ، ولَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطَلِبَتِكَ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ، وقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، ودَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، ودَارُ غِنًىٰ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، ودَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ، ومُصَلَّىٰ مَلائِكَةِ اللهِ، ومَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، ومَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ،

ورَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا؟ وقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا، ونَادَتْ بِفِرَاقِهَا، ونَعَتْ نَفْسَهَا وأَهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلائِهَا الْبَلاءَ، وشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ، رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ، تَرْغِيباً وتَرْهِيباً، وتَخْوِيفاً وتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا، وحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، ووَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا»

في معصية إبليس وحكمة الابتلاء:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وجَعَلَهُمَا حِمًى[1] وحَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ، واصْطَفَاهُمَا لِجَلالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذلِكَ مَلائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيمِيْزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْلِيسَ﴾ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ، وتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، ونَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ، أَلا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ، ووَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ؟ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وأَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً، وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ، يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، ويَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ؛ لَفَعَلَ، ولَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، ولَخَفَّتِ الْبَلْوَىٰ فِيهِ عَلَىٰ الْمَلائِكَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ

(١) **حِمًى**: مكاناً محظوراً لا يقرب.

سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، ونَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وإِبْعَاداً لِلْخُيَلاءِ مِنْهُمْ، فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ؛ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلافِ سَنَةٍ - لا يُدْرَىٰ أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الآخِرَةِ - عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَىٰ اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلا؛ مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ، ومَا بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ عَدُوَ اللهِ؛ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ[١]، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ[٢] الشَّدِيدِ، ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، ورَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّىٰ إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ[٣] مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَىٰ الأَمْرِ الْجَلِيِّ[٤]؛ واسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، ودَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ[٥]، وأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وأَوْطَئُوكُمْ إِثْخَانَ

---

(١) **رَجِلِهِ:** رجاله وأعوانه.

(٢) **فَوَّقَ:** أعدّ فُوقه، وهو موضع الوتر من السهم. **أَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ:** بلغ الغاية في جذب قوسه.

(٣) **الْحَمِيَّةِ:** العصبية. **الْجَامِحَةُ:** العاصية. **الطَّمَاعِيَّةُ:** شديدة الطمع.

(٤) المعنى: انتقل حالكم من وسوسة الصدور وهمس القول إلى المجاهرة بالنداء ورفع السلاح.

(٥) **اسْتَفْحَلَ:** استولى. **دَلَفَ:** تقدم. **فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ:** أدخلوكم في الذل والمهانة.

الْجِرَاحَةِ[١]، طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ، وحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ، ودَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وسَوْقاً بِخَزَائِمِ[٢] الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً، وأَوْرَىٰ فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً[٣]، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ، فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، ولَهُ جِدَّكُمْ[٤]، فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ أَصْلِكُمْ، ووَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، ودَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وقَصَدَ بِرَجِلِهِ[٥] سَبِيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، ويَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، ولا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ، وحَلْقَةِ ضِيقٍ، وعَرْصَةِ مَوْتٍ[٦]، وجَوْلَةِ بَلاءٍ، فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِهِ، ونَزَغَاتِهِ ونَفَثَاتِهِ، واعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُءُوسِكُمْ، وإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، واتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[٧] بَيْنَكُمْ وبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وأَعْوَاناً، ورَجِلاً وفُرْسَاناً، ولا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَىٰ ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ، سِوَىٰ مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ

---

(١) **أَوْطَئُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ**: أركبوكم الجراحات البالغة، كناية عن إشعال الفتنة بينهم حتىٰ تقاتلوا.

(٢) **حَزّ**: قطع. **خَزَائِم**: جمع خزامةوهي حلقة توضع في وترة أنف البعير فيشد فيها الزمام.

(٣) **أَوْرَىٰ فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً**: أشد اشعالا لنارها، والمراد أنه اجتهد في تغيير أحوال دنياكم وتكديرها.

(٤) **مُنَاصِبِينَ**: معادين. **مُتَأَلِّبِينَ**: مجتمعين عليهم. **حَدَّكُمْ**: غضبكم وشدة بأسكم. **جِدَّكُمْ**: اجتهادكم.

(٥) **رَجِلِهِ**: رجاله وأعوانه.

(٦) **حَوْمَةِ ذُلٍّ**: أعظم ما يكون فيه الذل. **عَرْصَةِ مَوْتٍ**: مكان الموت وموضعه.

(٧) **مَسْلَحَةً**: مكان مواجهة بالسلاح.

بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، ونَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ، الَّذِي أَعْقَبَهُ اللهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. أَلا وقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ، مُصَارَحَةً لله بِالْمُنَاصَبَةِ[١]، ومُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ، فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مَلاقِحُ الشَّنَئَانِ، ومَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ[٢] جَهَالَتِهِ، ومَهَاوِي ضَلالَتِهِ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ[٣]، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ. أَلا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ[٤] عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، ومُغَالَبَةً لِآلائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، ودَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ[٥] الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللهَ ولا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، ولا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، ولا تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وأَحْلاسُ الْعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ

---

(١) **الْمُنَاصَبَةِ**: العداوة والمحاربة.

(٢) **مَلاقِحُ الشَّنَئَانِ**: يولد العداوة والبغضاء. **حَنَادِسِ**: جمع حِندِس، وهو الظلام الشديد.

(٣) **ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ**: يسير سير الذليل الخاضع. **سُلُساً فِي قِيَادِهِ**: يقاد في غير استصعاب ولا ممانعة.

(٤) **الْهَجِينَةَ**: العيوب والنقائص، والمراد: لما عابوا أحدا أو ترفعوا عليه.

(٥) **آلائِهِ**: نعمه. **اعْتِزَاءِ**: انتماء وانتساب.

مَطَايَا[١] ضَلالٍ، وجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَىٰ النَّاسِ، وتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ، ودُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ، ونَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَىٰ نَبْلِهِ، ومَوْطِئَ قَدَمِهِ، ومَأْخَذَ يَدِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وصَوْلاتِهِ، ووَقَائِعِهِ ومَثُلاتِهِ، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، واسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وأَوْلِيَائِهِ، ولَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، ورَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ، قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وابْتَلاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ[٢]، وامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، ومَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ، فَلا تَعْتَبِرُوا الرِّضَىٰ والسُّخْطَ بِالْمَالِ والْوَلَدِ؛ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، والاخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَىٰ والاقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وبَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ ومَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عليه السلام عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ ودَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وبَقَاءَ الْمُلْكِ وهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ والذُّلِّ؟ فَهَلا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟! إِعْظَاماً

---

(١) **أَحْلاسُ**: جمع حِلس، وهو كساء رقيق يوضع علىٰ ظهر البعير. **مَطَايَا**: جمع مطية وهي الراحلة.
(٢) **الْمَخْمَصَةِ**: الجوع. **الْمَجْهَدَةِ**: التعب والمشقة.

لِلذَّهَبِ وجَمْعِهِ، واحْتِقَاراً لِلصُّوفِ ولُبْسِهِ، ولَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، ومَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، ومَغَارِسَ الْجِنَانِ[1]، وأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، ووُحُوشَ الأَرَضِينَ؛ لَفَعَلَ، ولَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاءُ، وبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، ولَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، ولا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، ولا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، ولَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وضَعَفَةً فِيمَا تَرَىٰ الأَعْيُنُ مِنْ حَالاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأ الْقُلُوبَ والْعُيُونَ غِنًىٰ، وخَصَاصَةٍ تَمْلأ الأَبْصَارَ والأَسْمَاعَ أَذًىٰ، ولَوْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لا تُرَامُ، وعِزَّةٍ لا تُضَامُ[2]، ومُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَىٰ الْخَلْقِ فِي الاعْتِبَارِ، وأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الاسْتِكْبَارِ، ولَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، والْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، ولَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، والتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، والْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، والاسْتِكَانَةُ لأَمْرِهِ، والاسْتِسْلامُ لِطَاعَتِهِ؛ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً، لا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَىٰ والاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ والْجَزَاءُ أَجْزَلَ. أَلا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلىٰ اللهُ عليهِ إِلَىٰ الآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، ولا تُبْصِرُ ولا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ

(١) **الْعِقْيَانِ**: الذهب الخالص. **الْجِنَانِ**: جمع جنّة، وهي الحديقة.
(٢) **خَصَاصَةٍ**: فقر وحاجة. **لا تُرَامُ**: لا توصف. **لا تُضَامُ**: لا تقهر.

وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً، وأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً[١]، وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، ورِمَالٍ دَمِثَةٍ، وعُيُونٍ وَشِلَةٍ[٢]، وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، ولا حَافِرٌ ولا ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام ووَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لُمْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وغَايَةً لُمْلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ، مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، ومَهَاوِي فِجَاجٍ[٣] عَمِيقَةٍ، وجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً، يُهَلِّلُونَ لله حَوْلَهُ، ويَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، شُعْثاً غُبْراً لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلاءً عَظِيماً، وامْتِحَاناً شَدِيداً، واخْتِبَاراً مُبِيناً، وتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، ووُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ، ولَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، ومَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ؛ بَيْنَ جَنَّاتٍ وأَنْهَارٍ، وسَهْلٍ وقَرَارٍ، جَمَّ الأَشْجَارِ، دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، ورَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ[٤]، ورِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاءِ، ولَوْ كَانَ الإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، والأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، ويَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، ونُورٍ وضِيَاءٍ؛ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، ولَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، ولَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ[٥] مِنَ

(١) **أَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ**: أشدّها وعورة. **نَتَائِقِ**: جمع نتيقة، وهي البقاع المرتفعة. **مَدَراً**: المدر: الطين اليابس.
(٢) **دَمِثَةٍ**: لينة يصعب السير فيها. **وَشِلَةٍ**: قليلة الماء.
(٣) **مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ**: أرض فلاة قاحلة بعيدة. **فِجَاجٍ**: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين.
(٤) **بُرَّةٍ سَمْرَاءَ**: أجود أنواع الحنطة. **أَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ**: أراض خصبة. **عِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ**: ساحات كثير ماؤها.
(٥) **مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ**: ما يختلج في النفس من الشكوك والأوهام الكثيرة المتلاطمة.

النَّاسِ، ولَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمُجَاهِدِ، ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَىٰ فَضْلِهِ، وأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ». **[خ١٩٢]**

في التحذير من البغي ومن الكبرياء والعصبية:

«فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَىٰ، ومَكِيدَتُهُ الْكُبْرَىٰ، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَداً، ولا تُشْوِي أَحَداً، لا عَالِماً لِعِلْمِهِ، ولا مُقِلاً فِي طِمْرِهِ[١]، وعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ والزَّكَوَاتِ، ومُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ؛ تَسْكِيناً لأَطْرَافِهِمْ[٢]، وتَخْشِيعاً لأَبْصَارِهِمْ، وتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وإِذْهَاباً لِلْخُيَلاءِ عَنْهُمْ، ولِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، والْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً، ولُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ[٣]مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ، وغَيْرِ ذَلِكَ إِلَىٰ أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ والْفَقْرِ. انْظُرُوا إِلَىٰ مَا فِي هَذِهِ الأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ[٤]. ولَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلاءِ، أَوْ حُجَّةٍ

---

(١) **تُسَاوِرُ**: تقاتل. **تُكْدِي**: تؤثّر. **تُشْوِي**: تخطئ القتل. **طِمْرِهِ**: الطِّمر: الثوب الخلِق.

(٢) **أَطْرَافِهِمْ**: الأطراف: الأيدي والأرجل.

(٣) **عِتَاقِ الْوُجُوهِ**: كرائمها. **الْمُتُونِ**: الظهور.

(٤) **قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ**: قهر ما ظهر من الفخر . **قَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ**: منع ما ظهر منه.

تَلِيطُ[١] بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ، غَيْرَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ ولا عِلَّةٌ، أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لأَصْلِهِ، وطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وأَنْتَ طِينِيٌّ. وَأَمَّا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ، فَقَالُوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وأَوْلاداً وما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، ومَحَامِدِ الأَفْعَالِ، ومَحَاسِنِ الأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ والنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ ويَعَاسِيبِ القَبَائِلِ، بِالأَخْلاقِ الرَّغِيبَةِ، والأَحْلامِ[٢] الْعَظِيمَةِ، والأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، والآثَارِ الْمَحْمُودَةِ، فَتَعَصَّبُوا لِخِلالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، والْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ[٣]، والطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، والْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، والأَخْذِ بِالْفَضْلِ، والْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، والإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، والإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، والْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ». **[خ١٩٢]**

في التحذير من الفُرقة ومن معصية الله والمخالفة لأمره:

«واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاتِ[٤]، بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ والشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ؛ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، ومُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، ووَصَلَتِ الْكَرَامَةُ

---

(١) **تَلِيطُ**: تلتصق.

(٢) **يَعَاسِيبِ القَبَائِلِ**: أمراؤهم وسادتهم. **الرَّغِيبَةِ**: المرضيّة المرغوبة. **الأَحْلامِ**: العقول.

(٣) **الْجِوَارِ**: الاحتماء بالغير من الظلم. **الذِّمَامِ**: العهد والميثاق.

(٤) **الْمَثُلاتِ**: العقوبات الواقعة على الأمم السابقة.

عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ، مِنَ الاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، واللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، والتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، والتَّوَاصِي بِهَا، واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ[1]، وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وتَخَاذُلِ الأَيْدِي، وتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ؛ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ والْبَلاءِ، أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلائِقِ أَعْبَاءً، وأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاءً، وأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً؟ اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً، فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ[2]، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وقَهْرِ الْغَلَبَةِ، لا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، ولا سَبِيلاً إِلَىٰ دِفَاعٍ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ، والاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ؛ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، والأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وأَئِمَّةً أَعْلاماً، وقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ، فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا، حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلاءُ مُجْتَمِعَةً، والأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، والْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، والأَيْدِي مُتَرَادِفَةً[3]، والسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، والْبَصَائِرُ نَافِذَةً، والْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ؟ ومُلُوكاً عَلَىٰ رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟ فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وتَشَتَّتِ الأُلْفَةُ، واخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ والأَفْئِدَةُ،

---

(١) **فِقْرَتَهُمْ**: الفِقرة: الواحدة من فقرات الظهر وعظم الصلب. **أَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ**: أضعف قوتهم. **تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ**: أحقادها وضغائنها.

(٢) **الْمُرَارَ**: شجر شديد المرارة.

(٣) **الأَمْلاءُ**: جمع ملأ، وهي الجماعة والقوم. **مُتَرَادِفَةً**: متعاونة.

وتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، وقَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ. فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وبَنِي إِسْحَاقَ وبَنِي إِسْرَائِيلَ عليه السلام، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ[١]، وأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ، تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ والْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ، وبَحْرِ الْعِرَاقِ، وخُضْرَةِ الدُّنْيَا؛ إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، ومَهَافِي الرِّيحِ[٢]، ونَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ، إِخْوَانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ[٣]، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً، وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، ولا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلاءِ أَزْلٍ، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ[٤]، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ، فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ، قَدْ تَرَبَّعَتِ[٥]الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي

---

(١) **اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ**: تساوي أحوالكم وأحوالهم.

(٢) **الشِّيحِ**: نبات طيب الرائحة. **مَهَافِي الرِّيحِ**: جهات هبوبها.

(٣) **عَالَةً**: فقراء. **دَبَرٍ**: مرض، والدَّبَر: هو قرحة تكون في ظهر الدابّة. **وَبَرٍ**: شعر الجمل.

(٤) **بَلاءِ أَزْلٍ**: بلاء شديد. **أَطْبَاقِ جَهْلٍ**: جهل متراكم.

(٥) **الْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ**: جمعت ملة الإسلام كلمتهم ووحدتهم. **فَكِهِينَ**: راضين مسرورين. **تَرَبَّعَتِ**: أقامت.

ذُرَىٰ مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، ومُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، ويُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ، لا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، ولا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ[1]. أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَد نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ الله[2]الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، ويَأْوُونَ إِلَىٰ كَنَفِهَا؛ بِنِعْمَةٍ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ، وإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ الله وقَوَارِعِهِ، وأَيَّامِهِ ووَقَائِعِهِ، فَلا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، ويَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، والْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي، أَلا وقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلامِ وعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ». [خ١٩٢]

ومن كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾:

«يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ! وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ! وَخطراً مَا أَفْظَعَهُ[3]! لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ

(١) **لا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ**: لا تمس قناتهم، وهي الواحدة من الرماح. **لا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ**: لا تكسر لهم صفاة، وهي الصخرة العظيمة، كناية عما هم عليه من عزة وقوّة.

(٢) **ثَلَمْتُمْ حِصْنَ الله**: خرقتموه، كناية عن عصيانهم لله وترك العمل بأحكامه وشريعته.

(٣) **مَرَاماً**: مطلباً. **زَوْراً**: زائراً. **مَا أَفْظَعَهُ**: ما أصعبه وأعظمه.

أَيَّ مُدَّكِرٍ[١]، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ! أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَىٰ يَتَكَاثَرُونَ! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ، وَلْأَنْ يَكُونُوا عِبَراً، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً، وَلِأَن يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ، أَحْجَىٰ[٢] مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ[٣]، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلاَّلاً، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً، تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ[٤] فِيمَا لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ. أُولِئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ[٥] سَبِيلاً سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لاَ يَنْمُونَ، وَضِماراً[٦] لاَ يُوجَدُونَ، لاَ يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلاَ يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلاَ يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ، وَلاَ يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ[٧]، غُيَّباً لاَ يُنْتَظَرُونَ،

---

(١) **لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ:** لقد كان خلوّهم مما هم فيه أعظم ذكرىٰ وموعظة.

(٢) **أَحْجَىٰ:** أقرب للتعقل والتفكر.

(٣) **أَبْصَارِ الْعَشْوَةِ:** أبصار ضعيفة البصر.

(٤) **الرُّبُوعِ:** المساكن. **هَامِهِمْ:** رؤوسهم. **تَسْتَنْبِتُونَ:** تزرعون النبات. **تَرْتَعُونَ:** تتنعّمون.

(٥) **سَلَفُ غَايَتِكُمْ:** السابقون لكم إلىٰ ما تنتهون إليه وهو الموت. **فُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ:** متقدموكم إلىٰ مواضع الشرب، كناية عن الموت. **الْبَرْزَخِ:** القبر.

(٦) **ضِماراً:** رأس مال.

(٧) **الرَّوَاجِفِ:** الزلازل. **الْقَوَاصِفِ:** الرياح الشديدة المحطّمة لما قابلها.

وَشُهُوداً لاَ يَحْضُرونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَآلاَفاً فافْتَرَقُوا، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلاَ بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ[١]، وَلكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَىٰ سُبَاتٍ[٢]، جِيرَانٌ لاَ يَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلاَّءُ، لاَ يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً، وَلاَ لِنَهَارٍ مَسَاءً. أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ[٣] كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً، شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكِلا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَىٰ مَبَاءَةٍ[٤]، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا. وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ[٥]، وَخَوَتِ الْأَجْسَادُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَىٰ، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ[٦]، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي

(١) **عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ:** انتهت أخبارهم . **صَمَّتْ دِيَارُهُمْ:** صمتت ديارهم (أي القبور) فلا يسمع لها حس.
(٢) **ارْتِجَالِ الصِّفَةِ:** وصف الحال بلا تأمّل. **صَرْعَىٰ سُبَاتٍ:** هلكى نوم.
(٣) **الْجَدِيدَيْنِ:** الليل والنهار. **ظَعَنُوا فِيهِ:** فارقوه.
(٤) **مَبَاءَةٍ:** مكان استقرار.
(٥) **كَلَحَتِ:** تكشرت في عبوس. **النَّوَاضِرُ:** الناضرة، الحسنة الجميلة.
(٦) **أَهْدَامَ:** جمع هدم وهو الثوب البالي الممزق. **الْبِلَىٰ:** القِدم. **تَكَاءَدَنَا:** شق علينا. **الْمَضْجَعِ:** مكان النوم.

مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلاَ مِنْ ضِيقٍ مُتَّسعاً! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ[١]، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا[٢]، وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلاَ أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ فِي كَلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ[٣] لاَ تَنْجَلِي. فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ! يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً[٤] بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ ، إِذْ وَطِىءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ[٥]، وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ، فَخَالَطَهُ بَثٌّ[٦] لاَ يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ

(١) **ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ:** استقرت فلم تعد تسمع شيئاً. **الْهَوَامِّ:** الحشرات والديدان. **خَسَفَتْ:** فقئت.
(٢) **هَمَدَتِ:** سكتت. **بِلًى:** قِدم. **سَمَّجَهَا:** جعلها سمِجة، أي قبيحة.
(٣) **أَقْذَاءَ:** جمع قذىٰ، وهو ما يؤلم العين. **غَمْرَةٌ:** شدة وكرب.
(٤) **ضَنّاً:** بُخلاً. **غَضَارَةِ عَيْشِهِ:** طيبه. **شَحَاحَةً:** بُخلاً.
(٥) **إِذْ وَطِىءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ:** الحسك: نوع من الشوك، والمعنىٰ: إذا كان في زمن نعمة أصابه ما يؤذيه.
(٦) **الْحُتُوفُ:** الخطوب المهلكات. **كَثَبٍ:** قرب. **بَثٌّ:** حزن.

تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ[١]، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِد إِلاَّ ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلاَ حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلاَّ هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلاَ اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلاَّ أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ، حَتَّىٰ فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ. وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ[٢] يَكْتُمُونَهُ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُو لِمَا بِهِ؛ وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ[٣]، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَىٰ فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَىٰ الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذلِكَ عَلَىٰ جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ[٤]، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ[٥]، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا[٦]». [خ٢٢١]

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ والآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾:

«إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاَءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ

---

(١) **الْقَارِّ:** البارد.

(٢) **تَعَايَا:** أصابهم الإعياء وهوالعجز عن وصف دائه. **شَجِيَّ خَبَرٍ:** الإخبار المقترن بالحزن.

(٣) **هُو لِمَا بِهِ:** أي هو مُسلَم لما به من علّة. **مُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ:** يمنّيهم برجوع العافية إليه.

(٤) **نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ:** ما كان من أفكار نافذة، أي مصيبة للحقيقة.

(٥) **عَيَّ:** عجز عن الكلام. **فَتَصَامَّ عَنْهُ:** ادعىٰ الصمم، وهو عدم سماعه للحديث.

(٦) **غَمَرَاتٍ:** شدائد، وهي السكرات. **تَعْتَدِلَ عَلَىٰ عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا:** تستقيم عليها بالقبول والإدراك.

الْعَشْوَةِ[١]، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ لله عَزَّتْ آلاَؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ الله[٢]، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ[٣] حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ. وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لِأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ الله، فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا[٤]، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى النَّاسُ، وَيَسمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقلاَلِ

---

(١) **الْوَقْرَةِ:** ثِقَل في السمع. **الْعَشْوَةِ:** ضعف البصر.

(٢) **اسْتَصْبَحُوا:** أضاءوا مصابيحهم. **أَيَّامِ الله:** وقائعه في الأمم الماضية.

(٣) **الْفَلَوَاتِ:** جمع فلاة، وهي الأرض الخالية. **أَخَذَ الْقَصْدَ:** مضى على الاعتدال في سلوكه وسائر أموره.

(٤) **الْبَرْزَخِ:** القبر. **عِدَاتِهَا:** موعودها.

بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجاً، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً[١]، يَعِجُّونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلاَمَ هُدىً، وَمَصَابِيحَ دُجىً[٢]، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ[٣] إِلَىٰ فَضْلِهِ، وَأُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَىٰ قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ[٤]، وَلاَ يَحِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ». [خ٢٢٢]

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾:

«أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ[٥]. يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ[٦]، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ

(١) **أَوْزَارِهِمْ:** ذنوبهم وآثامهم. **فَنَشَجُوا:** بكوا بكاءً فيه غصّة. **نَحِيباً:** بكاء شديداً، أي بحرقة وألم.
(٢) **يَعِجُّونَ:** يصيحون بأصوات مرتفعة. **دُجىً:** ظلام.
(٣) **فَاقَة:** فقر وحاجة.
(٤) **الْأَسَىٰ:** الحزن. **الْمَنَادِحُ:** جمع مندوحة، وهي الأرض الواسعة.
(٥) **أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً:** أبطل المسئولين حجّة. **أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ:** أعجبته نفسه بجهالتها.
(٦) **بُلُولٌ:** شفاء.

غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَىٰ الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَىٰ الْمُبْتَلَىٰ بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ[١] فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَكَ عَلَىٰ دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ عَلَىٰ مُصَابِكَ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ! وَكَيْفَ لاَ يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ[٢]، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ! فَتَدَاوَمِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَة، وَمِنْ كَرَىٰ[٣] الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ، وَكُنْ لله مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً، وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلَىٰ عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ. فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مَتَقَلِّبٌ. فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ! وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ هذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقَدْرِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلاَقِ، وَمَسَاوِئِ الْأَعْمَالِ. وَحَقّاً أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ، عَلَىٰ سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلاَءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَىٰ مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ،

---

(١) **يُمِضُّ جَسَدَهُ:** ينهكه.

(٢) **بَيَاتِ نِقْمَةٍ:** انتظار عقوبة.

(٣) **كَرَىٰ:** نوم.

وَبَلاَغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ[١] بكَ! وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلاً! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ؛ إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا[٢] الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَلاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ[٣]، وَعَلاَئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٍ! فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَىٰ لَهُ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ، وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ، وَارْحَلْ مَطَايَا[٤] التَّشْمِيرِ». **[خ٢٢٣]**

من كتاب للإمام عليه السلام لقاضيه شريح بن الحارث:

روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترىٰ علىٰ عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك، فاستدعىٰ شريحا وقال له: «بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، وكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً» فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين. قال: فنظر إليه نظر المغضب، ثم قال له: «يَا شُرَيْحُ؛ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، ولا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّىٰ يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، ويُسْلِمَكَ إِلَىٰ قَبْرِكَ خَالِصاً، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ؛ لا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ

---

(١) **الشَّحِيحِ:** البخيل.

(٢) **رَجَفَتِ:** تزلزلت. **الرَّاجِفَةُ:** الزلزلة. **حَقَّتْ:** وقعت. **جَلاَئِلِهَا:** أهوالها العظيمة.

(٣) **دَاحِضَةٌ:** باطلة.

(٤) **شِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ:** المحْ البرق بالنظر إلى السحابة حيث تمطر، والمراد تبيَّن مسلك النجاة. **مَطَايَا:** رواحل.

الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ؛ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَىٰ هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ. وَالنُّسْخَةُ هَذِهِ:

«هَذَا مَا اشْتَرَىٰ عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَىٰ مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وخِطَّةِ الْهَالِكِينَ، وتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي الآفَاتِ، والْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، والْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَىٰ الْهَوَىٰ الْمُرْدِي، والْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَىٰ الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ، اشْتَرَىٰ هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ[1]، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ، هَذِهِ الدَّارَ، بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، والدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ والضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَىٰ مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَىٰ مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، ومُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَىٰ وقَيْصَرَ، وتُبَّعٍ وحِمْيَرَ، ومَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَىٰ الْمَالِ فَأَكْثَرَ، ومَنْ بَنَىٰ وشَيَّدَ، وزَخْرَفَ ونَجَّدَ، وادَّخَرَ واعْتَقَدَ، ونَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ، إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَىٰ مَوْقِفِ الْعَرْضِ والْحِسَابِ، ومَوْضِعِ الثَّوَابِ والْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ، شَهِدَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَىٰ، وسَلِمَ مِنْ عَلائِقِ الدُّنْيَا»

---

(١) **الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى[1]:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، ويَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، ولْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، ومَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، ومَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، ولْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»

رواية أخرى للكتاب المذكور:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، ويَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ، أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ، ولَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ، أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ، ولْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»

من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وتَصَرُّفِ حَالاتِهَا، وكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى

(١) قال الشريف الرضي: وكان عبد اللهّ يقول: «ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى اللهّ عليه وآله، كانتفاعي بهذا الكلام».

إِيحَاشٍ، والسَّلامُ»

طوبى للزاهدين:

عن نوف البكالي قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه، فنظر في النجوم فقال: يا نوف؛ أراقد أنت أم رامق؟ فقلت: بل رامق. قال: «يَا نَوْفُ؛ طُوبَىٰ لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً، وتُرَابَهَا فِرَاشاً، ومَاءَهَا طِيباً، والْقُرْآنَ شِعَاراً، والدُّعَاءَ دِثَاراً[1]، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَىٰ مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ. يَا نَوْفُ؛ إِنَّ دَاوُدَ عليهِ السلامُ قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلا اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً، أَوْ عَرِيفاً، أَوْ شُرْطِيّاً، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ – وهي الطنبور– أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةٍ –وهي الطبل.

عجباً للغافل عن الموت:

تبع عليه السلام جنازة فسمع رجلا يضحك، فقال: «كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا كُتِبَ، وكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا وَجَبَ، وكَأَنَّ الَّذِي نَرَىٰ مِنَ الأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ، ونَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ ووَاعِظَةٍ، ورُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وجَائِحَةٍ».

حديث إلى أهل القبور:

(١) **الشعار**: ما يلي البدن من اللباس، **والدثار**: ما يوضع فوقه.

وقال عليه السلام وقد رجع من صفين فأشْرف علىٰ القبور بظاهر الكوفة: «يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، والْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، والْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ، يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ، ونَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاحِقٌ، أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وأَمَّا الأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وأَمَّا الأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ، هَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟» ثم التفت إلىٰ أصحابه فقال: «أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ»

الدنيا والآخرة ضُرّتان:

رؤي علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام إزار خلق مرقوع، فقيل له في ذلك فقال: «تَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، ويَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّ الدُّنْيَا والآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وسَبِيلانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وتَوَلاهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وعَادَاهَا، وهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ، ومَاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ، وهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ»

في صفة الدنيا:

«تَغُرُّ، وتَضُرُّ، وتَمُرُّ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لأَوْلِيَائِهِ، ولا عِقَاباً لأَعْدَائِهِ، وإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ، بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا»

في الصبر علىٰ المصيبة:

وقال عليه السلام يعزي الأشعث بن قيس في ابن له: «يَا أَشْعَثُ؛ إِنْ تَحْزَنْ عَلَىٰ

ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحِمُ، وإِنْ تَصْبِرْ فَفِي الله مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ، يَا أَشْعَثُ؛ إِنْ صَبَرْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدَرُ وأَنْتَ مَأْجُورٌ، وإِنْ جَزِعْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدَرُ وأَنْتَ مَأْزُورٌ، يَا أَشْعَثُ؛ ابْنُكَ سَرَّكَ وهُوَ بَلاءٌ وفِتْنَةٌ، وحَزَنَكَ وهُوَ ثَوَابٌ ورَحْمَةٌ».

وعزّىٰ قوما عن ميت لهم فقال: عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأَ، ولا إِلَيْكُمُ انْتَهَىٰ، وقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ، فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وإِلا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ»

حقيقة الاستغفار:

سمع عليه السلام قائلاً بحضرته يقول: استغفر الله. فقال عليه السلام: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! أَتَدْرِي مَا الاسْتِغْفَارُ؟ الاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وهُوَاسْمٌ وَاقِعٌ عَلَىٰ سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ، والثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، والثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَلْقَىٰ اللهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، والرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَىٰ كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، والْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَىٰ اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَىٰ السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ حَتَّىٰ تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ ويَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، والسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاوَةَ الْمَعْصِيَةِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ»

في معنىٰ الزهد:

«الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأمَلِ، والشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، والتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ، فَإِنْ عَزَبَ[1] ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، ولا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ[2] ظَاهِرَةٍ، وكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ». [خ٨١]

من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس :

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، ولا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، واعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ ويَوْمٌ عَلَيْكَ، وأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَىٰ ضَعْفِكَ، ومَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ»

في وصف الآخرة وذكر الجنة والنار

في صفة القيامة وأهوالها

«وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ، وجَزَاءِ الأعْمَالِ، خُضُوعاً قِيَاماً، قَدْ أَجْلَمَهُمُ الْعَرَقُ، ورَجَفَتْ بِهِمُ الأرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ

(١) **الأمَلِ**: استفساح الأجل والتسويف بالعمل. **التَّوَرُّعُ**: الورع، وهو ترك الشبهات خوف الوقوع في الحرام. **عَزَبَ عَنْكُمْ**: غاب، بعُد عنكم.

(٢) **حُجَجٍ مُسْفِرَةٍ**: أدلة واضحة لا لبس فيها.

وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، ولِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً». [خ١٠٢]

«حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا، وَأَرَجَّ الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا[١]، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاقِهِمْ[٢]، وجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ، وخَبَايَا الأَفْعَالِ، وجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ؛ أَنْعَمَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ، وانْتَقَمَ مِنْ هَؤُلاءِ، فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لا يَظْعَنُ النُّزَّالُ[٣]، ولا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، ولا تَنُوبُهُمُ الأَفْزَاعُ، ولا تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ، ولا تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ، ولا تُشْخِصُهُمُ الأَسْفَارُ، وأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وغَلَّ الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ، وقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ، وأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ[٤]، ومُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَىٰ أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ ولَجَبٌ، ولَهَبٌ سَاطِعٌ، وقَصِيفٌ هَائِلٌ[٥]، لا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، ولا يُفَادَىٰ أَسِيرُهَا، ولا تُفْصَمُ كُبُولُهَا[٦]، لا مُدَّةَ

(١) **أَمَادَ السَّمَاءَ**: حركها حركة مضطربة. **فَطَرَهَا**: شقّها وأزال نظامها. **أَرْجَفَهَا**: حركها بعنف وزلزلها.
(٢) **بَعْدَ إِخْلاقِهِمْ**: بعد أن أفناهم وأبلاهم كما تبلى الثياب.
(٣) **لا يَظْعَنُ النُّزَّالُ**: لا يرحل عنها من كان من أهلها.
(٤) **سَرَابِيلَ**: جمع سربال وهو القميص. **الْقَطِرَانِ**: سائل أسود اللون منتن الرائحة، يطلى به الإبل فيحرق الجرب بحرِّه وشدة لذعه.
(٥) **كَلَبٌ**: هيجان. **لَجَبٌ**: صوت مرتفع. **قَصِيفٌ هَائِلٌ**: قصفها للأشياء يهول من أبصره، أي يفزعه لشدته.
(٦) **لا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا**: لا يرحل عنها من كان من أهلها. **لا تُفْصَمُ كُبُولُهَا**: لا تنفك قيودها.

لِلدَّارِ فَتَفْنَىٰ، ولا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَىٰ». [خ١٠٩]

في ملك الموت:

«هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّىٰ أَحَداً؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّىٰ الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَيَلِجُ[١] عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟ أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَسَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟». [خ١١٢]

في صفة الجنة

«فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ[٢] نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ[٣] أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَىٰ سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا[٤]، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا[٥]، تُجْنَىٰ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَىٰ نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ[٦]. قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ

---

(١) **يَلِجُ**: يدخل.

(٢) **عَزَفَتْ**: كرهت وزهدت.

(٣) **اصْطِفَاقِ**: تلاطم أوراق الشجر بالنسيم بحيث يسمع لها صوت.

(٤) **عَسَالِيجِهَا**: جمع عسجلوج وهو الغصن. **أَفْنَانِهَا**: أغصانها.

(٥) **أَكْمَامِهَا**: الأكمام: جمع كِمٍّ -بكسر الكاف- وهو: وعاء الطلع وغطاء النور الذي يكون فيه.

(٦) **الْمُصَفَّقَةِ**: المصفّاة. **الْمُرَوَّقَةِ**: النقية الصافية.

الْكَرَامَةُ تَتَمادَىٰ بِهِمْ حَتَّىٰ حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَىٰ مَا يَهْجُمُ عَلَيكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ(١)، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هذَا إِلَىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَىٰ بِقَلْبِهِ إِلَىٰ مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ». **[خ١٦٥]**

«[فَأَمَّا الجَنَّةُ] فَدَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاتٌ، ومَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، ولا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا(٢)، ولا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، ولا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا». [خ٨٥]

«وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً(٣)، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، واطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، ورَضُوا الْمَثْوَىٰ والْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً واسْتِغْفَارًا، وكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً، تَوَحُّشاً وانْقِطَاعاً، فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً، والْجَزَاءَ ثَوَاباً، وكَانُوا أَحَقَّ بِها وأَهْلَها، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ونَعِيمٍ قَائِمٍ». **[خ١٩٠]**

في التخويف من النار:

«واتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وشَرَابُهَا صَدِيدٌ». **[خ١٢٠]**

«واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ

---

(١) **الْمُونِقَةِ**: المعجبة.

(٢) **لا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا**: لا يرحل عنها من كان من أهلها.

(٣) **زُمَراً**: جماعات.

قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا، أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، والْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، والرَّمْضَاءِ[١] تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وقَرِينَ شَيْطَانٍ؟ أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَىٰ النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا[٢] جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ؟ أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ؛ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ[٣]، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، ونَشِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّىٰ أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟». **[خ١٨٣]**

«فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، ونَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا، عَالٍ لَجَبُهَا[٤]، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا[٥]، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ وُقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا». **[خ١٩٠]**

«فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وحَرُّهَا شَدِيدٌ، وعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، ولا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، ولا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ»

مواعظ شافية

(١) **الرَّمْضَاءِ**: شدة الحر في الصيف.

(٢) **حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً**: تحطّمت. **زَجَرَهَا**: زاد في إشعالها. **تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا**: تدافعت مسرعة من أبوابها.

(٣) **الْيَفَنُ**: الشيخ المسن. **لَهَزَهُ**: خالطه. **الْقَتِيرُ**: الشيب.

(٤) **كَلَبُهَا**: الكلَب: الأكل بلا شبع. **لَجَبُهَا**: اللجَب: الصياح والاضطراب.

(٥) **مُتَغَيِّظٍ**: متهيج. **زَفِيرُهَا**: صوت توقدها.

- ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا.

- لا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ.

- احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، والْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ.

- كَفَىٰ بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً ونَوَالاً، وكَفَىٰ بِالنَّارِ عِقَاباً ووَبَالاً.

- كَفَىٰ بِاللهِ مُنْتَقِماً ونَصِيراً، وكَفَىٰ بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وخَصِيماً.

- سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا، وطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، ومُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَىٰ.

- لا يَهْلِكُ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ سِنْخُ أَصْلٍ[1]، ولا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ. [خ١٦]

- فَاسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ، وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ، والتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ[2]. [خ١٦]

- لا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلا رَبَّهُ، ولا يَلُمْ لائِمٌ إِلا نَفْسَهُ. [خ١٦]

- إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَرْضَ الدُّنْيَا ثَوَاباً لأَوْلِيَائِهِ ولا عِقَاباً لأَعْدَائِهِ.

- إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا.

---

(١) **سِنْخُ أَصْلٍ**: أصل الشيء، والمعنىٰ: أن من كان من أهل التقوىٰ فإنه لا يضعف أمره، ولا تفسد أحواله.

(٢) **والتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ**: أي اجعلوا التوبة خلفكم لتكون حائَّة لكم علىٰ فعلها والتلبس بها، أو قدموا التوبة أمامكم لتكون خاتمة لأعمالكم وتكملة لها.

- اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ وبَقَاءَ التَّبِعَاتِ.

- مَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ، ورَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، ولَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِينَهُ عَنْهَا؛ فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ والْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وهُوَفِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وأَخْزَىٰ.

- مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، ومَنْ لا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَىٰ يَجُرُّ بِهِ الضَّلالُ إِلَى الرَّدَىٰ[1].

- لَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَىٰ الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً ومِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً.

- اتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ.

- عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ[2]، وبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَىٰ الْعِبَادُ.

- إِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ، وتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ؛ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ.

- إِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ والنَّهَارُ؛ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ.

- إِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ؛ لَمُسْتَحِقٌّ لأَفْضَلِ الْعُدَّةِ.

- لا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ، بَلْ لا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَىٰ جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

---

(١) **الرَّدَىٰ**: أدلة الهلاك.

(٢) **الأَمْثَالُ**: المتشابهات.

- احْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، ويَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ؛ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

- إِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ.

- إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ.

- فِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ ومَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ[١]. [خ٨٨]

-فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

- رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، واعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ.

- ألا وإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ[٢]. [خ١٦]

- أَلا وإِنَّ التَّقْوَىٰ مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ[٣]. [خ١٦]

- التَّقْوَىٰ دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، والْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، ولا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. [خ١٥٧]

---

(١) **عَتْبٍ**: بلاء وشدة، والمراد ما لاقوه في مستقبل زمانهم من الفتن وتنكر الوقت. **اسْتَدْبَرْتُمْ**: وقع منكم فيما سلف. **خَطْبٍ**: أمر جلل، ويقصد به الذنوب والمعاصي. **مُعْتَبَرٌ**: عبرة.

(٢) **خَيْلٌ شُمُسٌ**: خيل جموح ، وهو الذي يمنع ظهره أن يركب، **تَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ**: أدخلتهم فيها.

(٣) **مَطَايَا ذُلُلٌ**: رواحل مروضة طائعة سهلة الركوب. **أَزِمَّتَهَا**: جمع زمام، وهو ما تقاد به الراحلة.

- بِالتَّقْوَىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا[١]، وبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَىٰ. [خ١٥٧]

- فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ، وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ». [خ١٦]

- الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ» وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ الْمَاضِي، ولَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي؛ فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.

- الأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، والسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ، وكُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

- كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، ومَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، ومَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ.

- كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلا الْجُوعُ والظَّمَأُ، وكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلا السَّهَرُ والْعَنَاءُ.

- الْيَمِينُ والشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، والطَّرِيقُ الْوُسْطَىٰ هِيَ الْجَادَّةُ[٢]، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ، وآثَارُ النُّبُوَّةِ، ومِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ. [خ١٦]

- فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ[٣]، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا

---

(١) **حُمَةُ الْخَطَايَا**: الحُمة: سم العقرب وما يلسع من الهوام، والمراد: سطوة الخطايا وضررها.

(٢) **مَضَلَّةٌ**: طريق ضلالة. **الْجَادَّةُ**: طريق النجاة.

(٣) **تَحْدُوكُمْ**: تسوقكم إلى نهاية أمركم.

يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. [خ٢١]

- الأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، ويُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الأَمَلَ، فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

- إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلا بَعْدَ تَمْهِيلٍ ورَخَاءٍ، ولَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الأَمَمِ إِلا بَعْدَ أَزْلٍ[1] وبَلاءٍ. [خ٨٨]

- فَلا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

- وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وهُوَلَهُ بِالْمِرْصَادِ[2]، عَلَىٰ مَجَازِ طَرِيقِهِ، وبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ[3]. [خ٩٧]

- كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، ومِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.

- اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وتُبْلَىٰ فِيهِ السَّرَائِرُ. [١٢٠]

- رَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، واسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وبَادَرَ مَنِيَّتَهُ.

- وَلَوْ فَكَّروا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَىٰ الطَّرِيقِ، وَخَافُوا

---

(١) **أَزْلٍ**: شدة.

(٢) **الْمِرْصَادِ**: مكان الرصد من الطريق.

(٣) **مَوْضِعِ الشَّجَا**: مكان ما يعترض في الحلق من عظم وغيره. **مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ**: ممره في الحلق.

عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، وَالْأَبْصَارَ مَدْخُولَةٌ[1]!

- أَيُّهَا النَّاسُ؛ كُلُّ امْرِئٍ لاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، الأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ، والْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. [خ١٤٩]

- إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

- فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، ولْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، ولْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. [خ١٥٤]

- إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، ولا فِيمَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ.

- وكُلُّ رَجَاءٍ إِلا رَجَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلا خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ.

- احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الأَعْمَالُ ويَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ وتَشِيبُ فِيهِ الأَطْفَالُ

- الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، والدُّنْيَا تُطْوَىٰ مِنْ خَلْفِكُمْ.

- وأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وهُوَأَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ.

- فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، واعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

---

(١) **عَلِيلَةٌ**: مريضة. **مَدْخُولَةٌ**: أصابها ما يمنع عنها الرؤية.

- تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

- بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ، وخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ -وهُوَالْمَوْتُ- فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ[1] مِنْ خَلْفِكُمْ.

- أَطِيعُوا اللهَ ولا تَعْصُوهُ، وإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

- إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً، بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ والشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، واصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا.

- الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ، أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

- واسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ.

- أَلا وإِنَّهُ لا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلا وإِنَّهُ لا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. **[خ١٧٣]**

- الْعَمَلَ الْعَمَلَ؛ ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، والاسْتِقَامَةَ الاسْتِقَامَةَ؛ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، والْوَرَعَ الْوَرَعَ. **[خ١٧٦]**

---

(١) **تَحْدُوكُمْ**: تسوقكم.

- شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وتَبْقَىٰ تَبِعَتُهُ، وعَمَلٍ تَذْهَبُ مَئُونَتُهُ ويَبْقَىٰ أَجْرُهُ.

- فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالُهُ، ويُنْفَىٰ عَنْكَ وَبَالُهُ.

- مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وأَسْرَعَ الأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ، وأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ.

- ومَا بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ؛ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ.

- قَطِّعُوا عَلائِقَ الدُّنْيَا، واسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَىٰ.

- إِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

- فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

- عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللهِ وهُوَ يَرَىٰ خَلْقَ اللهِ!

- عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وهُوَ يَرَىٰ الْمَوْتَىٰ!

- عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ وهُوَ يَرَىٰ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ!

- عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ!

- إِنَّ للهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، واجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وابْنُوا لِلْخَرَابِ.

- مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، ومَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ.

- يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ.

- إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ، والْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ؛ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَىٰ!

- الْحَذَرَ الْحَذَرَ! فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ.

- طُوبَىٰ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وقَنِعَ بِالْكَفَافِ، ورَضِيَ عَنِ اللهِ.

- لا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلا رَبَّهُ، ولا يَخَافَنَّ إِلا ذَنْبَهُ.

- كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَىٰ بِبَقَائِهِ، ويَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، ويُؤْتَىٰ مِنْ مَأْمَنِهِ؟

- مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، والسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ، ويَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ.

- فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وخُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ مِمَّا لا تَبْقَىٰ لَهُ، وتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ، وشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ، وارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

- مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ، ومَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، ومَنْ أُعْطِيَ الاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، ومَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ

لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ[١].

- إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، ونَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، ومَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ.

- لا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ، ولا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ.

- نَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ، وأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ؟ وهَذَا اللَّيْلُ والنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً؛ إِلا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا!

- سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاءِ بِالدُّعَاءِ.

- مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، ومَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، ومَنْ خَافَ أَمِنَ، ومَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، ومَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، ومَنْ فَهِمَ عَلِمَ.

---

(١) قال الرضي وتصديق ذلك كتاب الله قال الله في الدعاء ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وقال في الاستغفار ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً وقال في الشكر لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وقال في التوبة إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وكانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً.

- مَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلاثٍ: هَمٍّ لا يُغِبُّهُ، وحِرْصٍ لا يَتْرُكُهُ، وأَمَلٍ لا يُدْرِكُهُ.

- يَا ابْنَ آدَمَ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، واعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ.

- مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلا وخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَىٰ إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ، حَتَّىٰ يَطْرُدَهَا عَنْهُ، كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الإِبِلِ.

- يَا ابْنَ آدَمَ؛ لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَىٰ يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

- مَنْ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا؛ جَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً، ومَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللهِ، لا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ.

- رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ، ورُبَّ مُبْتَلًىٰ مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَىٰ، فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَنْفِعُ فِي شُكْرِكَ، وقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ رِزْقِكَ.

- بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ.

- لا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ.

- اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ؛ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَالْحَاكِمُ.

- إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، واللهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

- لا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغُلِكَ بِأَهْلِكَ ووَلَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ ووَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ، وإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللهِ فَمَا هَمُّكَ وشُغُلُكَ بِأَعْدَاءِ اللهِ؟

- أَيُّهَا النَّاسُ؛ لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ؛ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ.

- إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجاً؛ فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، ومَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَاراً؛ فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً.

- يَا أَسْرَىٰ الرَّغْبَةِ؛ أَقْصِرُوا، فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَىٰ الدُّنْيَا لا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ.

- أَيُّهَا النَّاسُ؛ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، واعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا.

- مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ، فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ.

- حُكِمَ عَلَىٰ مُكْثِرٍ مِنْهَا –أي الدنيا– بِالْفَاقَةِ، وأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ.

- إِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ، ويَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاضْطِرَارِ،

ويَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ والإبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ: أَثْرَىٰ. قِيلَ: أَكْدَىٰ. وإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ، حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ

- إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، والْعِقَابَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ؛ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ.

- اتَّقُوا اللهَ؛ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، ولا تُرِكَ سُدًىٰ فَيَلْغُوَ.

- أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، ونَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وذَلِّلْه بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ.

- لا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ؛ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، ولَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ.

- مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلانِيَتَهُ، ومَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، ومَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاسِ.

- إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ،

فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، ودَخَلَ الأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

- إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وأَخْيَبَهُمْ سَعْياً؛ رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ، ولَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وقَدِمَ عَلَىٰ الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ.

- إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَىٰ ظَاهِرِهَا، واشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ.

- مَا كَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَىٰ عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، ولا لِيَفْتَحَ عَلَىٰ عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الإِجَابَةِ، ولا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ.

- أَلا حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَةَ لأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلا الْجَنَّةَ، فَلا تَبِيعُوهَا إِلا بِهَا.

- فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وعُوا، وأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

- اسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، والْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ.

- لِيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وأَسَفُكَ عَلَىٰ مَا خَلَّفْتَ، وهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، واسْتَنْصِحْهُ، وأَحِلَّ حَلالَهُ، وحَرِّمْ حَرَامَهُ.

- اعْتَبِرْ بِمَا مَضَىٰ مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وآخِرَهَا لاحِقٌ بِأَوَّلِهَا، وكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ.

- عَظِّمِ اسْمَ اللهِ؛ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلا عَلَىٰ حَقٍّ.

- احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، ويُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

- احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، ويُسْتَحَىٰ مِنْهُ فِي الْعَلانِيَةِ.

- احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ.

- لِيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وأَسَفُكَ عَلَىٰ مَا خَلَّفْتَ، وهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

- مَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَىٰ هِمَّتِهِ، كَالآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الآخِرَةِ بِأَدْنَىٰ سُهْمَتِهِ.

- مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ للهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ والْبَقَاءِ، ومَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ والْفَنَاءِ.

- مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّىٰ يُخْرِجَهُ عَنْهَا، ومَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا.

- مَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ولَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ، ومَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وضَرَّهُ أَجَلُهُ.

- الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ، لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ

- إِنَّ الْمَالَ والْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، والْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ تَعَالَى لأَقْوَامٍ. فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، واخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ(١)، واعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ ولا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللهِ يَكِلْهُ اللهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ(٢). **[خ٢٣]**

- فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وفِرُّوا إِلَى اللهِ مِنَ اللهِ، وامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ، فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ(٣) آجِلاً، إِنْ لَمْ تُمَنَحُوهُ عَاجِلاً. **[خ٢٤]**

- إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وطُولُ الأَمَلِ(٤)، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ.

- زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ، وانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ(٥). **[خ٩٠]**

---

(١) **بِتَعْذِيرٍ**: لمجرد العذر.

(٢) المعنى: يكل أمره إلى من لا يقدر على مجازاته، بأن يجعل ثوابه إلى الناس الذين عمل من أجلهم.

(٣) **فَلْجِكُمْ**: نصركم وظفركم، والمعنى: أنهم إن كانوا كذلك تحقق لهم ما وعدهم الله من النصر والتأييد.

(٤) **الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

(٥) **عُنْفِ السِّيَاقِ**: شدة السَّوق للعصاة يوم القيامة.

- أَلاَ إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ[١] كَشْفَةً، لاَ أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونَ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً. [خ١٤٤]

- إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وإِغْلاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ؛ لِيَتُوبَ تَائِبٌ، ويُقْلِعَ مُقْلِعٌ، ويَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، ويَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ.

- وقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، ورَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ويُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وبَنِينَ ويَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ويَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً﴾.

- وإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّىٰ نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ[٢] الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ والنِّقْمَةُ. [خ١٤٧]

- وَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ؛ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَىٰ فِيهِ، وإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عِنْدَهُ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ

---

(١) **كَشَفَ الْخَلْقَ**: علم حالهم وأحصىٰ أعمالهم.

(٢) **الْمَوْعُودُ**: ما وعدوا به وهو الموت الذي لا يقبل معه عذر ولا توبة.

كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، والْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟. [خ١٥٤]

- فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، ومَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، والنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ. [خ١٥٧]

- اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ؛ أَنَّ التَّقْوَىٰ دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، والْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، ولا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلاَ وَبِالتَّقْوَىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا[1]، وبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَىٰ. [خ١٥٧]

- قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَىٰ الزَّادِ، وأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[2]، وحُثِثْتُمْ عَلَىٰ الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لا يَدْرُونَ مَتَىٰ يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ. [خ١٥٧]

- أَلا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟ ومَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وتَبْقَىٰ عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وحِسَابُهُ؟

- طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وأَكَلَ قُوتَهُ،

---

(١) **حُمَةُ الْخَطَايَا**: الحُمة: سم العقرب وما يلسع من الهوام، والمراد: سطوة الخطايا وضررها.

(٢) **الظَّعْنِ**: السفر، والمراد هنا الرحيل عن الدنيا بالموت والفناء.

واشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وبَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ؛ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. [خ١٧٦]

- كُنْ مِنْ المَوْتِ عَلَىٰ حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وأَنْتَ عَلَىٰ حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

- يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ وقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، ولا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ.

- إِنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلا ، ونَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ ولَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً فَلا تَتَكَلَّفُوهَا.

- الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لا دَارُ مَقَرٍّ، والنَّاسُ فِيهَا رَجُلانِ: رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا، ورَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا.

- أَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ ومَا بَعْدَ الْمَوْتِ، ولا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ.

- اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً، وجَدَّ تَشْمِيراً، وكَمَّشَ فِي مَهَلٍ، وبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ، ونَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ، وعَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ، ومَغَبَّةِ الْمَرْجِعِ.

- إِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ

السَّبِيلِ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وإِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وكَأَنَّ مَا وَنَىٰ فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ. [خ١٠٣]

- إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا؛ لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا؛ لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وتَصَرُّفِ حَالاتِهَا.

«مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلا يَأْتِي فِي كُرْهٍ، ومَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وقَمَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً، وإِنَّهَا لا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِي هَوًىٰ».

«واعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً، المُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ المُثْقِلِ، والمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ المُسْرِعِ، وأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لا مَحَالَةَ إِمَّا عَلَىٰ جَنَّةٍ أَوْ عَلَىٰ نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، ووَطِّئِ المَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ المَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، ولا إِلَىٰ الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ».

«واعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، ولَنْ تَعْدُوَأَجَلَكَ، وأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وأَجْمِلْ فِي المُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَىٰ حَرَبٍ، ولَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، ولا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ».

«إِنَّ الدُّنْيَا والآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وسَبِيلانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وتَوَلاهَا؛ أَبْغَضَ الآخِرَةَ وعَادَاهَا، وهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ، ومَاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ، وهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ».

«إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ[١]، وإِنَّ لَكُمْ عَلَماً[٢] فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وإِنَّ لِلإِسْلامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ، واخْرُجُوا إِلَى اللهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ». [خ١٧٦]

«إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، ولا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ، آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلامُهُ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ[٣]. فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، ومَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، والنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ». [خ١٥٧]

«طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وطَابَ كَسْبُهُ، وصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ،

---

(١) المعنى: أنه يجب على الإنسان أن يعمل على تزكية نفسه، وتحصيل أسباب دخول الجنة والفوز برضوان الله، وأن له نهاية من ذلك ينتهي عندها، فينبغي منه الاجتهاد حتى يبلغ تلك المنزلة وينال ذلك الجزاء.

(٢) **عَلَماً**: أدلة واضحة بينة، ويعني بها القرآن، أو التكليفات الشرعية من أوامر ونواهي.

(٣) **تَحْدُوكُمْ**: تسوقكم. **الزَّاجِرِ**: سائق الإبل. **بِشَوْلِهِ**: إبله، والشول: ما مضى على رضاعها سبعة أشهر.

ووَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، ولَمْ يُنْسَبْ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ».

«طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وأَكَلَ قُوتَهُ، واشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وبَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ؛ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ». [خ١٧٦]

«اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ، وأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لازِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لأَيَّامِ الْبَقَاءِ. فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَىٰ الزَّادِ، وأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[1]، وحُثِثْتُمْ عَلَىٰ الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لا يَدْرُونَ مَتَىٰ يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ. أَلا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟ ومَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وتَبْقَىٰ عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وحِسَابُهُ؟». [خ١٥٧]

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ؛ مِنْ بَأْسِ اللهِ وصَوْلاتِهِ، ووَقَائِعِهِ ومَثُلاتِهِ، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ».

«إِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وهُوَ صَائِرٌ إِلَىٰ أَهْلٍ بَعْدَكَ، وإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، ولَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ، ولا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَىٰ ظَهْرِكَ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَىٰ رَحْمَةَ اللهِ،

(١) **الظَّعْنِ**: السفر، والمراد هنا الرحيل عن الدنيا بالموت والفناء.

ولِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللهِ».

❊ ❊ ❊

سلسلة روائع نهج البلاغة (٤)

الروائع

جمعها

عبد الرحمن محمد عبدالملك المروني

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

احتجاج علىٰ من يشبّه الخالق:

«بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ؛ فَصِفْ جِبْرِيلَ ومِيكَائِيلَ، وجُنُودَ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ، أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ والأَدَوَاتِ، ومَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ»

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا:

** «تَرِدُ عَلَىٰ أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَىٰ غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ، ونَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ، أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالاخْتِلافِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَىٰ إِتْمَامِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَىٰ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه عَنْ تَبْلِيغِهِ وأَدَائِهِ؟ واللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ و﴿فِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وأَنَّهُ لا اخْتِلافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ولَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾». [خ١٨]

الجهاد:

** «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وهُوَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ، ودِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ، وجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ[1]، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وشَمِلَهُ الْبَلاءُ، ودُيِّثَ بِالصَّغَارِ والْقَمَاءَةِ، وضُرِبَ عَلَىٰ قَلْبِهِ بِالإِسْهَابِ[2]، وأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ[3]، وسِيمَ الْخَسْفَ، ومُنِعَ النَّصَفَ[4]. أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ قِتَالِ هؤُلاَءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمُ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ في عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّىٰ شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ». [خ٢٦]

ضرورة الإمرة:

** لما سمع عليه السلام قول الخوارج: لا حُكْمَ إلا لله؛ قال: «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لا حُكْمَ إِلاَّ للهِ، ولكِنَّ هؤُلاَءِ يَقُولُونَ: لاَ إِمْرَةَ، فَإِنَّهُ لا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، ويَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، ويُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، ويُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ[5]، ويُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، ويُؤْخَذُ بِهِ

---

(١) **جُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ**: الجُنة: الدرع الذي يحمي المحارب من ضربات السيوف والنبال، والمعنىٰ: أن الجهاد يدفع عن الناس ما يكون من غلبة الأعداء من الظلم والطغيان.

(٢) **دُيِّثَ بِالصَّغَارِ والْقَمَاءَةِ**: أصابه الذل وكان جديراً بالامتهان والتحقير. **وضُرِبَ عَلَىٰ قَلْبِهِ بِالإِسْهَابِ**: أصيب بخلل في العقل وفساد في الرأي.

(٣) **أُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ**: تحولت دولة الحق إلىٰ غيره.

(٤) **سِيمَ الْخَسْفَ**: أصيب بالنقص في شأنه والضعف في أمره. **مُنِعَ النَّصَفَ**: حيل بينه وبين العدل الذي يرجوه لنفسه.

(٥) **الْفَيْءُ**: الغنيمة، والمراد به هنا الخراج وما يحويه بيت المال.

لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ بَرٌّ ويُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ».

وفي رواية أُخرىٰ أنّه عليه السلام لمّا سمع تحكيمهم قال: حُكْمَ الله أَنْتَظِرُ فِيكُمْ. وقال: «أَمَّا الإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ، وأَمَّا الإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ، فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ؛ إِلَىٰ أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ». [خ٤٠]

أهل المكر والخديعة:

** «أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلاَ أَعْلَمُ جُنَّةً[١] أَوْقَىٰ مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنا في زَمَانٍ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً[٢]، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلىٰ حُسْنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ! قَاتَلَهُمُ اللهُ! قَدْ يَرَىٰ الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ[٣] وَجْهَ الْحِيلَةِ، ودُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ الله ونَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، ويَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لا حَرِيجَةَ[٤] لَهُ فِي الدِّينِ. [خ٤١]

الحق والباطل:

** « إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ الله، ويَتَوَلَّىٰ عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَىٰ غَيْرِ دِينِ الله. فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ

(١) **جُنَّةً**: وقاية، وأصلها ما استترت به من درع ونحوه.

(٢) **كَيْساً**: فطنة وذكاء.

(٣) **الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ**: أهل التجارب العارفين بتحويل الأمور وتقليبها. **وَجْهَ الْحِيلَةِ**: طريقة المكر والخديعة.

(٤) **حَرِيجَةَ**: تحرج وتحرز من الإثم.

الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَىٰ الْمُرْتَادِينَ[١]، ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ[٢] ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ، ويَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنىٰ». [خ٥٠]

النهي عن تعلم علم النجوم:

لما عزم علىٰ المسير إلىٰ الخوارج، قال له بعض أصحابه: إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك؛ من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام:

«أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَىٰ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ[٣] الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، واسْتَغْنَىٰ عَنِ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ ودَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ، لأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَىٰ السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وأَمِنَ الضُّرَّ».

ثم أقبل عليه السلام علىٰ الناس فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِيَّاكُمْ وتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إِلا مَا يُهْتَدَىٰ بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَىٰ الْكَهَانَةِ، والْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ، والْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، والسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ، والْكَافِرُ فِي

---

(١) **الْمُرْتَادِينَ**: الطالبين للحق الباحثين عنه.

(٢) **ضِغْثٌ**: الضِّغث: القبضة من الحشيش، والمراد به هنا الجزء أو النصيب.

(٣) **حَاقَ بِهِ**: أحاط به.

النَّارِ، سِيرُوا عَلَىٰ اسْمِ اللهِ». [خ٧٩]

في ذم النساء ببيان نقصهن :

** «إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ، فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَىٰ الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ». [خ٨٠]

أئمة الهدىٰ وأئمة الضلال:

** «فَإِنَّهُ لا سَوَاءَ؛ إِمَامُ الْهُدَىٰ، وإِمَامُ الرَّدَىٰ[1]، ووَلِيُّ النَّبِيِّ، وعَدُوُّ النَّبِيِّ، ولَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه: "إِنِّي لا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي مُؤْمِناً ولا مُشْرِكاً، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ، وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ، ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ"».

** «وإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وإِنَّ أَعْلامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وهَدَىٰ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلامٌ وإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلامٌ، وإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وضُلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً»

---

(١) **الرَّدَىٰ**: أدلة الهلاك.

«يَعْطِفُ الْهَوَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ إِذَا عَطَفُوا الْهُدَىٰ عَلَىٰ الْهَوَىٰ، ويَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَىٰ الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَىٰ الرَّأْيِ». [خ١٣٨]

«قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وأَرَزَ[١] الْمُؤْمِنُونَ، ونَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ». [خ١٥٤]

«آثَرُوا عَاجِلاً، وأَخَّرُوا آجِلاً، وتَرَكُوا صَافِياً، وشَرِبُوا آجِناً[٢]. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ فَاسِقِهِمْ وقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وبَسِعَ بِهِ، ووَافَقَهُ؛ حَتَّىٰ شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وصُبِغَتْ بِهِ خَلائِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ[٣]، لا يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، لا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ. أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَىٰ والأَبْصَارُ، اللامِحَةُ إِلَىٰ مَنَارِ التَّقْوَىٰ؟. أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لله؟ وعُوقِدَتْ عَلَىٰ طَاعَةِ الله؟ ازْدَحَمُوا عَلَىٰ الْحُطَامِ[٤]، وتَشَاحُّوا عَلَىٰ الْحَرَامِ، ورُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ والنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ، ودَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا، ووَلَّوْا ودَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وأَقْبَلُوا». [خ١٤٤]

أعلام الهداية والعلماء الربانيين:

** «وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ الله الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ[٥] يَصُونُونَ مَصُونَهُ، ويُفَجِّرُونَ

---

(١) **أَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ**: انقبضوا وثبتوا.

(٢) **آجِناً**: الماء الآجن: الماء المتغير اللون والطعم.

(٣) **خَلائِقُهُ**: أخلاقه. **مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ**: كالموج الهائج المضطرب.

(٤) **الْحُطَامِ**: ما تحطم وصار غير ذي قيمة، ويقصد به زينة الحياة الدنيا ومتاعها.

(٥) **الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ**: الذين أودعهم العلم ليحفظوه.

عُيُونَـهُ، يَتَوَاصَـلُونَ بِالْوِلايَـةِ، ويَتَلاقَـوْنَ بِالْمَحَبَّـةِ، ويَتَسَـاقَوْنَ بِكَـأْسٍ رَوِيَّـةٍ، ويَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ[١]، لا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ[٢]، ولا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ، عَلَىٰ ذَلِـكَ عَقَـدَ خَلْقَهُمْ وأَخْلاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَـابُّونَ، وبِـهِ يَتَوَاصَـلُونَ، فَكَـانُوا كَتَفَاضُـلِ الْبَـذْرِ يُنْتَقَىٰ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ ويُلْقَىٰ، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ وهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ».

** «اللهُمَّ بَلَىٰ؛ لا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّـا ظَـاهِراً مَشْـهُوراً، وإِمَّـا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وبَيِّنَاتُهُ، وكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ؟ أُولَئِـكَ واللهِ الأَقَلُّونَ عَدَداً، والأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْراً، يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وبَيِّنَاتِـهِ، حَتَّـىٰ يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، ويَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَىٰ حَقِيقَـةِ الْبَصِيرَةِ، وبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، واسْـتَلانُوا مَـا اسْـتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُـونَ، وأَنِسُـوا بِـمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ، أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَىٰ، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، والدُّعَاةُ إِلَىٰ دِينِهِ، آهِ آهِ شَوْقاً إِلَىٰ رُؤْيَتِهِمْ»

** «إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللهِ إِلَيْـهِ عَبْـداً أَعَانَـهُ اللهُ عَـلَىٰ نَفْسِـهِ؛ فَاسْتَشْـعَرَ الْحُـزْنَ، وتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ[٣]، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَىٰ فِي قَلْبِهِ، وأَعَدَّ الْقِرَىٰ[٤] لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وهَوَّنَ الشَّدِيدَ، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وذَكَـرَ فَاسْـتَكْثَرَ، وارْتَـوَىٰ

---

(١) **رَوِيَّةٍ**: مروية من ظمأ التباعد والنُّفرة بالمودّة والإخاء. **يَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ**: يرجعون بما يروي عطشهم.

(٢) **لا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ**: لا يخالطهم الشك.

(٣) **اسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ**: جعله شعاره، والشعار: هو ما يلي البدن من اللباس. **تَجَلْبَبَ الْخَوْفَ**: جعلـه جلبابـه، والجلباب: هو ما تضعه المرأة فوق ثيابها.

(٤) **الْقِرَىٰ**: ما يهيأ للضيف، والمراد العمل الصالح.

مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ[١]؛ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً، وسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً[٢]، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ[٣]، وتَخَلَّىٰ مِنَ الْهُمُومِ؛ إِلا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَىٰ، ومُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَىٰ، وصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَىٰ ومَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَىٰ[٤]، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وسَلَكَ سَبِيلَهُ، وعَرَفَ مَنَارَهُ، وقَطَعَ غِمَارَهُ[٥]، واسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَىٰ[٦] بِأَوْثَقِهَا، ومِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَمِنَ الْيَقِينِ عَلَىٰ مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ[٧] لله سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الأُمُورِ؛ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ[٨]، وتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَىٰ أَصْلِهِ، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ[٩]، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلاتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ[١٠]، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، ويَسْكُتُ فَيَسْلَمُ، قَدْ أَخْلَصَ لله فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَمِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَىٰ عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ ويَعْمَلُ بِهِ، لا

---

(١)**عَذْبِ فُرَاتٍ**: ماء عذب طيب المذاق، خال من الملوحة وما شابه.

(٢)**شَرِبَ نَهَلاً**: أطفأ بشربه عطشه. **سَبِيلاً جَدَداً**: طرقا مستوية لا يعثر الماشي فيها.

(٣)**سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ**: متعلقات النفوس وشهواتها.

(٤)**الرَّدَىٰ**: الهلاك.

(٥)**قَطَعَ غِمَارَهُ**: غمار البحر أمواجه، والمراد تجاوز المخطر ووصل إلى بر الأمان.

(٦)**الْعُرَىٰ**: جمع عروة؛ وهي العُقدة التي تجعل في الحبل لرفع الشيء الثقيل به.

(٧)**نَصَبَ نَفْسَهُ**: أتعبها.

(٨)**إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ**: ردّ كل شبهة في أمر الدين أو مما يخطر من وسواس الشيطان إلى الله تعالى.

(٩)**عَشَوَاتٍ**: جمع عشوة، ويعني بها الأمور الملتبسة غير الواضحة.

(١٠)**دَفَّاعُ مُعْضِلاتٍ**: يكشف الشدائد الصعاب بصواب رأيه. **دَلِيلُ فَلَوَاتٍ**: الفلاة هي المفازة الخالية، والقفر المنقطع، وأراد أنه خبير بطرق السلامة، والسبل المؤدية إلى الجنة.

يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلا أَمَّهَا، ولا مَظِنَّةً إِلا قَصَدَهَا[١]، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ[٢]، فَهُوَقَائِدُهُ وإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، ويَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ». [خ٨٧]

** «واعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، ولَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، ولَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ، فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، ومَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لا يُخَالِفُونَ الدِّينَ، ولا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَبَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ». [خ١٤٧]

علماء السوء وأئمة الضلال:

** «وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّىٰ عَالِماً ولَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، وأَضَالِيلَ مِنْ ضُلالٍ، ونَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وقَوْلِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ آرَائِهِ، وعَطَفَ الْحَقَّ عَلَىٰ أَهْوَائِهِ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ، ويُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ؛ وفِيهَا وَقَعَ، ويَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ؛ وبَيْنَهَا اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَىٰ فَيَتَّبِعَهُ، ولا بَابَ الْعَمَىٰ فَيَصُدَّ عَنْهُ، وذَلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ». [خ٨٧]

---

(١) **أَمَّهَا**: قصدها. **مَظِنَّةً**: مظنة الشيء موضعه الذي يظن كونه فيه.

(٢) **زِمَامِهِ**: زمام الدابة هو ما تقاد به الراحلة، والمراد أنه استسلم لأحكام الكتاب وخضع لأحكامه.

** «إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلائِقِ إِلَى اللهِ رَجُلانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ[١]، مَشْغُوفٌ بِكَلامِ بِدْعَةٍ، ودُعَاءِ ضَلالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَىٰ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.

وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً[٢]، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الأُمَّةِ، عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ[٣]، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً ولَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ[٤] مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّىٰ إِذَا ارْتَوَىٰ مِنْ مَاءٍ آجِنٍ، واكْتَثَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ[٥]؛ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً، ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَىٰ غَيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَىٰ الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ[٦] ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ، لا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاتٍ، عَاشٍ

---

(١) **وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ:** تركه وشأنه، والمراد حرم توفيق الله وعنايته. **جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ:** منحرف عن طريق الحق.

(٢) **قَمَشَ جَهْلاً:** جمع علمه من الجهالات، مما ليس عليه دليل واضح من الكتاب والسنة.

(٣) **مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الأُمَّةِ:** مسرع فيها بالغش والتغرير. **عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ:** مسرع إلى ما يكون سببا في الفتنة. **عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ:** يتعامى عما فيه الصلح والمسالمة بين الناس.

(٤) **بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ:** بكّر فطلب الكثير.

(٥) **مَاءٍ آجِنٍ:** فاسد متغير. **اكْتَثَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ:** استكثر مما لا فائدة منه.

(٦) **الْمُبْهَمَاتِ:** ما خفي حكمه من المسائل الشرعية وقضايا النزاع والتخاصم. **حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ:** قولاً ضعيفاً بالياً استمده من رأيه، وعول عليه بلا دليل ولا حجة.

رَكَّابُ عَشَوَاتٍ[١]، لَمْ يَعَضَّ عَلَىٰ الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ، يَذْرُو الرِّوَايَاتِ ذَرْوَالرِّيحِ الْهَشِيمَ، لا مَلِيٌّ واللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، ولا أَهْلٌ لِمَا قُرِّظَ بِهِ[٢]، لا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، ولا يَرَىٰ أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وتَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ. إِلَىٰ اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً، ويَمُوتُونَ ضُلالاً، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ، ولا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً ولا أَغْلَىٰ ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، ولا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ولا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ». [خ١٧]

** «هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً – وأشار بيده إلىٰ صدره – لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً، بَلَىٰ؛ أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، ومُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وبِحُجَجِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، أَلا لا ذَا ولا ذَاكَ، أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ والادِّخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الأَنْعَامُ السَّائِمَةُ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ»

---

(١) **عَاشٍ**: العاشي هو الذي لا يبصر في الليل لضعف في بصره، **رَكَّابُ عَشَوَاتٍ**: متخبط في الظلمات.

(٢) **المعنىٰ:** لا هو حقيق بأن يقوم بما يستطيع القيام به، ولا هو مستحق لما أثني عليه ومدح به لما هو عليه من الجهل والغباوة.

** «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لأَمْرِهِمْ مِلاكاً، واتَّخَذَهُمْ لَـهُ أَشْرَاكـاً[١]، فَبَـاضَ وفَـرَّخَ فِي صُـدُورِهِمْ، ودَبَّ ودَرَجَ فِي حُجُـورِهِمْ[٢]، فَنَظَـرَ بِـأَعْيُنِهِمْ، ونَطَـقَ بِأَلْسِـنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ[٣]، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُـلْطَانِهِ، ونَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَىٰ لِسَانِهِ». [خ٧]

** «وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ. وَيَغْـدُو مَـعَ الْمُـذْنِبِينَ، بـلاَ سَـبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلاَ إِمَامٍ قَائِدٍ». [خ١٥٣]

طريق العلم بالله:

** «مَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، ومَا كَلَّفَـكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ؛ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُـهُ، ولا فِي سُـنَّةِ النَّبِـيِّ صَـلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه وأَئِمَّةِ الْهُدَىٰ أَثَرُهُ؛ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِـكَ مُنْتَهَـىٰ حَـقِّ اللهِ عَلَيْكَ». [خ٩١]

صفة الراسخين في العلم:

** «اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّـدَدِ الْمُضْرُـوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ: الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَـدَحَ اللهُ تَعَالَىٰ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وسَمَّىٰ تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا

(١) **مِلاكاً**: قوامه الذي يُمْلَكُ به. **أَشْرَاكاً**: جمع شَرَك وهي آلة الصيد.

(٢) كناية عن تَوَطّنِ الشيطان في صدورهم بالوسوسة وتزيين الشر لهم كما يبيض الطائر ويفرخ في عشه، وكما يتربى الطفل في حجر أمه.

(٣) **الزَّلَلَ**: الغلط والخطأ. **الْخَطَلَ**: المنطق الفاسد الفاحش .

لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَىٰ ذَلِكَ، ولا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ قَدْرِ عَقْلِكَ فتكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ». [خ٩١]

فيما كان عليه الفضلاء من صحابة رسول الله «ص»:

** «لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه فَمَا أَرَىٰ أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً، وقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وخُدُودِهِمْ[١]، ويَقِفُونَ عَلَىٰ مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَىٰ مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّىٰ تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، ومَادُوا[٢] كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ؛ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، ورَجَاءً لِلثَّوَابِ». [خ٩٧]

أركان الإسلام وفضائل الأعمال:

** «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ الإِيمَانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ، والْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ؛ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلامِ[٣]، وكَلِمَةُ الإِخْلاصِ؛ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وإِقَامُ الصَّلاةِ؛ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ؛ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ[٤] مِنَ الْعِقَابِ، وحَجُّ الْبَيْتِ واعْتِمَارُهُ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ

---

(١) المعنىٰ: يصلون تارة وينامون تارة.

(٢) **مَادُوا**: اضطربوا.

(٣) **ذِرْوَةُ الإِسْلامِ**: أعلاه وأفضله.

(٤) **جُنة**: وقاية من المهالك.

الْفَقْرَ، ويَرْحَضَانِ الذَّنْبَ[١]، وصِلَةُ الرَّحِمِ؛ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، ومَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ[٢]، وصَدَقَةُ السِّرِّ؛ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وصَدَقَةُ الْعَلانِيَةِ؛ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ، أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ». [خ١١٠]

الأئمة الأعلام ترجمان الكتاب:

** «هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، ولا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ، وقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ» فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، ورَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ». [خ١٢٥]

وصية الإمام عليه السلام لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه لما أخرج إلى الربذة[٣]:

«يَا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنَّكَ غَضِبْتَ للهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، واهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، ومَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، والأَكْثَرُ حُسَّداً، ولَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ والأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً، لا يُؤْنِسَنَّكَ إِلا الْحَقُّ، ولا يُوحِشَنَّكَ إِلا الْبَاطِلُ،

---

(١)**يَرْحَضَانِ الذَّنْبَ**: يغسلان الذنوب.

(٢)**مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ**: سبب ثراء. **مَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ**: تأخير وزيادة في العمر.

(٣)**الربذة**: موضع قريب من المدينة المنورة، أخرج إليه أبو ذر الغفاري بأمر من الخليفة عثمان بن عفان.

فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ، ولَوْ قَرَضْتَ[١] مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ». [خ١٣٠]

فيما يجب أن يكون عليه ولي أمر المسلمين:

** «لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَىٰ الْفُرُوجِ والدِّمَاءِ والْمَغَانِمِ والأَحْكَامِ وإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ: الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، ولا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، ولا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، ولا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، ولا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، ويَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، ولا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ». [خ١٣١]

** «إِنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ الإِمَامِ إِلا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، الإِبْلاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، والاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، والإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَىٰ مُسْتَحِقِّيهَا، وإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَىٰ أَهْلِهَا»

ومن كلام له عليه السلام وقد دخل علىٰ العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده:

فلما رأىٰ سعة داره قال: «مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا؟ وأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ، وبَلَىٰ؛ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا[٢]، فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ». فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين؛ أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

---

(١) **قَرَضْتَ مِنْهَا**: قطعت منها جزءا واختصصت به نفسك.

(٢) **تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ**: تكرمه. **تُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا**: تُظهر الحقوق حيث يجب أن تظهر.

قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلىٰ عن الدنيا. قال: عليَّ به. فلما جاء قال: «يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ؛ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ[1]! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَرَىٰ اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ». قال: يا أمير المؤمنين أنت هذا في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك[2]؟ قال: «وَيْحَكَ! إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ[3] كَيْلا يَتَبَيَّغَ[4] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ». **[خ٢٠٩]**

** « إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ[5]». **[٢٠٩]**

** «أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلايَةِ أَمْرِكُمْ، ولَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لا يَجْرِي لأَحَدٍ إِلا جَرَىٰ عَلَيْهِ، ولا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلا جَرَىٰ لَهُ، ولَوْ كَانَ لأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ ولا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لله سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، ولِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، ولَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ،

---

(١) **عُدَيَّ**: تصغير عدو. **اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ**: جعلك الشيطان تهيم علىٰ وجهك.

(٢) **جشوبة مأكلك**: خشونته.

(٣) **يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ**: يجعلوا حالهم مثل حال الضعفاء وأهل المسكنة في لباسهم وأكلهم.

(٤) **يَتَبَيَّغْ**: يهيج به الألم فيهلكه.

(٥) **يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ**: يجعلوا حالهم مثل حال الضعفاء وأهل المسكنة في لباسهم وأكلهم. **يَتَبَيَّغْ**: يهيج به الألم فيهلكه.

تَفَضُّلاً مِنْهُ وتَوَسُّعاً بِمَا هُوَمِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ، ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، ويُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، ولا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلا بِبَعْضٍ. وأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ، وحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَىٰ الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلا بِصَلاحِ الْوُلاةِ، ولا تَصْلُحُ الْوُلاةُ إِلا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَىٰ الْوَالِي حَقَّهُ وأَدَّىٰ الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وجَرَتْ عَلَىٰ أَذْلالِهَا[1] السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، ويَئِسَتْ مَطَامِعُ الأعْدَاءِ، وإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ؛ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وكَثُرَ الإدْغَالُ فِي الدِّينِ، وتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ[2]، فَعُمِلَ بِالْهَوَىٰ، وعُطِّلَتِ الأحْكَامُ، وكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، ولا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ، فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأبْرَارُ، وتَعِزُّ الأشْرَارُ، وتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ. فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وإِنِ اشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَا اللهِ حِرْصُهُ، وطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ؛ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، ولَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، والتَّعَاوُنُ عَلَىٰ إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، ولَيْسَ امْرُؤٌ وإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ،

---

(١) **أَذْلالِهَا**: طرقها ووجوهها.

(٢) **أَجْحَفَ**: ظلم. **الْجَوْرِ**: الظلم. **الإدْغَالُ**: الفساد. **مَحَاجُّ السُّنَنِ**: جمع محجَّة، وهي جادة الطريق.

وتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ؛ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَىٰ مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ، ولا امْرُؤٌ وإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، واقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ[1]؛ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ». [خ٢١٦]

«إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلالُ الله سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ؛ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ، وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ الله عَلَيْهِ، ولَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ الله عَلَىٰ أَحَدٍ إلا ازْدَادَ حَقُّ الله عَلَيْهِ عِظَماً. وإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاتِ الْوُلاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، ويُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ الْكِبْرِ، وقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ واسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، ولَسْتُ بِحَمْدِ الله كَذَلِكَ، ولَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لله سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ والْكِبْرِيَاءِ، ورُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاءِ، فَلا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى الله سُبْحَانَهُ وإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ[2] فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وفَرَائِضَ لا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، ولا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، ولا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ[3]، ولا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، ولا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ

(١) **اقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ**: صغّرته واحتقرته.

(٢) **الْبَلاءِ**: اجهاد النفس في إحسان العمل. **التَّقِيَّةِ**: الخوف، والمراد العقاب.

(٣) **الْبَادِرَةِ**: الغضب، الشدة والحدة. **الْمُصَانَعَةِ**: المداراة.

الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ؛ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ». [خ٢١٦]

** «لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَىٰ إِلَىٰ حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وتَخْفِيفِهِ الْمُئُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً».

** «أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَىٰ قُوتِلَ. ولَعَمْرِي؛ لَئِنْ كَانَتِ الإِمَامَةُ لا تَنْعَقِدُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ، ولَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، ولا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ». [خ١٧٣]

الحقوق الواجبة علىٰ الحاكم لرعيته والعكس:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، ولَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ. فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ؛ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ[1] عَلَيْكُمْ، وتَعْلِيمُكُمْ كَيْلا تَجْهَلُوا، وتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا. وأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ؛ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، والنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ والْمَغِيبِ، والإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، والطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ». [خ٣٤]

ومن كتاب له عليه السلام إلىٰ أمرائه علىٰ الجيش: «مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

(١) **فَيْئِكُمْ:** الفيء: الغنائم، والمراد به هنا الخراج وما يحويه بيت المال.

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ حَقًّا عَلَىٰ الْوَالِي أَلا يُغَيِّرَهُ عَلَىٰ رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، ولا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ، وعَطْفاً عَلَىٰ إِخْوَانِهِ. أَلا وإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلا فِي حَرْبٍ، ولا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلا فِي حُكْمٍ، ولا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، ولا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ للهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ، ولِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ، وأَلا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، ولا تُفَرِّطُوا فِي صَلاحٍ، وأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَىٰ الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَىٰ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، ولا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ، والسَّلامُ»

صلاح الراعي والرعية:

** «فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَىٰ الْوَالِي حَقَّهُ، وأَدَّىٰ الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وجَرَتْ عَلَىٰ أَذْلالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، ويَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ»

وجوب التراحم وستر العيوب:

** «وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لأَهْلِ الْعِصْمَةِ والْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلامَةِ[1] أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ

(١) **الْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلامَةِ**: الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام.

الذُّنُوبِ والْمَعْصِيَةِ، ويَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، والْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ؟ أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ الله عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ؟ وكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وايْمُ الله؛ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ؛ لَجَرَاءَتُهُ عَلَىٰ عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ. يَا عَبْدَ الله؛ لا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، ولا تَأْمَنْ عَلَىٰ نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، ولْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَىٰ مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ». [خ١٤٠]

كبائر الذنوب التي لا ينفع معها عمل:

** «إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ الله فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَىٰ وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لا يَنْفَعُ عَبْداً - وإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِالله فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلاكِ نَفْسٍ، أَوْ يَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ[1]، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ[2]، أَوْ يَلْقَىٰ النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ». [خ١٥٣]

---

(١) **يَعُرَّ**: يلطخ نفسه بما فعله غيره، وفي نسخة: (يقر)، قال في الديباج الوضيء: كأن يقول: أنا قتلت فلاناً، وهو يعلم أن غيره قتله فيقتل به، فيكون كالقاتل لنفسه بذلك لما كذب على نفسه.

(٢) المعنىٰ: تكون له حاجة فيطلب نجاحها من جهته، فلا يمكنه ذلك إلا بإظهار بدعة في الدين وارتكابها.

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر:

أَلاَ وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُم، وَالسَّماءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلاَ زُلْفَةً[1] إِلَيْكُمْ، وَلاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَىٰ حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا. إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلاَقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً). فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ!. [خ١٤٣]

عاقبة الظلم:

** «وسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ، ومَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، ومَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ[2]، ولِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ودِثَارِ السَّيْفِ[3]»

استقامة القلب واللسان:

---

(١) **زُلْفَةً**: قُربة.

(٢) **الْعَلْقَمِ، والصَّبِر**: شجر له ثمر مر المذاق. **الْمَقِرِ**: السم.

(٣) **الشعار**: ما يلي البدن من اللباس، **والدثار**: ما يوضع فوقه. والمعنى أن الخوف لن يفارقهم.

** «أَلاَ وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللهِ[1] وَحُجَّتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ أَلا تَخَافُوا ولا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وقَدْ قُلْتُمْ: رَبُّنَا اللهُ؛ فَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ، وعَلَىٰ مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وعَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لا تَمْرُقُوا مِنْهَا[2]، ولا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، ولا تُخَالِفُوا عَنْهَا، فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ إِيَّاكُمْ وتَهْزِيعَ الأَخْلاقِ وتَصْرِيفَهَا[3]، واجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً، ولْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ[4] بِصَاحِبِهِ، واللهِ مَا أَرَىٰ عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَىٰ تَنْفَعُهُ حَتَّىٰ يَخْزُنَ لِسَانَهُ، وإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ، لأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ، وإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ، لا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ ومَا ذَا عَلَيْهِ، ولَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه: "لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ولا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ". فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ. وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ، وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لاَ يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلكِنَّ الْحَلاَلَ مَا

---

(١) **تَوَرَّدَ**: تحقق، أو ورد متتالياً شيئا فشيئاً. **بِعِدَةِ اللهِ**: بوعد الله الصادق.

(٢) **لا تَمْرُقُوا مِنْهَا**: لا تفارقوها.

(٣) **تَهْزِيعَ الأَخْلاقِ**: فعل ما يدنسها من القبائح. **تَصْرِيفَهَا**: التلون والتحول من حال إلى حال.

(٤) **جَمُوحٌ**: يورد صاحبه في المهالك.

أَحَلَّ اللهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأَمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا[١]، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُم، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ؛ فَلاَ يَصَمُّ عَنْ ذلِكَ إلاَّ أَصَمُّ، وَلاَ يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إلاَّ أَعْمَى. وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِالْبَلاَءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ[٢]، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ. وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلاَنِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلاَ ضِياءُ حُجَّةٍ». [خ١٧٦]

الأمانة:

** «ثُمَّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، والأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ[٣]، والْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلا أَطْوَلَ، ولا أَعْرَضَ، ولا أَعْلَى، ولا أَعْظَمَ مِنْهَا، ولَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ، أَوْ عَرْضٍ، أَوْ قُوَّةٍ، أَوْ عِزٍّ؛ لامْتَنَعْنَ، ولَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وهُوَ الإِنْسَانُ، إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً». [خ١٩٩]

سبب الهزيمة:

** «وإِنِّي واللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ[٤]؛ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ

---

(١) **ضَرَّسْتُمُوهَا**: جربتموها.

(٢) **مِنْ أَمَامِهِ**: مما يكون مستقبلاً له من المناقشة والجزاء يوم القيامة.

(٣) **سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ**: سيغلبونكم وتكون الدولة لهم.

(٤) **الْمَدْحُوَّةِ**: المبسوطة.

فِي الْبَاطِلِ، وبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وخِيَانَتِكُمْ، وبِصَلاحِهِمْ فِي بِلادِهِمْ وفَسَادِكُمْ». [خ٢٥]

** «أَمَا والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، ولَكِنْ لإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي». [خ٩٧]

صفات أهل النفاق:

** «وأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ؛ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ، والزَّالُّونَ المُزِلُّونَ[١]، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، ويَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً[٢]، ويَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ[٣]، ويَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ[٤]، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ[٥]، يَمْشُونَ الْخَفَاءَ، ويَدِبُّونَ الضَّرَاءَ[٦]، وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ[٧]، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، ومُؤَكِّدُو الْبَلاءِ، ومُقْنِطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، ولِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، ويَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ، إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا[٨]، وإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا، قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، ولِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً،

---

(١) **الزَّالُّونَ المُزِلُّونَ**: من وقعوا في الزلل – وهو الخطأ – وأوقعوا غيرهم فيه.

(٢) **يَفْتَنُّونَ افْتِنَانًا**: يفتنون الناس عن دينهم، أو يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهباً واحداً.

(٣) **يَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ**: يحتالون في إفسادكم بكل حيلة.

(٤) **يَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ**: يترصدونكم في كل طريق.

(٥) **دَوِيَّةٌ**: فاسدة، مريضة، مبتلاة بداء الكفر والخداع. **صِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ**: صفحاتهم بيضاء، يعني في الظاهر.

(٦) **يَدِبُّونَ الضَّرَاءَ**: يسعون دائبين في نشر الفتنة بين الناس وإلحاق الضرر بهم.

(٧) **الْعَيَاءُ**: الذي يصعب علاجه.

(٨) **أَلْحَفُوا**: ألحّوا، بالغوا في السؤال.

ولِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً، ولِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، ولِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ، لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، ويُنْفِقُوا بِهِ أَعْلاقَهُمْ، يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، ويَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ[1]، قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ، فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ، وحُمَةُ النِّيرَانِ[2]﴿أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ، أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾». [خ١٩٤]

حق الله تعالىٰ علىٰ عباده:

** «إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلالُ الله سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ؛ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ، وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ الله عَلَيْهِ، ولَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ الله عَلَىٰ أَحَدٍ إِلا ازْدَادَ حَقُّ الله عَلَيْهِ عِظَماً. وإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاتِ الْوُلاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، ويُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ الْكِبْرِ». [خ٢١٦]

العدل الإلهي:

ومن كلام له عليه السلام لسائل سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ فأجابه عليه السلام بكلام طويل، وكان مما قال: «وَيْحَكَ؛ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لازِماً، وقَدَراً حَاتِماً!! لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ والْعِقَابُ، وسَقَطَ الْوَعْدُ والْوَعِيدُ، إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، ونَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وكَلَّفَ يَسِيراً،

(١) المعنىٰ: يقولون فيخلطون كلام الحق بالباطل، ويتكلمون بالكلام ويقصدون خلاف ظاهره.
(٢) **لُمَةُ الشَّيْطَانِ**: جماعة الشيطان وأعوانه. **حُمَةُ النِّيرَانِ**: آلة النار اللاسعة.

ولَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وأَعْطَىٰ عَلَىٰ الْقَلِيلِ كَثِيراً، ولَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، ولَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، ولَمْ يُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ لَعِباً، ولَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، ولا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً «ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ»

حقيقة الخير:

** «لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ ووَلَدُكَ، ولَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللهَ، ولا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَيَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، ورَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ».

ضعف خلق الإنسان وتقلب أحواله:

** «لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ؛ وذَلِكَ الْقَلْبُ، وذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ، وأَضْدَاداً مِنْ خِلافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ، وإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَىٰ نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ، وإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الْغِنَىٰ، وإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ، وإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلاءُ، وإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ»

تعجب مرير:

** «عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ويَفُوتُهُ الْغِنَىٰ الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ ويُحَاسَبُ فِي الآخِرَةِ حِسَابَ الأَغْنِيَاءِ، وعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالأَمْسِ نُطْفَةً ويَكُونُ غَداً جِيفَةً، وعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي الله وهُوَيَرَىٰ خَلْقَ الله، وعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وهُوَيَرَىٰ الْمَوْتَىٰ، وعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ وهُوَيَرَىٰ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ، وعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ»

فيما يصلح به حال المجتمع:

من كلام له إلىٰ جابر بن عبد الله الأنصاري:

«يَا جَابِرُ؛ قِوَامُ الدِّينِ والدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وجَاهِلٍ لا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وجَوَادٍ لا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ، وفَقِيرٍ لا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ، فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ، يَا جَابِرُ؛ مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ الله عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ لله فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ والْبَقَاءِ، ومَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ والْفَنَاءِ»

ومن كلام له عليه السلام وقد دخل علىٰ العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده:

فلما رأىٰ سعة داره قال: «مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا؟ وأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ، وبَلَىٰ؛ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ،

وتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا[١]، فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ». فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين؛ أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلىٰ عن الدنيا. قال: عليَّ به. فلما جاء قال: «يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ؛ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ[٢]! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَرَىٰ اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ». قال: يا أمير المؤمنين أنت هذا في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك[٣]؟ قال: «وَيْحَكَ! إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ[٤] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ». [خ٢٠٩]

وجوب قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

** «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ إِنَّهُ مَنْ رَأَىٰ عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ، ومُنْكَراً يُدْعَىٰ إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ؛ فَقَدْ سَلِمَ وبَرِئَ، ومَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وهُوَأَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، ومَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَىٰ؛ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَىٰ، وقَامَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، ونَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ»

** «فَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ ولِسَانِهِ وقَلْبِهِ؛ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ،

---

(١) **تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ**: تكرمه. **تُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا**: تُظهر الحقوق حيث يجب أن تظهر.

(٢) **عُدَيَّ**: تصغير عدو. **اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ**: جعلك الشيطان تهيم علىٰ وجهك.

(٣) **جشوبة مأكلك**: خشونته.

(٤) **يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ**: يجعلوا حالهم مثل حال الضعفاء وأهل المسكنة في لباسهم وأكلهم. **يَتَبَيَّغْ**: يهيج به الألم فيهلكه.

ومِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وقَلْبِهِ، والتَّارِكُ بِيَدِهِ؛ فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، ومُضَيِّعٌ خَصْلَةً، ومِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ، والتَّارِكُ بِيَدِهِ ولِسَانِهِ؛ فَذَلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلاثِ، وتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، ومِنْهُمْ تَارِكٌ لإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وقَلْبِهِ ويَدِهِ؛ فَذَلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ، ومَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا والْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إِلا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وإِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ولا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ»

خير خصال النساء:

«خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ، والْجُبْنُ، والْبُخْلُ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا ومَالَ بَعْلِهَا، وإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا»

صفة المؤمن:

** «الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، ويَشْنَأُ السُّمْعَةَ، طَوِيلٌ غَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ، صَبُورٌ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ، نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ، وهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ»

النهي عن سب الأعداء من أهل الإسلام والدعوة للمصالحة وحقن الدماء:

من كلام له عليه السلام وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين:

«إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، ولَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ؛ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا ودِمَاءَهُمْ، وأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وبَيْنِهِمْ، واهْدِهِمْ مِنْ ضَلالَتِهِمْ؛ حَتَّىٰ يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، ويَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ والْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ[1]». [خ٢٠٦]

من وصاياه الجامعة :

** «أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الإِبِلِ لَكَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلاً: لا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلا رَبَّهُ، ولا يَخَافَنَّ إِلا ذَنْبَهُ، ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لا أَعْلَمُ، ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، ولا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لا رَأْسَ مَعَهُ، ولا فِي إِيمَانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ».

اعرف الحق تعرف أهله:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ وُفِّقَ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ فَإِنَّ جَارَ اللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ، وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلاَمَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ، فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ

(١) **يَرْعَوِيَ**: يرتدع ويرجع. **لَهِجَ بِهِ**: أولع به.

الْأَجْرَبِ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ[1]. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّىٰ تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ. فَالْتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمْ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ». [خ١٤٧]

رد الإمام عليه السلام علىٰ رجل وقد سمعه يذم الدنيا:

«أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا؛ الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا، أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَىٰ اسْتَهْوَتْكَ؟ أَمْ مَتَىٰ غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَىٰ؟ أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَىٰ؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ؟ وكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ؟ تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الأَطِبَّاءَ، غَدَاةَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، ولا يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ، لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ، ولَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطَلِبَتِكَ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ، وقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، ودَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، ودَارُ غِنًىٰ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، ودَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ الله، ومُصَلَّىٰ مَلاَئِكَةِ الله، ومَهْبِطُ وَحْيِ الله، ومَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ الله، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، ورَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا؟ وقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا، ونَادَتْ بِفِرَاقِهَا، ونَعَتْ

(١) **الْبَارِي**: الصحيح المعافىٰ. **ذِي السَّقَمِ**: المريض المبتلىٰ.

نَفْسَهَا وأَهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلائِهَا الْبَلاءَ، وشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ، رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ، تَرْغِيباً وتَرْهِيباً، وتَخْوِيفاً وتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا، وحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، ووَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا»

موعظة:

«لا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، ويُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ[1]، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، ويَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، ويَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْهَىٰ ولا يَنْتَهِي، ويَأْمُرُ بِمَا لا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، ويُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وهُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، ويُقِيمُ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وإِنْ صَحَّ أَمِنَ لاهِياً، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، ويَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ، إِنْ أَصَابَهُ بَلاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَىٰ مَا يَظُنُّ، ولا يَغْلِبُهَا عَلَىٰ مَا يَسْتَيْقِنُ، يَخَافُ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِأَدْنَىٰ مِنْ ذَنْبِهِ، ويَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنِ اسْتَغْنَىٰ بَطِرَ وفُتِنَ، وإِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ ووَهَنَ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، ويُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ، وسَوَّفَ التَّوْبَةَ، وإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ، يَصِفُ الْعِبْرَةَ ولا يَعْتَبِرُ، ويُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ولا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، ومِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَىٰ، ويُسَامِحُ فِيمَا

(١) **طُولِ الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

يَبْقَىٰ، يَرَىٰ الْغُنْمَ مَغْرَماً والْغُرْمَ مَغْنَماً، يَخْشَىٰ الْمَوْتَ، ولا يُبَادِرُ الْفَوْتَ، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، ويَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَىٰ النَّاسِ طَاعِنٌ، ولِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّهْوُ مَعَ الأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَىٰ غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ، ويُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ ويَعْصِي، ويَسْتَوْفِي ولا يُوفِي، ويَخْشَىٰ الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، ولا يَخْشَىٰ رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ»

موعظة جامعة:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَىٰ الله الَّتِي هِيَ الزَّادُ، وبِهَا الْمَعَاذُ، زَادٌ مُبْلِغٌ، ومَعَاذٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، ووَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وفَازَ وَاعِيهَا. عِبَادَ الله؛ إِنَّ تَقْوَىٰ الله حَمَتْ أَوْلِيَاءَ الله مَحَارِمَهُ، وأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّىٰ أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ[١]، وأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ[٢]، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ[٣]، والرِّيَّ بِالظَّمَإِ، واسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وكَذَّبُوا الأَمَلَ[٤] فَلاحَظُوا الأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ، وعَنَاءٍ، وغِيَرٍ، وعِبَرٍ. فَمِنَ الْفَنَاءِ: أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ[٥] لا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، ولا تُؤْسَىٰ جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، والصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ،

---

(١)**أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ**: أشغلتهم بالعبادة وقيام الليل.

(٢)**أَظْمَأَتْ**: أصابتهم بالظمأ وهو العطش الشديد. **هَوَاجِرَهُمْ**: الهواجر: جمع هاجرة، وهي شدة الحر بالنهار، والمراد كثرة صيامهم في أيام الصيف وشدة الحر.

(٣)**النَّصَبِ**: التعب.

(٤)**الأَمَلَ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

(٥)**مُوتِرٌ قَوْسَهُ**: شد الوتر علىٰ القوس للرمي.

والنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ[١]، آكِلٌ لا يَشْبَعُ، وشَارِبٌ لا يَنْقَعُ. ومِنَ الْعَنَاءِ: أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لا يَأْكُلُ، ويَبْنِي مَا لا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ تَعَالَى لا مَالاً حَمَلَ، ولا بِنَاءً نَقَلَ. ومِنْ غِيَرِهَا: أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً[٢]، والْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذَلِكَ إِلا نَعِيماً زَلَّ، وبُؤْساً نَزَلَ. ومِنْ عِبَرِهَا: أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلا أَمَلٌ يُدْرَكُ، ولا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وأَظْمَأَ رِيَّهَا، وأَضْحَى فَيْئَهَا[٣]، لا جَاءٍ يُرَدُّ، ولا مَاضٍ يَرْتَدُّ. فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لانْقِطَاعِهِ عَنْهُ، نَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا: فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، ومَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، ومَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ، قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ واللهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ ودَخِلَ الْيَقِينُ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وكَأَنَّ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ.

---

(١) **الْعَطَبِ**: الهلاك.

(٢) **مَغْبُوط**: محسود.

(٣) **فَيْئَهَا**: الفيء: زوال الظل.

فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لاَ يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي، فـَ (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)». [خ١١٤]

موعظة أخرىٰ جامعة:

«وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، ولَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[١]، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارُهَا هَانَتْ عَلَىٰ رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلالَهَا بِحَرَامِهَا، وخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وحُلْوَهَا بِمُرِّهَا، لَمْ يُصْفِهَا اللهُ تَعَالَىٰ لأَوْلِيَائِهِ، ولَمْ يَضِنَّ[٢] بِهَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وشَرُّهَا عَتِيدٌ، وجَمْعُهَا يَنْفَدُ، ومُلْكُهَا يُسْلَبُ، وعَامِرُهَا يَخْرَبُ، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وعُمُرٍ يَفْنَىٰ فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، ومُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ، اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، واسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَىٰ بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وإِنْ ضَحِكُوا، ويَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وإِنْ فَرِحُوا، ويَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا. قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، والْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ. وإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَىٰ دِينِ اللهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلا خُبْثُ السَّرَائِرِ وسُوءُ الضَّمَائِرِ فَلا تَوَازَرُونَ ولا تَنَاصَحُونَ ولا تَبَاذَلُونَ ولا تَوَادُّونَ. مَا

---

(١) **قُلْعَةٍ**: مكان إقلاع أي ليست بوطن. **نُجْعَةٍ**: انتقال.

(٢) **يَضِنَّ**: يبخل.

بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، ولا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، ويُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ[1] مِنْهَا عَنْكُمْ، كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ. ومَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إلا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ. قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ رَفْضِ الآجِلِ وحُبِّ الْعَاجِلِ وصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَىٰ لِسَانِهِ صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وأَحْرَزَ رِضَىٰ سَيِّدِهِ». [خ١١٣]

الاستعاذة من الفتنة:

** «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إلا وهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ فِتْنَةٍ، ولَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ومَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالأَمْوَالِ والأَوْلادِ؛ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ، والرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ولَكِنْ لِتَظْهَرَ الأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ والْعِقَابُ، لأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ، ويَكْرَهُ الإِنَاثَ، وبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ ويَكْرَهُ انْثِلامَ الْحَالِ».

فضل القرابة:

** «إِنَّهُ لا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ - وإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ- عَنْ عِتْرَتِهِ، ودِفَاعِهِمْ عَنْهُ

(١) زُوِيَ: نُحِّي.

بِأَيْدِيهِمْ وأَلْسِنَتِهِمْ، وهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ، وأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ[١]، وأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ، ولِسَانُ الصِّدْقِ[٢] يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ...أَلا لا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ، يَرَىٰ بِهَا الْخَصَاصَةَ[٣]، أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، ولا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، ومَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ[٤] يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ المَوَدَّةَ». [خ٢٣]

فيما يجب علىٰ الخلق نحو الله تعالىٰ:

** «لَيْسَ أَحَدٌ - وإِنِ اشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَا اللهِ حِرْصُهُ، وطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ - بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، ولَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ: النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، والتَّعَاوُنُ عَلَىٰ إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ»

وجوب التعاون علىٰ الخير:

** «لَيْسَ امْرُؤٌ - وإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَىٰ مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ، ولا امْرُؤٌ - وإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ،

---

(١) **أَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ**: أقدرهم علىٰ جمع ما تفرق من أمره.

(٢) **لِسَانُ الصِّدْقِ**: الذكر الجميل والثناء الحسن من الناس.

(٣) **الْخَصَاصَةَ**: الفقر والحاجة.

(٤) **تَلِنْ حَاشِيَتُهُ**: يظهر منه التواضع والكرم وحسن الخلق.

واقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ - بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ».

أنواع الظلم:

** «أَلا وإِنَّ الظُّلْمَ ثَلاثَةٌ: فَظُلْمٌ لا يُغْفَرُ، وظُلْمٌ لا يُتْرَكُ، وظُلْمٌ مَغْفُورٌ لا يُطْلَبُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِالله، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ[1]، وأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً؛ الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَىٰ[2]، ولا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، ولَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ». [خ١٧٦]

حقيقة الهجرة:

** «وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ حَدِّهَا الْأَوَّلِ[3]، مَا كَانَ لله فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا[4]، لا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، ولا يَقَعُ اسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَىٰ مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ، ووَعَاهَا قَلْبُهُ». [خ١٨٩]

دعائم الإيمان ودعائم الكفر:

---

(١) **الْهَنَاتِ**: الأشياء القبيحة.

(٢) **الْمُدَىٰ**: جمع مُدية: وهي السكين.

(٣) المعنىٰ: أن حكمها باقٍ علىٰ الأصل وهو وجوب الهجرة من دار الكفر.

(٤) المعنىٰ: لا حاجة لله في شيء من أعمال خلقه ما كان سرًّا منها أو ظاهراً.

سُئل عليه السلام عن الإيمان فقال:

«الإيمَانُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَىٰ الصَّبْرِ، والْيَقِينِ، والْعَدْلِ، والْجِهَادِ.

والصَّبْرُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَىٰ الشَّوْقِ، والشَّفَقِ، والزُّهْدِ، والتَّرَقُّبِ. فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ سَلا عَنِ الشَّهَوَاتِ، ومَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، ومَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ، ومَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ.

والْيَقِينُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَىٰ تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ، وتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ، ومَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، وسُنَّةِ الأَوَّلِينَ، فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، ومَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، ومَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الأَوَّلِينَ.

والْعَدْلُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَىٰ غَائِصِ الْفَهْمِ، وغَوْرِ الْعِلْمِ، وزُهْرَةِ الْحُكْمِ، ورَسَاخَةِ الْحِلْمِ. فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ، ومَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ، ومَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً.

والْجِهَادُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَىٰ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، والصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ. فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، ومَنْ نَهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْكَافِرِينَ، ومَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَىٰ مَا عَلَيْهِ، ومَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ وغَضِبَ للهِ غَضِبَ اللهُ لَهُ وأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

والْكُفْرُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَىٰ التَّعَمُّقِ، وَالتَّنَازُعِ، والزَّيْغِ، والشِّقَاقِ. فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَىٰ الْحَقِّ، ومَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ، ومَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ، وحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ، وسَكِرَ سُكْرَ الضَّلالَةِ، ومَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ

طُرُقُهُ، وأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ.

والشَّكُّ عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَىٰ التَّمَارِي، والْهَوْلِ، والتَّرَدُّدِ، والاسْتِسْلامِ. فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ، ومَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، ومَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ، ومَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا».

أصناف الناس:

** «النَّاسُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِلا مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وكَلالَةُ حَدِّهِ، ونَضِيضُ وَفْرِهِ[١].

ومِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ[٢]، والْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، والْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ[٣]، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وأَوْبَقَ دِينَهُ[٤]؛ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ[٥]، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ[٦].

ومِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، ولا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ[٧]، وقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأَمَانَةِ،

---

(١) **كَلالَةُ حَدِّهِ**: ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه. **نَضِيضُ وَفْرِهِ**: قلة ماله.

(٢) **الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ**: الشاهر لسيفه، والمراد به هنا من يستقوي بسلاحه وأنصاره.

(٣) **رَجِلِهِ**: رجاله.

(٤) **أَشْرَطَ نَفْسَهُ**: أعدها للفساد. **أَوْبَقَ دِينَهُ**: أهلكه، والمراد خرج من دينه بما فعله من الفساد في الأرض.

(٥) **حُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ**: ما ينال من أموال الناس بغير حق بالسلب والاختلاس.

(٦) **مِقْنَبٍ يَقُودُهُ**: خيل يقودها وليست له، المقنب من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. **مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ**: منبر يعتليه، كناية عما يناله من العلو والسطوة.

(٧) **طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ**: خفض من شأن نفسه، والمعنى: جعل نفسه في مقام أهل الصلاح.

واتَّخَذَ سِتْرَ الله ذَرِيعَةً إِلَىٰ الْمَعْصِيَةِ.

ومِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولَةُ نَفْسِهِ، وانْقِطَاعُ سَبَبِهِ[١]، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَىٰ حَالِهِ، فَتَحَلَّىٰ بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، ولَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ ولا مَغْدًىٰ[٢].

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ[٣]، وخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، ودَاعٍ مُخْلِصٍ، وثَكْلانَ[٤] مُوجَعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ[٥]، قَدْ وَعَظُوا حَتَّىٰ مَلُّوا، وقُهِرُوا حَتَّىٰ ذَلُّوا، وقُتِلُوا حَتَّىٰ قَلُّوا». [ح٣٢]

تصنيف رواة الحديث ممن صحب النبي «ص»:

** «إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وبَاطِلاً، وصِدْقاً وكَذِباً، ونَاسِخاً ومَنْسُوخاً، وعَامّاً وخَاصّاً، ومُحْكَماً ومُتَشَابِهاً، وحِفْظاً ووَهْماً، ولَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه عَلَىٰ عَهْدِهِ؛ حَتَّىٰ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ

(١) **ضُئُولَةُ نَفْسِهِ**: حقارته وضعف شأنه. **انْقِطَاعُ سَبَبِهِ**: عجزه عما يريد فعله.
(٢) **مَرَاحٍ**: رواح، وهو الذهاب ليلا. **مَغْدًىٰ**: غدو، وهو الذهاب في أول اليوم.
(٣) **الْمَرْجِعِ**: اليوم الآخر. **شَرِيدٍ**: مشرد. **نَادٍّ**: هارب من الجماعة مؤاثر للوحدة.
(٤) **مَكْعُومٍ**: المكعوم: الذي يشد علىٰ فيه فلا ينطق، والمراد المضطهد المغلوب علىٰ أمره. **ثَكْلانَ**: حزين لما وقع عليه من المصيبة بفقد قريب أو نحوه.
(٥) **التَّقِيَّةُ**: ما يخفيه من نفسه اتقاء ما يصيبه من ظلم وشر. **ضَامِرَةٌ**: ساكنة. **قَرِحَةٌ**: مجروحة.

مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"، وإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ؛ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلامِ، لا يَتَأَثَّمُ ولا يَتَحَرَّجُ[1]، يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، ولَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه، رَآهُ وسَمِعَ مِنْهُ ولَقِفَ عَنْهُ[2]؛ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، ووَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ أَئِمَّةِ الضَّلالَةِ، والدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ، بِالزُّورِ والْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الأَعْمَالَ، وجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَىٰ رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ والدُّنْيَا إِلا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَهَذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ.

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ[3]، ولَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، ويَرْوِيهِ ويَعْمَلُ بِهِ، ويَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه. فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، ولَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَىٰ عَنْهُ وهُوَ لا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَىٰ عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وهُوَ لا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ولَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، ولَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ

---

(١) **لا يَتَأَثَّمُ ولا يَتَحَرَّجُ**: لا يخشى الوقوع في الإثم ولا في الحرج - وهو الجُرم.

(٢) **لَقِفَ عَنْهُ**: أخذ عنه ما سمعه.

(٣) **وَهِمَ فِيهِ**: غلط وأخطأ فيما رواه عنه.

مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ الله ولا عَلَىٰ رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ، خَوْفاً مِنَ الله، وتَعْظِيماً لِرَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآلِه، ولَمْ يَهِمْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَىٰ مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ ولَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وعَرَفَ الْخَاصَّ والْعَامَّ، والْمُحْكَمَ والْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ.

وقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآلِه الْكَلامُ لَهُ وَجْهَانِ، فَكَلامٌ خَاصٌّ وكَلامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لا يَعْرِفُ مَا عَنَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهِ، ولا مَا عَنَىٰ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآلِه، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، ويُوَجِّهُهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ومَا قُصِدَ بِهِ ومَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، ولَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وآله مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ ويَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ والطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ عليه السلام، حَتَّىٰ يَسْمَعُوا، وكَانَ لا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وحَفِظْتُهُ، فَهَذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلافِهِمْ وعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ». [خ٢١٠]

فيما جعله الله بين العباد من الحقوق:

** «أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلايَةِ أَمْرِكُمْ، ولَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لا يَجْرِي لأَحَدٍ إِلا جَرَىٰ عَلَيْهِ، ولا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلا جَرَىٰ لَهُ، ولَوْ كَانَ

لأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ ولا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لله سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، ولِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، ولَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ، تَفَضُّلاً مِنْهُ وتَوَسُّعاً بِمَا هُوَمِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ، ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، ويُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، ولا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلا بِبَعْضٍ. وأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ، وحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَىٰ الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلا بِصَلاحِ الْوُلاةِ، ولا تَصْلُحُ الْوُلاةُ إِلا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَىٰ الْوَالِي حَقَّهُ وأَدَّىٰ الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وجَرَتْ عَلَىٰ أَذْلالِهَا[1] السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، ويَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ، وإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ؛ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ[2]، فَعُمِلَ بِالْهَوَىٰ، وعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، ولا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ، فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وتَعْظُمُ تَبِعَاتُ الله سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ. فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وإِنِ اشْتَدَّ

---

(١) **أَذْلالِهَا**: طرقها ووجوهها.

(٢) **أَجْحَفَ**: ظلم. **الْجَوْرِ**: الظلم. **الإِدْغَالُ**: الفساد. **مَحَاجُّ السُّنَنِ**: جمع محجَّة، وهي جادة الطريق.

عَلَىٰ رِضَا الله حِرْصُهُ، وطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ؛ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، ولَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ الله عَلَىٰ عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، والتَّعَاوُنُ عَلَىٰ إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، ولَيْسَ امْرُؤٌ وإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ؛ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَىٰ مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ، ولا امْرُؤٌ وإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، واقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ[1]؛ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ. إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلالُ الله سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ؛ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ، وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ الله عَلَيْهِ، ولَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ الله عَلَىٰ أَحَدٍ إِلا ازْدَادَ حَقُّ الله عَلَيْهِ عِظَماً. وإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاتِ الْوُلاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، ويُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ الْكِبْرِ». [خ٢١٦]

فضل العلم:

ومن كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي وقد أخرجه إلى الجبان فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال:

«يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ؛ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ، النَّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ، وهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، ولَمْ يَلْجَئُوا إِلَىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ. يَا كُمَيْلُ؛ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، والْمَالُ

(١) **اقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ**: صغّرته واحتقرته.

تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، والْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَىٰ الإنْفَاقِ، وصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِـهِ. يَـا كُمَيْـلَ بْنَ زِيَادٍ؛ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الإنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وجَمِيـلَ الأحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، والْعِلْمُ حَاكِمٌ، والْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ. يَا كُمَيْلُ؛ هَلَـكَ خُـزَّانُ الأمْوَالِ وهُمْ أَحْيَاءٌ، والْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ».

من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمذاني :

«وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرآنِ، وَاسْتَنْصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَىٰ مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِي مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرَهَا لاَحِقٌ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ. وَعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ عَلَىٰ حَقّ. وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوتِ، وَلاَ تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلاَّ بِشَرْط وَثِيق. وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَىٰ مِنْهُ فِي الْعَلاَنِيَةِ، واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ اعتَذَرَ مِنْهُ. وَلاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ، وَلاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَىٰ بِذلِكَ كَذِباً، وَلاَ تَرُدَّ عَلَىٰ النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ، فَكَفَىٰ بِذلِكَ جَهْلاً. وَاكْظِمِ الْغَيْظَ، وَتَجاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ. وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَة أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ، وَلاَ تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ

مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ. وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ، وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مَعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ. وَاسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَىٰ طَاعَةِ الله، وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَىٰ مَا يَعْنِيكَ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ. وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ. وَلاَ تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَة حَتّىٰ تَشْهَدَ الصَّلاَةَ إِلاَّ فَاصِلاً فِي سَبِيلِ الله، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ. وَأَطِعِ اللهَ فِي جُمَلِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ الله فَاضِلَةٌ عَلَىٰ مَا سِوَاهَا. وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَارْفُقْ بِهَا وَلاَ تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا، إِلاَّ مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا. وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ. وَوَقِّرِ اللهَ، وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَالسَّلاَمُ».

***

سلسلة روائع نهج البلاغة (٥)

الحِكَم

جمعها

عبد الرحمن محمد عبدالملك المروني

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م



أقوال حكيمة

- رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لا يَدْفَعُهُ إِلا الشَّرُّ.

- السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وتَذَمُّمٌ.

- الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوبِ، وهُوَزِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.

- مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاسِ.

- نِعْمَ الطِّيبُ الْمِسْكُ، خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ، عَطِرٌ رِيحُهُ.

- مَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، ولا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، ولا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ. [خ٨٨]

- أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الإِخْوَانِ، وأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ.

- إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ العِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثُلاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَىٰ عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ[1]. [خ١٦]

---

(١) **المَثُلاتِ**: العقوبات الواقعة على الأمم السابقة. **تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ**: دخولها والوقوع فيها

- لا حَاجَةَ للهِ فِيمَنْ لَيْسَ للهِ فِي مَالِهِ ونَفْسِهِ نَصِيبٌ.

- رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ، ورُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَىٰ.

- مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ.

- مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا، ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ؛ فَذَلِكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ.

- مَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ، وحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ، وسَكِرَ سُكْرَ الضَّلالَةِ.

- مَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ.

- كُنْ سَمْحاً، ولا تَكُنْ مُبَذِّراً، وكُنْ مُقَدِّراً، ولا تَكُنْ مُقَتِّراً.

- إِنَّهُ لا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ.

- الْبُخْلُ والْجُبْنُ والْحِرْصُ غَرَائِزُ شَتَّىٰ، يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ.

- احْتِجَابُ الْوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ.

- أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وأَهْلِهِ وَمَالِهِ.

- مُعَلِّمُ نَفْسِهِ ومُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ ومُؤَدِّبِهِمْ.

- الْوَفَاءُ لأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ والْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللهِ

- تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ

- إِنَّ لِلْخَيْرِ والشَّرِّ أَهْلاً فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ

- لا يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلا مَنْ لا يُصَانِعُ ولا يُضَارِعُ ولا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ

- مَنْ أَصْبَحَ عَلَىٰ الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطاً.

- مَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ.

- مَنْ أَتَىٰ غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ.

- مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَمِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُواً.

- مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ؛ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ.

- إِنَّ الْبَغْيَ والزُّورَ يُوتِغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ ودُنْيَاهُ، ويُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ.

- أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ إِلا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.... الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ والْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ!. [خ١٤١]

- خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ؛ الزَّهْوُ، والْجُبْنُ، والْبُخْلُ.

- أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَىٰ اللِّسَانِ، وأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ والأَرْكَانِ.

- عَرَفْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وحَلِّ الْعُقُودِ، ونَقْضِ الْهِمَمِ.

- إِنَّ الإيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ، كُلَّمَا ازْدَادَ الإيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ«[١]».

- صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأسَدِ؛ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وهُوَأَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

- إِنَّ كَلامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً، وإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً.

- مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ: طُوبَىٰ لَهُ؛ إِلا وقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ.

- إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ اللهِ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللهَ، ومَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَىٰ اللهَ.

- إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الأكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ.

- الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ، ومَسْمُوعٌ، ولا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ.

- الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ، والتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْقَاقِ عِيٌّ[٢] أَوْ حَسَدٌ.

- مَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ، وتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ.

- مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وزَادَ فِي الآخِرَةِ؛ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وزَادَ فِي الدُّنْيَا.

- قَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ؟

- لا غِنَىٰ كَالْعَقْلِ، ولا فَقْرَ كَالْجَهْلِ، ولا مِيرَاثَ كَالأدَبِ، ولا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ.

---

(١) قال الرضي: اللمظة مثل النكتة أو نحوها من البياض ومنه قيل فرس ألمظ إذا كان بجحفلته شيء من البياض.

(٢) الملق : التملق ، والعي : العجز عن الكلام .

- مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَىٰ اللهِ أَنَّهُ لا يُعْصَىٰ إِلاّ فِيهَا، ولا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِتَرْكِهَا.

- رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، ومَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ.

- مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلانِيَتَهُ، ومَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ.

- مَا أَخَذَ اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّىٰ أَخَذَ عَلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا.

- [الغوغاء] هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا.

- [الغوغاء] هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا.

- الْعَيْنُ حَقٌّ، والرُّقَىٰ حَقٌّ، والسِّحْرُ حَقٌّ، والْفَأْلُ حَقٌّ.

- الطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ، والْعَدْوَىٰ لَيْسَتْ بِحَقٍّ.

- اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَىٰ إِلَىٰ النَّصْرِ.

- الْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ.

- الطِّيبُ نُشْرَةٌ، والْعَسَلُ نُشْرَةٌ، والرُّكُوبُ نُشْرَةٌ، والنَّظَرُ إِلَىٰ الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ.

- مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَىٰ نَفْسِهِ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وزَاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لا زَاجِرٌ ولا وَاعِظٌ[1]. [خ٩٠]

---

(١) المعنىٰ: من لم يساعده الله علىٰ نفسه حتىٰ يكون لها من ذاتها ما ينبهها لم ينفعه تنبيه غيرها .

- إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ.

- قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَىٰ قَدْرِ هِمَّتِهِ، وصِدْقُهُ عَلَىٰ قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وشَجَاعَتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وعِفَّتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ غَيْرَتِهِ.

- مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاسِ، ومَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ.

- الإِسْلامُ هُوَالتَّسْلِيمُ، والتَّسْلِيمُ هُوَالْيَقِينُ، والْيَقِينُ هُوَالتَّصْدِيقُ، والتَّصْدِيقُ هُوَالإِقْرَارُ، والإِقْرَارُ هُوَالأَدَاءُ، والأَدَاءُ هُوَالْعَمَلُ.

- أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً، ولَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً؛ قُلِبَ، فَجُعِلَ أَعْلاهُ أَسْفَلَهُ وأَسْفَلُهُ أَعْلاهُ

- لا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَيُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

- مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ، مَكْتُومُ الأَجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ.

- مَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلاَّ تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا الْبِدَعَ، والْزَمُوا الْمَهْيَعَ[١]، إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحْدِثَاتِهَا شِرَارُهَا. [خ١٤٥]

- إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، ومُبْتَدِعٌ بِدْعَةً؛ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، ولا ضِيَاءُ حُجَّةٍ.

- وإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ؛ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ، الَّذِي لا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، والْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ[٢]. [خ١١٠]

- فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، ويَأْوُونَ إِلَىٰ كَنَفِهَا؛ بِنِعْمَةٍ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ. **[خ١٩٢]**

- فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، والْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي. **[خ١٩٢]**

- الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ، ويُجَدِّدُ الآمَالَ، ويُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ، ويُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ، ومَنْ فَاتَهُ تَعِبَ.

---

(١) **الْمَهْيَعَ**: الطريق الواضح.
(٢) **أَلْوَمُ**: أشد لوماً.

- الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، ولَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ، ولَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ.

- مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، ومَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، ومَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، ومَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ.

- لا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لاسْتِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَأَضَرُّ مِنْهُ.

- يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَىٰ قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، ومَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ عَمَلُهُ.

- مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وزَادَ فِي الدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ ومَزِيدٍ خَاسِرٍ.

- مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، ومَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ.

- الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ» وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ الْمَاضِي، ولَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي؛ فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.

- إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلا عِقَابُهُ، ولَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلا ثَوَابُهُ.

- لا يَنْجُو فِي زَمَنِ الفِتْنَةِ إلا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ، إنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وإنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ.

- أَلا وإنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وغَنِمَ، ومَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ ونَدِمَ. [خ١٢٠]

- أَلا وإنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ[1] يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لا يَحْمَدُهُ. [خ١٢٠]

- إنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وإِنْ نَقَصَهُ وكَرَثَهُ[2]، مِنَ الْبَاطِلِ وإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وزَادَهُ. [خ١٢٥]

- إنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وإِنَّهُمَا لا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، ولا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ. [خ١٥٦]

- أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وإِسْرَافٌ، وهُوَيَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا، ويَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، ويُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، ويُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ، ولَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، ولا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ؛ إلا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَىٰ مَعُونَتِهِمْ؛ فَشَرُّ خَلِيلٍ، وأَلأَمُ خَدِينٍ[3]. [خ١٢٦]

---

(١) **اللِّسَانَ الصَّالِحَ**: الذكر الحسن على ألسنة الناس.

(٢) **كَرَثَهُ**: غمَّه غمّاً شديداً.

(٣) **خَدِينٍ**: صديق.

- لَعَنَ اللهُ الآمِرِينَ بِالْمُعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، والنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

- لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ والأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَىٰ عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً.

- لَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِيمَا أَتَىٰ إِلا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وثَنَاءُ الأَشْرَارِ، ومَقَالَةُ الْجُهَّالَ، مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ، مَا أَجْوَدَ يَدَهُ، وهُوَعَنْ ذَاتِ اللهِ بِخَيْلٌ!. [خ١٤٢]

- إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وسَلامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. [خ١٤٧]

- حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وخُفِّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ، ودِينٌ قَوِيمٌ، وإِمَامٌ عَلِيمٌ.

- وإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وعُرَفَاؤُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، ولا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ عَرَفَهُمْ وعَرَفُوهُ، ولا يَدْخُلُ النَّارَ إِلا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وأَنْكَرُوهُ. [خ١٥٢]

- وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَىٰ مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، ومَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ، وقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه: "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ ويُبْغِضُ عَمَلَهُ، ويُحِبُّ الْعَمَلَ ويُبْغِضُ بَدَنَهُ". [خ١٥٤]

- وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وكُلُّ نَبَاتٍ لا غِنَىٰ بِهِ عَنِ الْمَاءِ، والْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ، وحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، ومَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ، وأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ. [خ١٥٤]

- فَبِالإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحَاتِ، وبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الإِيمَانِ، وبِالإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ. وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ، وَتُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمارِهَا[1] إِلَىٰ الْغَايَةِ الْقُصْوَىٰ. [خ١٥٦]

- إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ والأَدَوَاتِ فَهُوَعَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، ومِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

- إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ وُفِّقَ، ومَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، فَإِنَّ جَارَ اللهِ آمِنٌ، وعَدُوَّهُ خَائِفٌ . [خ١٤٧]

- مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِالْبَلاءِ والتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ، حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، ويُنْكِرَ مَا عَرَفَ.

- مِنَ الإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ، ومِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ[2] بَيْنَ

(١) **لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ**: لا ما نع لهم. **مُرْقِلِينَ فِي مِضْمارِهَا**: مسارعين في السبق إليها.
(٢) **عَوَارِيَّ**: جمع عارية، والمعنىٰ أنه يكون زعماً بغير فهم.

الْقُلُوبِ والصُّدُورِ إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ. [خ١٨٩]

- إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، ولِلْحَقِّ دَعَائِمَ، ولِلطَّاعَةِ عِصَماً. وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللهِ يَقُولُ عَلَىٰ الْأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ. [خ٢١٤]

- إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ، فَلا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، ولا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ. [خ٣٣٣]

- مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وإِنْ كَانَ وَاقِفاً، ويَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

- إِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَىٰ الْخَاصَّةِ، وإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَىٰ الْعَامَّةِ.

- لَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ؛ إِلا بِالاهْتِمَامِ، والاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَىٰ لُزُومِ الْحَقِّ، والصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

- مَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلادَ، وأَهْلَكَ الْعِبَادَ، ولَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلا قَلِيلاً.

- إِنَّمَا يُؤْتَىٰ خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاةِ عَلَىٰ الْجَمْعِ، وسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

- الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَىٰ أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ، فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، ووَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ.

- إِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ -أي الرعية- إِلا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ، ولا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلا بِحِيطَتِهِمْ عَلَىٰ وُلاةِ الأمُورِ، وقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.

- لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً - مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ - مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ.

- لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ لِنِقْمَةٍ، ولا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، ولا أَحْرَىٰ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وانْقِطَاعِ مُدَّةٍ؛ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا.

- إِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، ويَحْزَنُ عَلَىٰ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

- إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ.

- الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وعَلَىٰ كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وإِثْمُ الرِّضَىٰ بِهِ.

- إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا والسُّخْطُ، وإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَعَمَّهُمُ اللهُ

بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾، فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِيهِ!. [خ٢٠١]

- مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، ولْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ. ومُعَلِّمُ نَفْسِهِ ومُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ ومُؤَدِّبِهِمْ.

- لا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلا بِثَلاثٍ: بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ، وبِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ، وبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ.

- مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، ومَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، ومَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، ومَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ.

- إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلاحُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ حَوْبَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ، وإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ.

---

(١) **خَارَتْ**: صوّتت كخوار الثور. **الْخَسْفَةِ**: تغييب ما على ظاهر الأرض من بناء أو نحوه في باطنها. **السِّكَّةِ**: حديدة تُحرث بها الأرض. **الْخَوَّارَةِ**: الرخوة اللينّة.

- عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ، يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، ويَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، ويُحَاسَبُ فِي الآخِرَةِ حِسَابَ الأَغْنِيَاءِ.

- عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالأَمْسِ نُطْفَةً ويَكُونُ غَداً جِيفَةً.

- لا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ، وغَيْبَتِهِ، ووَفَاتِهِ.

- مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ الانْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ.

- إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً، وإِقْبَالاً، وإِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ.

- إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وبَيْنَهُ، وإِنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ[1] حَصِينَةٌ.

- إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الأَحْرَارِ

- إِنَّ للهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا ومَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ

- الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ لأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ

---

(١) **جُنة** : وقاية من المهالك.

- مَا الْمُبْتَلَىٰ الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاءُ بِأَحْوَجَ إِلَىٰ الدُّعَاءِ الَّذِي لا يَأْمَنُ الْبَلاءَ

- لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ ومَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ ويُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ

- الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ والاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ وكَفَىٰ أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ

- لِلْمُؤْمِنِ ثَلاثُ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وسَاعَةٌ يَرُمُّ مَعَاشَهُ وسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ ويَجْمُلُ

- لَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلا فِي ثَلاثٍ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ

- مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ وأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَىٰ الأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَىٰ اللهِ

- إِنَّ للهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ اللهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ

- لا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ الْعَافِيَةِ والْغِنَىٰ بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ وبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ

- مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اللهِ ومَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ

- إِنَّمَا هُوَعِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ وشَكَرَ قِيَامَهُ

- مَا لابْنِ آدَمَ والْفَخْرِ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وآخِرُهُ جِيفَةٌ ولا يَرْزُقُ نَفْسَهُ ولا يَدْفَعُ حَتْفَهُ

- مَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ

- إِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ؛ لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الأَقْرَبُ، ولا يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ(١). [خ١٩]

- مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ، لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلائِكَةِ

- إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، واسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ؛ لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، ويَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ(٢). [خ٢٢]

- إِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلا

---

(١) **الْحَتْفَ**: الهلاك. **يَمْقُتَهُ**: يبغضه .

(٢) **ذَمَّرَ حِزْبَهُ**: حثهم وحرّضهم. **اسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ**: جمع أتباعه بعد تفرقهم.

تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً

إِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً[1] فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ المَرْءَ المُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ، كَانَ كَالْفَالِجِ اليَاسِرِ[2]، الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ، تُوجِبُ لَهُ المَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ المَغْرَمُ. [خ٢٣]

- المَرْءُ المُسْلِمُ البَرِيءُ مِنَ الخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللهِ؛ فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُ، وإِمَّا رِزْقَ اللهِ؛ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ ومَالٍ ومَعَهُ دِينُهُ وحَسَبُهُ. [خ٢٣]

- وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهُ الحَقَّ. فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا اليَقِينُ، ودَلِيلُهُمْ سَمْتُ الهُدَى[3]. وأَمَّا أَعْدَاءُ اللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلاَلُ، ودَلِيلُهُمُ العَمَى. [خ٣٨]

-إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ ويَتَوَلَّى

---

(١) **غَفِيرَةً**: زيادة وكثرة.

(٢) **الْفَالِجِ الْيَاسِرِ**: الظافر الذي يلعب بقداح الميسر. والمعنى: أن حال الناس في قسمة الأرزاق حال من يلعبون الميسر، فمن وسع عليه فيما أوتي فهو كمن ينتظر أن يسعده الحظ بالفوز والظفر.

(٣) **سَمْتُ الْهُدَى**: طريق الهداية.

عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَىٰ غَيْرِ دِينِ اللهِ

- واللهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، يَعْرُقُ لَحْمَهُ، ويَهْشِمُ عَظْمَهُ، ويَفْرِي جِلْدَهُ؛ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ. [خ٣٤]

- إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلاتٍ، ويُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً، ويُخْطِئْنَ بَلَداً. [خ٩٢]

- إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا، وإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَىٰ غَيْرِهَا، وإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا والْفَسَادُ فِيهَا.

- وإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَىٰ دِينِ اللهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلا خُبْثُ السَّرَائِرِ وسُوءُ الضَّمَائِرِ فَلا تَوَازَرُونَ ولا تَنَاصَحُونَ ولا تَبَاذَلُونَ ولا تَوَادُّونَ

- ومَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ

- قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ رَفْضِ الآجِلِ وحُبِّ الْعَاجِلِ وصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَىٰ لِسَانِهِ صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وأَحْرَزَ رِضَىٰ سَيِّدِهِ.

- وسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، ومُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، وخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، والْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وإِيَّاكُمْ والْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ. [خ١٢٧]

- هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، ومُبْغِضٌ قَالٍ.

- يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ، وبَاهِتٌ مُفْتَرٍ.

مواعظ شافية:

- سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا، وطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، ومُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَىٰ.

- لا يَهْلِكُ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ سِنْخُ أَصْلٍ[1]، ولا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ. [خ١٦]

- فَاسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ، وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ، والتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ[2]. [خ١٦]

- لا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلا رَبَّهُ، ولا يَلُمْ لائِمٌ إِلا نَفْسَهُ. [خ١٦]

- إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَرْضَ الدُّنْيَا ثَوَاباً لأَوْلِيَائِهِ ولا عِقَاباً لأَعْدَائِهِ.

- إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا.

- اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ وبَقَاءَ التَّبِعَاتِ.

- مَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ، ورَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، ولَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِينَهُ عَنْهَا؛ فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ والْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وهُوَفِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وأَخْزَىٰ.

---

(١) **سِنْخُ أَصْلٍ**: أصل الشيء، والمعنىٰ: أن من كان من أهل التقوىٰ فإنه لا يضعف أمره، ولا تفسد أحواله.

(٢) **والتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ**: أي اجعلوا التوبة خلفكم لتكون حائَّة لكم علىٰ فعلها والتلبس بها، أو قدموا التوبة أمامكم لتكون خاتمة لأعمالكم وتكملة لها.

- مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، ومَنْ لا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَىٰ يَجُرُّ بِهِ الضَّلالُ إِلَىٰ الرَّدَىٰ[1].

- لَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَىٰ الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً ومِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً.

- اتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ.

- عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ[2]، وبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَىٰ الْعِبَادُ.

- إِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ، وتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ؛ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ.

- إِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ والنَّهَارُ؛ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ.

- إِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ؛ لَمُسْتَحِقٌّ لأَفْضَلِ الْعُدَّةِ.

- لا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ، بَلْ لا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَىٰ جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

- احْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، ويَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ؛ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

- إِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ.

- ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا.

---

(١) **الرَّدَىٰ**: أدلة الهلاك.

(٢) **الأَمْثَالُ**: المتشابهات.

- لا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ.

- احْذَرُوا الذُّنُوبَ المُوَرِّطَةَ، والْعُيُوبَ المُسْخِطَةَ.

- كَفَىٰ بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً ونَوَالاً، وكَفَىٰ بِالنَّارِ عِقَاباً ووَبَالاً.

- كَفَىٰ بِاللهِ مُنْتَقِماً ونَصِيراً، وكَفَىٰ بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وخَصِيماً.

- إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ.

- فِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ ومَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ[1]. [خ٨٨]

-فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

- رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، واعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ.

- ألا وإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ[2]. [خ١٦]

- أَلا وإِنَّ التَّقْوَىٰ مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ[3]. [خ١٦]

---

(١)**عَتْبٍ**: بلاء وشدة، والمراد ما لاقوه في مستقبل زمانهم من الفتن وولاة السوء، وتنكر الوقت. **اسْتَدْبَرْتُمْ**: وقع منكم فيما سلف. **خَطْبٍ**: أمر جلل، ويقصد به الذنوب والمعاصي، أو مخالفتهم له وعصيانهم لأمره. **مُعْتَبَرٌ**: عبرة.

(٢)**خَيْلٌ شُمُسٌ**: خيل جموح ، وهو الذي يمنع ظهره أن يركب، **تَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّار**: أدخلتهم فيها.

(٣)**مَطَايَا ذُلُلٌ**: رواحل مروضة طائعة سهلة الركوب. **أَزِمَّتَهَا**: جمع زمام، وهو ما تقاد به الراحلة.

- التَّقْوَىٰ دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، والْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لا يَمْنَعُ أَهْلَـهُ، ولا يُحْـرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. [خ١٥٧]

- بِالتَّقْوَىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا[١]، وبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَىٰ. [خ١٥٧]

- فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ، وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ». [خ١٦]

- الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ» وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي، ولَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي؛ فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.

- الأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، والسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ، وكُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

- كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، ومَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، ومَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ.

- كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلا الْجُوعُ والظَّمَأُ، وكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلا السَّهَرُ والْعَنَاءُ.

- الْيَمِينُ والشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، والطَّرِيقُ الْوُسْطَىٰ هِيَ الْجَادَّةُ[٢]، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ، وآثَارُ النُّبُوَّةِ، ومِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ. [خ١٦]

---

(١) **حُمَةُ الْخَطَايَا**: الحُمة: سم العقرب وما يلسع من الهوام، والمراد: سطوة الخطايا وضررها.

(٢) **مَضَلَّةٌ**: طريق ضلالة. **الْجَادَّةُ**: طريق النجاة.

- فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ[١]، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. [خ٢١]

- الأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، ويُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الأَمَلَ، فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

- إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلا بَعْدَ تَمْهِيلٍ ورَخَاءٍ، ولَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الأَمَمِ إِلا بَعْدَ أَزْلٍ[٢] وبَلاءٍ. [خ٨٨]

- فَلا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

- وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وهُوَلَهُ بِالْمِرْصَادِ[٣]، عَلَىٰ مَجَازِ طَرِيقِهِ، وبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ[٤]. [خ٩٧]

- كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، ومِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.

- اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وتُبْلَىٰ فِيهِ السَّرَائِرُ. [١٢٠]

- رَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، واسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وبَادَرَ مَنِيَّتَهُ.

---

(١) **تَحْدُوكُمْ**: تسوقكم إلى نهاية أمركم.

(٢) **أَزْلٍ**: شدة.

(٣) **الْمِرْصَادِ**: مكان الرصد من الطريق.

(٤) **مَوْضِعِ الشَّجَا**: مكان ما يعترض في الحلق من عظم وغيره. **مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ**: ممره في الحلق.

- أَيُّهَا النَّاسُ؛ كُلُّ امْرِئٍ لاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، الأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ، والْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. [خ١٤٩]

- إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

- فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، ولْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، ولْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. [خ١٥٤]

- إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، ولا فِيمَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ.

- وكُلُّ رَجَاءٍ إِلا رَجَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلا خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ.

- احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الأَعْمَالُ ويَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ وتَشِيبُ فِيهِ الأَطْفَالُ

- الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، والدُّنْيَا تُطْوَىٰ مِنْ خَلْفِكُمْ.

- وأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وهُوَأَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ.

- فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، واعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

- تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

- بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ، وخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ -وهُوَالْمَوْتُ- فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وإِنَّ

السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ[1] مِنْ خَلْفِكُمْ.

- أَطِيعُوا اللهَ ولا تَعْصُوهُ، وإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

- إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً، بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ والشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، واصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا.

- الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ، أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

- واسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ.

- أَلا وإِنَّهُ لا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلا وإِنَّهُ لا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. [خ١٧٣]

- الْعَمَلَ الْعَمَلَ؛ ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، والاسْتِقَامَةَ الاسْتِقَامَةَ؛ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، والْوَرَعَ الْوَرَعَ. [خ١٧٦]

- شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وعَمَلٍ تَذْهَبُ مَئُونَتُهُ ويَبْقَى أَجْرُهُ.

---

(١) **تَحْدُوكُمْ**: تسوقكم.

- فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالُهُ، ويُنْفَىٰ عَنْكَ وَبَالُهُ.

- لا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، ويُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ. يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، ويَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ.

- [لا تَكُنْ مِمَّنْ] يَصِفُ الْعِبْرَةَ ولا يَعْتَبِرُ، ويُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ولا يَتَّعِظُ، فَهُوَبِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، ومِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ.

- [لا تَكُنْ مِمَّنْ] يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، ويَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَعَلَىٰ النَّاسِ طَاعِنٌ، ولِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ.

- مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وأَسْرَعَ الأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ، وأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ.

- ومَا بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ؛ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ.

- قَطِّعُوا عَلائِقَ الدُّنْيَا، واسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَىٰ.

- إِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

- فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

- عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللهِ وهُوَيَرَىٰ خَلْقَ اللهِ!

- عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وهُوَيَرَىٰ الْمَوْتَىٰ!

- عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ وهُوَيَرَىٰ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ!

- عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ!

- إِنَّ للهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، واجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وابْنُوا لِلْخَرَابِ.

- مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، ومَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ.

- يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ.

- إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ، والْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ؛ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَىٰ!

- الْحَذَرَ الْحَذَرَ! فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ.

- طُوبَىٰ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وقَنِعَ بِالْكَفَافِ، ورَضِيَ عَنِ اللهِ.

- لا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلا رَبَّهُ، ولا يَخَافَنَّ إِلا ذَنْبَهُ.

- كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَىٰ بِبَقَائِهِ، ويَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، ويُؤْتَىٰ مِنْ مَأْمَنِهِ؟

- مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، والسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ

الْجَاهِلُ، ويَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ.

- فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وخُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ مِمَّا لا تَبْقَىٰ لَهُ، وتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ، وشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ، وارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

- مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ، ومَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، ومَنْ أُعْطِيَ الاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، ومَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.

قال الرضي وتصديق ذلك كتاب الله قال الله في الدعاء ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وقال في الاستغفار ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً وقال في الشكر لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وقال في التوبة إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وكانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً

- إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، ونَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، ومَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ.

- لا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ، ولا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ.

- نَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ، وأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ؟ وهَذَا

اللَّيْلُ والنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً؛ إلا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا!

- سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاءِ بِالدُّعَاءِ.

- مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، ومَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، ومَنْ خَافَ أَمِنَ، ومَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، ومَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، ومَنْ فَهِمَ عَلِمَ.

- مَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلاثٍ: هَمٍّ لا يُغِبُّهُ، وحِرْصٍ لا يَتْرُكُهُ، وأَمَلٍ لا يُدْرِكُهُ.

- يَا ابْنَ آدَمَ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، واعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ.

- مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إلا وخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَىٰ إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ، حَتَّىٰ يَطْرُدَهَا عَنْهُ، كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الإِبِلِ.

- يَا ابْنَ آدَمَ؛ لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَىٰ يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

- مَنْ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا؛ جَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ

الْحَظَّيْنِ مَعاً، ومَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللهِ، لا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ.

- رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ، ورُبَّ مُبْتَلًىٰ مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَىٰ، فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَنْفِعُ فِي شُكْرِكَ، وقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ رِزْقِكَ.

- بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ.

- لا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ.

- اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ؛ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَالْحَاكِمُ.

- إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، واللهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

- لا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغُلِكَ بِأَهْلِكَ ووَلَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ ووَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ، وإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللهِ فَمَا هَمُّكَ وشُغُلُكَ بِأَعْدَاءِ اللهِ؟

- أَيُّهَا النَّاسُ؛ لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ؛ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ.

- إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجاً؛ فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، ومَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَاراً؛ فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً.

- يَا أَسْرَىٰ الرَّغْبَةِ؛ أَقْصِرُوا، فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَىٰ الدُّنْيَا لا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلا صَرِيفُ

أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ.

- أَيُّهَا النَّاسُ؛ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، واعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا.

- مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ، فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ.

- حُكِمَ عَلَىٰ مُكْثِرٍ مِنْهَا -أي الدنيا- بِالْفَاقَةِ، وأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ.

- إِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ، ويَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاضْطِرَارِ، ويَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ والإِبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ: أَثْرَىٰ. قِيلَ: أَكْدَىٰ. وإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ، حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ

- إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، والْعِقَابَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ؛ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.

- اتَّقُوا اللهَ؛ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، ولا تُرِكَ سُدًىٰ فَيَلْغُوَ.

- أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، ونَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وذَلِّلْه بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ.

- لا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ؛ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَشَقِيَ بِمَا

جَمَعْتَ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، ولَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ.

- مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلانِيَتَهُ، ومَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، ومَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاسِ.

- إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، ودَخَلَ الأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

- إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وأَخْيَبَهُمْ سَعْياً؛ رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ، ولَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وقَدِمَ عَلَىٰ الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ.

- إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَىٰ ظَاهِرِهَا، واشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ.

- مَا كَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَىٰ عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، ولا لِيَفْتَحَ عَلَىٰ عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الإِجَابَةِ، ولا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ.

- أَلا حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَةَ لأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلا الْجَنَّةَ، فَلا تَبِيعُوهَا إِلا بِهَا.

- فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وعُوا، وأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

- اسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، والْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ.

- لِيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وأَسَفُكَ عَلَىٰ مَا خَلَّفْتَ، وهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، واسْتَنْصِحْهُ، وأَحِلَّ حَلالَهُ، وحَرِّمْ حَرَامَهُ.

- اعْتَبِرْ بِمَا مَضَىٰ مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وآخِرَهَا لاحِقٌ بِأَوَّلِهَا، وكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ.

- عَظِّمِ اسْمَ اللهِ؛ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلا عَلَىٰ حَقٍّ.

- احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، ويُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

- احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، ويُسْتَحَىٰ مِنْهُ فِي الْعَلانِيَةِ.

- احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ.

- لِيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وأَسَفُكَ عَلَىٰ مَا خَلَّفْتَ، وهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

- مَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَىٰ هِمَّتِهِ، كَالآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الآخِرَةِ بِأَدْنَىٰ سُهْمَتِهِ.

- مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ للهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ والْبَقَاءِ، ومَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ والْفَنَاءِ.

أقوال حكيمة ٢٩١

قصار الحكم

- وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ[١].

- كَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟[٢].

- رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ[٣].

- مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

- أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ[٤]، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ.

- مُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا[٥] كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.

- مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ.

- حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ. [خ١٦]

- لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ. [خ١٦]

---

(١) المعنى: صُمَّت أذن لم تسمع ما يجب أن تعيه وهي الموعظة.

(٢) المعنى: كيف يسمع الصوت الخفي من لم يسمع الصرخة العظيمة؟

(٣) **الجنان**: القلب، **والخفقان**: حركة القلب السريعة، والمعنى: ربط الله كل جنان لا يفارقه الخفقان، يقصد أن القلب الحي هو القلب الجدير بسماع الموعظة.

(٤) **نَهَضَ بِجَنَاحٍ**: أي قام بالأمر وهو قادر عليه كما ينهض الطائر بجناحه .

(٥) **إِينَاعِهَا**: نضجها.

- لا جَاءٍ يُرَدُّ، ولا مَاضٍ يَرْتَدُّ.

- شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ والنَّارُ أَمَامَهُ. [خ١٦]

- هَلَكَ مَنِ ادَّعَىٰ وخابَ مَنِ افْتَرَىٰ. [خ١٦]

- مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ. [خ١٦]

- كَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلا يَعْرِفَ قَدْرَهُ.

- مَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلا الْبَشَرُ.

- مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلا ذَلُّوا.

- لا رَأْيَ لِمَنْ لا يُطَاعُ.

- كَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ، ومَزِيدٍ خَاسِرٍ.

- لا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ.

- لا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلا بِالْجِدِّ.

- غُلِبَ واللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ.

- الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ. [خ٤١]

- مَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ. [خ٤١]

- مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ؛ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وتُعْقِبُ النَّدَامَةَ.

- كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟

- إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولا حِسَابَ، وغَداً حِسَابٌ ولا عَمَلَ.

- الْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

- الدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ، ولأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلاءُ.

- لَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَىٰ الْمُرْتَادِينَ.

- لَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ.

- الْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، والْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ[1].

- السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، والشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وغُرُورِهِ.

- يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ.

- شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ.

- آخِرُ الدَّواءِ الكَيُّ.

- مُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَىٰ مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ، ومَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ[1].

---

(١) **الْمَغْبُونُ**: المخدوع. **الْمَغْبُوطُ**: المحسود الذي يرغب الناس في نيل ما أوتي.

- جَانِبُوا الْكَذِبَ؛ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ.

- الصَّادِقُ عَلَىٰ شَفَا مَنْجَاةٍ وكَرَامَةٍ، والْكَاذِبُ عَلَىٰ شَرَفِ مَهْوَاةٍ ومَهَانَةٍ.

- الأَمَلَ[٢] يُسْهِي الْعَقْلَ ويُنْسِي الذِّكْرَ[٣].

- إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ.

- كَمْ عَسَىٰ الْمُجْرِي إِلَىٰ الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَهَا.

- عَلَىٰ أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

- كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

- إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ.

- الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ.

- كَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلا يَعْرِفَ قَدْرَهُ.

- إِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ.

- إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَىٰ التَّذْكِيرَ وقَبِلَهُ.

---

(١) **أَهْلِ الْهَوَىٰ**: العصاة المتبعين لأهوائهم المنقادين لشهواتهم. **مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ**: سبب لنسيانه والغفلة عنه. **مَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ**: مكان حضوره.

(٢) **الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

(٣) **الأَمَلَ**: المخدوع. **يُسْهِي الْعَقْلَ**: المحسود الذي يرغب الناس في نيل ما أوتي.

- مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَىٰ بَصَرَهُ وأَمْرَضَ قَلْبَهُ.

- لِسَانُ الصِّدْقِ[١] يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ.

- إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً ولِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً.

- الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي والْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي.

- إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ.

- رُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ، ورُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ.

- إِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَىٰ شِبْهِهِ.

- نَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ؛ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، ويَعْرِفُ غَوْرَهُ ونَجْدَهُ[٢]. [خ١٥٤]

- إِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ؛ إِلا مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا.

- لِسَانُ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وقَلْبُ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ.

- الْحَقُّ[٣] أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ.

- السُّعَدَاءُ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

---

(١) **لِسَانُ الصِّدْقِ**: الذكر الجميل والثناء الحسن من الناس.

(٢) **نَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ**: بصيرته الثاقبة. **غَوْرَهُ ونَجْدَهُ**: الغور: ما انخفض من الأرض، والنجد: ما ارتفع منها، والمراد: معرفته بحال نفسه في جميع أموره كلها.

(٣) **الحق**: يقصد به الحقوق التي للناس وبعضهم.

- مَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟

- مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وتَبْقَىٰ عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وحِسَابُهُ؟

- لا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ ووَلِيمَةٌ[1]. **[خ٣٤١]**

- مَا أَنْقَصَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وأَمْحَىٰ الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ. **[خ٣٤١]**

- إِنَّ الْمُتكَارِهَ[2] مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وقُعُودُهُ أَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ.

- شَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ولا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ.

- أَلا ومَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَىٰ الْجَنَّةِ، ومَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَىٰ النَّارِ.

- ولَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ،

- إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وقَادِمٌ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ.

- أَعْظَمُ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ، وأَفْظَعُ الْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ.

- مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، ومَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ.

- خَيْرُ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ.

- لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ولا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

---

(١) المعنىٰ: لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلىٰ اللذائذ.

(٢) **المتكاره**: المرغم الذي يكره علىٰ حضور المعركة.

- إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ[١] كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ.

- لَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ.

- الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وآفَةُ الأَلْبَابِ.

- الْمَالُ لا يَبْقَىٰ لَكَ ولا تَبْقَىٰ لَهُ.

- حِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ.

- حِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ.

- مَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَىٰ النَّاسِ.

- الْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَىٰ مَعَ الْفُجُورِ.

- لا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ، مَا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ.

- مَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ[٢] يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ. [خ٢٣]

- الْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ.

- رُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ.

- مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، ومَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ.

---

(١) الحدث: الطفل الصغير.

(٢) **تَلِنْ حَاشِيَتُهُ**: يظهر منه التواضع والكرم وحسن الخلق.

- بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ.

- ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ.

- إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً.

- رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، والدَّاءُ دَوَاءً.

- رُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ.

- الْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ.

- خَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ.

- لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، ولا كُلُّ غَائِبٍ يَئُوبُ.

- مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، ومَفْسَدَةُ الْمَعَادِ.

- لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ.

- سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ.

- التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ.

- رُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ.

- لا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، ولا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ.

- مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، والْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَىٰ.

- إِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ، والْبَهَائِمَ لا تَتَّعِظُ إِلا بِالضَّرْبِ.

- مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ.

- الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ.

- الصَّاحِبُ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ.

- الصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ.

- الْهَوَىٰ شَرِيكُ الْعَمَىٰ.

- لِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، ولِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ

- رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ.

- مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لانْقِطَاعِهِ عَنْهُ

- بِالتَّقْوَىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا[1].

- بِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَىٰ.

- الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ.

---

(١) **حُمَةُ الْخَطَايَا**: الحُمة: سم العقرب وما يلسع من الهوام، والمراد: سطوة الخطايا وضررها.

- مَنْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ.

- مَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَىٰ لَهُ.

- إِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، ولا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ.

- أَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ؛ سَبَبٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ.

- مَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَعَدُوُّكَ.

- قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاكاً.

- لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، ولا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ.

- رُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وأَصَابَ الأَعْمَىٰ رُشْدَهُ.

- قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ.

- مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، ومَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ.

- لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَىٰ أَصَابَ.

- رُوَاةُ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، ورُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

- إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.

- الرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ، والْجَارُ قَبْلَ الدَّارِ.

- إِنَّ الشَّرَّ لا يَدْفَعُهُ إِلا الشَّرُّ.

- الْعَسْفُ يَعُودُ بِالْجَلاءِ.

- الْحَيْفُ يَدْعُو إِلَىٰ السَّيْفِ.

- لَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلا عَامِلُهُ، ولا يُجْزَىٰ جَزَاءَ الشَّرِّ إِلا فَاعِلُهُ.

- قَدْ يَشْكُرُكَ عَلَىٰ المَعْرُوفِ مَنْ لا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ.

- حِسَابُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ.

- لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، ويَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.

- الشَّجَرَةُ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، والرَّوَاتِعُ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً.

- إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَىٰ أَلْسُنِ عِبَادِهِ.

- [النَّاسُ صِنْفَانِ]: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ.

- إِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

- لا يَجْتَرِئُ عَلَىٰ اللهِ إِلا جَاهِلٌ شَقِيٌّ.

- الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ.

- التَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ.

- الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ والنَّاسِ.

- الْغَضَبُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ.

- الْغَضَبُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

- رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً، وجَلَبَتْ نِقْمَةً.

- إِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ.

- لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ.

- تَضْيِيعُ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وتَكَلُّفُهُ مَا كُفِيَ؛ عَجْزٌ حَاضِرٌ، ورَأْيٌ مُتَبَّرٌ.

- إِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلابِيبَهَا، وأَغْشَتِ الأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.

- الشَّقِيُّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ والتَّجْرِبَةِ.

- أَزْرَىٰ بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ.

- رَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ.

- هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ.

- الْبُخْلُ عَارٌ والْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ.

- الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ.

- الْمُقِلُّ «١» غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ.

- الْعَجْزُ آفَةٌ.

- الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ.

- الزُّهْدُ ثَرْوَةٌ.

- الْوَرَعُ جُنَّةٌ(٢).

- نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَىٰ.

- الْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ.

- الآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ والْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ.

- صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ.

- الْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ.

- الاحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ.

- مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ.

- قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.

---

(١) المقل : الفقير ذو المال القليل.

(٢) **الورع** : الكف عن المحارم واجتناب الشبهات. **جُنة** : وقاية من المهالك.

- الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ.

- أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجَالِهِمْ.

- مَنْ ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الأَبْعَدُ.

- مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ.

- مَنْ جَرَىٰ فِي عِنَان أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ.

- قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ، والْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ.

- رُبَّمَا قَارَبَ الْعَدُوُّ لِيَتَغَفَّلَ.

- مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

- مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ.

- مَنْ لا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَىٰ؛ يَجُرُّ بِهِ الضَّلالُ إِلَىٰ الرَّدَىٰ[1].

- مَنْ لا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ؛ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وغَائِبُهُ أَعْوَزُ[2].

- مَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَىٰ قَلْبَهُ؛ بَرَّزَ مَهَلُهُ، وفَازَ عَمَلُهُ.

- إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ، لا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، ولا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ.

---

(١) **الرَّدَىٰ**: أدلة الهلاك.

(٢) **لُبِّهِ**: عقله. **عَازِبُهُ**: غائبه. **أَعْوَزُ**: أكثر تعذّراً، منعدم غير موجود.

- كَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ.

- إِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ.

- مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

- كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ.

- مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، والتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ.

- مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وصَفَحَاتِ وَجْهِهِ.

- إِعْطَاءُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وإِسْرَافٌ.

- أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ.

- أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.

- كَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ، ومَزِيدٍ خَاسِرٍ.

- الإِيمَانُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَىٰ الصَّبْرِ، والْيَقِينِ، والْعَدْلِ، والْجِهَادِ.

- الْكُفْرُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَىٰ التَّعَمُّقِ، وَالتَّنَازُعِ، والزَّيْغِ، والشِّقَاقِ.

- مَنِ اشْتَاقَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ سَلا عَنِ الشَّهَوَاتِ.

- مَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ.

- مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ.

- مَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ.

- مَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ.

- مَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ.

- مَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الأَوَّلِينَ.

- مَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ.

- مَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ.

- مَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ، وعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً.

- مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ.

- مَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْكَافِرِينَ.

- مَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ.

- مَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى الْحَقِّ.

- مَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ.

- مَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ.

- مَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ.

- مَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ.

- مَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا.

- فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ،

- أَشْرَفُ الْغِنَىٰ تَرْكُ الْمُنَىٰ.

- مَنْ أَطَالَ الأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ[1].

- أَغْنَىٰ الْغِنَىٰ الْعَقْلُ.

- أَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمْقُ.

- أَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ.

- أَكْرَمُ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

- لا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ.

- لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وقَلْبُ الأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.

- قَلْبُ الأَحْمَقِ فِي فِيهِ، ولِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ.

---

(١) **الأَمَلِ**: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل.

- إِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

- مَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النَّارِ

- لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، ولا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ.

- مَا خَيْرُ خَيْرٍ لا يُنَالُ إِلا بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لا يُنَالُ إِلا بِعُسْرٍ.

- الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ.

- إِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا.

- الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ.

- مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ.

- الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لا دَارُ مَقَرٍّ.

- مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، ومَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ.

- لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، ولا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ.

- إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ.

- أَفْضَلُ الأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

- الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ.

- قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

- الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، والاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ.

- مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ.

- مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ.

- إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا.

- مَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً إِلا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً.

- مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وطَالِبُ دُنْيَا.

- الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، والْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ.

- الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وإِلا ارْتَحَلَ.

- الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ، والْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ، والرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ.

- قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ.

- عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ[1].

- نِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ.

---

(١) الجد: الحظ، وهو السعة والغنى.

- أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ.

- الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، والْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ.

- الْقَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنْفَدُ.

- الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ.

- مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ.

- اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ.

- الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ.

- الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ.

- أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وهُمْ نِيَامٌ.

- فَقْدُ الأحِبَّةِ غُرْبَةٌ.

- فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا.

- الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، والشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى.

- لا تَرَى الْجَاهِلَ إِلا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً.

-إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلامُ.

- نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَىٰ أَجَلِهِ.

- كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ.

- إِنَّ الأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا.

- الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ ولَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ.

- قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ.

- بَقِيَّةُ السَّيْفِ[1] أَبْقَىٰ عَدَداً وأَكْثَرُ وَلَداً.

- مَنْ تَرَكَ قَوْلَ «لا أَدْرِي» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

- رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلامِ. وروي: مِنْ مَشْهَدِ الْغُلامِ.

- عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ ومَعَهُ الاسْتِغْفَارُ.

- لا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَىٰ، وكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟!

- نَوْمٌ عَلَىٰ يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةٍ فِي شَكٍّ.

-لا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ.

- لا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ.

---

(١) بقية السيف : من يحصل فيهم الحرب والقتال.

- لا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ.

- لا كَرَمَ كَالتَّقْوَىٰ.

- لا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ.

- لا مِيرَاثَ كَالأدَبِ.

- لا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ.

- لا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

- لا رِبْحَ كَالثَّوَابِ.

- لا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ.

- لا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ.

- لا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ.

- لا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ.

- لا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ والصَّبْرِ.

- لا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ.

- لا شَرَفَ كَالْعِلْمِ.

- لا عِزَّ كَالْحِلْمِ.

- لا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ.

- مَا ابْتَلَىٰ اللهُ أَحداً بِمِثْلِ الإِمْلاءِ لَهُ.

- إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ.

- غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ.

- الصَّلاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ.

- الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ.

- لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ.

- جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ.

- اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ.

- مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ.

- تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَىٰ قَدْرِ الْمُئُونَةِ.

- مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ.

- قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ.

- التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ.

- الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ.

- حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْيَاسِ وإِفْطَارُهُمْ«١».

- إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا.

- صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.

- يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

- الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

- هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ.

- لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ؛ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ.

- لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ، ومَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ.

- لا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ.

- مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ.

- مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ.

---

(١) الأكياس: العقلاء، والمعنى أن نوم العقلاء وإفطارهم خير من صلاة الحمقى وصيامهم.

- مَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا.

- مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيَرَةُ بِيَدِهِ.

- الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكْبَرُ.

- مَنْ قَضَىٰ حَقَّ مَنْ لا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ.

- لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

- لا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ.

- الإِعْجَابُ يَمْنَعُ الازْدِيَادَ.

- الأَمْرُ قَرِيبٌ والاصْطِحَابُ قَلِيلٌ.

- قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ.

- تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ الْمَعُونَةِ.

- كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلاتٍ.

- النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

- مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ.

- مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ للهِ قَوِيَ عَلَىٰ قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ.

- آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.

- اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ.

- الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ.

- ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ، وثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلامَةُ.

-لا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ كَمَا أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

- مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إلا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلالَةً.

- لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ.

- الرَّحِيلُ وَشِيكٌ[1].

- مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ.

- مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ.

- لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ.

- كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلا وِعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ

- أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَىٰ الْجَاهِلِ.

---

(١) يعني بالرحيل حصول الموت.

- الْجُودُ حَارِسُ الأعْرَاضِ.

- الْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ.

- الْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ.

- السُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ.

- الاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ.

- قَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنَىٰ بِرَأْيِهِ.

- الصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ.

- الْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ.

- أَشْرَفُ الْغِنَىٰ تَرْكُ الْمُنَىٰ.

- كَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَىٰ أَمِيرٍ.

- مِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ.

- الْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ.

- عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ.

- مَنْ لانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ.

- الْخِلافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ.

- مَنْ نَالَ اسْتَطَالَ.

- فِي تَقَلُّبِ الأحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ.

- حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ.

- أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ.

- لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَىٰ الثِّقَةِ بِالظَّنِّ.

- بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَىٰ الْعِبَادِ.

- مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ.

- مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ.

- بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ.

- بِالنَّصَفَةِ«١» يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ.

- بِالإفْضَالِ تَعْظُمُ الأقْدَارُ.

- بِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ.

---

(١) النصفة : الإنصاف.

- بِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ.

- بِالسِّيرَةِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِئُ.

- بِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ.

- الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلامَةِ الأَجْسَادِ.

- الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ.

- الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ.

- كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً وبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً.

- الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ الْقَنَاعَةُ.

- الْعَدْلُ الإِنْصَافُ ، والإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ.

- مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ«[1]».

- [العاقل] هُوَالَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ.

---

(١) قال الشريف الرضي: ومعنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر وإن كان يسيرا فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيما كثيرا واليدان هاهنا عبارة عن النعمتين ففرق (عليه السلام) بين نعمة العبد ونعمة الرب تعالى ذكره بالقصيرة والطويلة فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة لأن نعم الله أبدا تضعف على نعم المخلوق أضعافا كثيرة إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنزع.

- الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا وشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْهَا.

- مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ.

- مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ.

- الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَىٰ خَرَابِهَا«١».

- يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ.

- إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ.

- إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ.

- احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ.

- الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ.

- الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ.

- مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلاوَةُ الآخِرَةِ، وحَلاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ.

- مَا ابْتَلَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ الإِمْلاءِ لَهُ.

- إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً«١».

---

(١) قال الشريف الرضي: ويروىٰ هذا الكلام عن النبي (صلىٰ الله عليه وآله) ولا عجب أن يشتبه الكلامان لأن مستقاهما من قليب ومفرغهما من ذنوب.

- إِنَّ الْكَلامَ كَالشَّارِدَةِ، يَنْقُفُهَا هَذَا، ويُخْطِئُهَا هَذَا.

- إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ، وضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ.

- رُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ.

- كُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ.

- الأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ.

- الْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لا يَأْتِيهِ.

- إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا.

- مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ.

- لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا.

- لا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ.

- قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ.

- كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ الإِنْظَارَ، وكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ.

---

(١) قال الشريف الرضي: يريد بالقحم المهالك لأنها تقحم أصحابها في المهالك والمتالف في الأكثر فمن ذلك قحمة الأعراب وهو أن تصيبهم السنة فتتعرق أموالهم فذلك تقحمها فيهم وقيل فيه وجه آخر وهو أنها تقحمهم بلاد الريف أي تحوجهم إلى دخول الحضر عند محول البدو.

- إِذَا أَرْذَلَ اللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ.

- أَخْذُ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.

- لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَلا يُعْصَىٰ شُكْراً لِنِعَمِهِ.

- مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وأَقَلَّ الاعْتِبَارَ.

- مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، ومَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ.

- لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ.

- مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّىٰ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ.

- النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، ولا يُلامُ الرَّجُلُ عَلَىٰ حُبِّ أُمِّهِ.

- مَا زَنَىٰ غَيُورٌ قَطُّ.

- كَفَىٰ بِالأَجَلِ حَارِساً.

- يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَىٰ الثُّكْلِ، ولا يَنَامُ عَلَىٰ الْحَرَبِ«[1]».

- مَوَدَّةُ الآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الأَبْنَاءِ.

- الْقَرَابَةُ إِلَىٰ الْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَىٰ الْقَرَابَةِ.

---

(١) قال الرضي ومعنىٰ ذلك أنه يصبر علىٰ قتل الأولاد ولا يصبر علىٰ سلب الأموال.

- الْفَقْرُ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ.

- الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللهُ فِيهِ إِلَىٰ ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً.

- مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ.

- الْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ.

- الاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ.

- مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ.

- أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ للهِ أَلا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ.

- السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ.

- لَوْ رَأَىٰ الْعَبْدُ الأَجَلَ ومَصِيرَهُ لَأَبْغَضَ الأَمَلَ وغُرُورَهُ.

- لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ، والْحَوَادِثُ.

- الْمَسْئُولُ حُرٌّ حَتَّىٰ يَعِدَ.

- الدَّاعِي[1] بِلا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلا وَتَرٍ.

- الْكَفُّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ.

---

(١) الداعي : من يدعو الناس إلى الخير.

- صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، ويَذْهَبُ بِذَهَابِهَا.

- الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، والشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَىٰ.

- يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَىٰ الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَىٰ الْمَظْلُومِ.

- الْغِنَىٰ الأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

- مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي.

- أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ.

- مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ.

- مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ.

- مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ.

- مَنْ كَابَدَ الأُمُورَ عَطِبَ.

- مَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ[1] غَرِقَ.

- مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ.

- مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ.

---

(١) اللجج : جمع لُجة وهي معظم البحر ، والمعنىٰ أن من يقتحم الأمر الخطير يهلك.

- مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلامُهُ إِلاّ فِيمَا يَعْنِيهِ.

- عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ.

- عِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ.

- مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ[1] فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ.

- مِنَ الْخُرْقِ[2] الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الإِمْكَانِ، والأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ.

- لا شَرَفَ أَعْلَىٰ مِنَ الإِسْلامِ.

- لا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَىٰ.

- لا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ الْوَرَعِ.

- لا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ.

- لا كَنْزَ أَغْنَىٰ مِنَ الْقَنَاعَةِ.

- لا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَىٰ بِالْقُوتِ.

- الرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ.

- الْحِرْصُ والْكِبْرُ والْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَىٰ التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ[1].

---

(١) ضن : بخل.

(٢) الخرق : الحمق.

- الشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ.

- إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ.

- الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوبِ.

- الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ.

- مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ.

- مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، ومَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ.

- كُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ.

- كُلُّ بَلاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ.

- مِنَ الْبَلاءِ الْفَاقَةَ.

- أَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ.

- أَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ.

- مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَىٰ الْقَلْبِ.

- مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

---

(١) **التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ**: الوقوع فيها.

- مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ آبَائِهِ.

- رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ.

- كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ.

- الْمُنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ.

- التَّقَلُّلُ ولا التَّوَسُّلُ.

- مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً.

- مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ.

- مَنْ أَوْمَأَ إِلَىٰ مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ.

- مَا اسْتَوْدَعَ اللهُ امْرَأً عَقْلاً إِلا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً مَا.

- مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ.

- الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ.

- التُّقَىٰ رَئِيسُ الأَخْلاقِ.

- مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الأَحْرَارِ وإِلا سَلا سُلُوَالأَغْمَارِ.

- الدُّنْيَا تَغُرُّ، وتَضُرُّ، وتَمُرُّ.

- الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ.

- إِنَّمَا هُوَسَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ.

- كُلُّ يَوْمٍ لا يُعْصَىٰ اللهُ فِيهِ فَهُوَعِيدٌ.

- الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ، ومَطْلُوبٌ.

- أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عُرِفَتْ بِهِ الْكِرَامُ.

- اخْبُرْ تَقْلِهِ«١».

- النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

- مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ.

- مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ.

- الْوِلايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ.

- لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ.

- خَيْرُ الْبِلادِ مَا حَمَلَكَ.

---

(١)المعنىٰ : من اختبرته قليته أي تركته. قال الرضي: ومن الناس من يروي هذا للرسول (صلىٰ الله عليه وآله)، ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي، قال المأمون: لو لا أن عليا (عليه السلام) قال: "اخبر تقله" لقلت: اقله تخبر.

- قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

- مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا.

- مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلاهُ اللهُ بِكِبَارِهَا.

- مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ.

- الْغِنَىٰ والْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَىٰ اللهِ.

- تَذِلُّ الأمُورُ لِلْمَقَادِيرِ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ.

- يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَىٰ التَّقْدِيرِ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ الآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ.

- الْحِلْمُ والأَنَاةُ تَوْأَمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ.

- الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ.

- رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ.

- الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ولَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا.

- لا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

- الْقَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنْفَدُ.

- كَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ ومَزِيدٍ خَاسِرٍ.

- مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ.

- أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهَا صَاحِبُهُ.

- شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ«١».

- لا تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلا بِصَلاحِ الْوُلاةِ.

- لا تَصْلُحُ الْوُلاةُ إِلا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

- مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ بِمَا لا يَعْلَمُونَ.

- مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ؛ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ.

- رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وعِلْمُهُ مَعَهُ لا يَنْفَعُهُ.

- رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى، ورُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى.

- الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ.

- مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وتَوَلاهَا؛ أَبْغَضَ الآخِرَةَ وعَادَاهَا.

- مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ.

- صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ

---

(١)قال الرضي: لأن التكليف مستلزم للمشقة وهو شر لازم عن الأخ المتكلف له فهو شر الإخوان.

- مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ.

- كَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلائِكَةِ.

- التَّوْحِيدُ أَلا تَتَوَهَّمَهُ، والْعَدْلُ أَلا تَتَّهِمَهُ.

- إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ[1].

- إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ.

---

(١) قال الرضي: يقال حشمه وأحشمه إذا أغضبه، وقيل أخجله أو احتشمه طلب ذلك له وهو مظنة مفارقته.

سلسلة روائع نهج البلاغة (٦)

متفرقات

جمعها

عبد الرحمن محمد عبدالملك المروني

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

من كلام الإمام عن نفسه ومن حوله

من كلام الإمام عن نفسه ومن حوله

موقفه من بيعة السقيفة والشورىٰ:

«أَمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَها فُلانٌ[١]، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَىٰ إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً[٢]. وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَىٰ طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ[٣]، يَهْرَمُ فيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ رَبَّهُ! فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ هَاتَا أَحْجَىٰ[٤]، فَصَبَرتُ وَفي الْعَيْنِ قَذًىٰ، وَفي الحَلْقِ شَجاً، أَرَىٰ تُرَاثي نَهْباً، حَتَّىٰ مَضَىٰ الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَىٰ بِهَا إِلَىٰ فُلانٍ بَعْدَهُ.

ثم تمثل بقول الاعشىٰ:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَىٰ كُورِهَا[٥].....وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

---

(١) **تَقَمَّصَها**: تشبث بها كما يلبس القميص، ويعني بفلان أبي بكر الصديق .

(٢) **فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً**: سدل الثوب: أرخاه ، والمعنىٰ تركها ولم يكترث بها يعني الخلافة، **طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً**: الكشح: مابين الخاصرة والضلع الخلف، كناية عن إعراض عنها وعدم مبالاته بها .

(٣) **طَفِقْتُ أَرْتَئِي**: جعلت أتدبر أمري وأقلب رأيي. **أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ**: أنتصر لنفسي بيد مقطوعة، كناية عن عدم الناصر له علىٰ ما يريده. **طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ**: ظلمة شديدة الظلام.

(٤) **أَحْجَىٰ**: أحق وألزم .

(٥) **كُورِهَا**: الرحل وأدواته .

فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لَآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ـ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا[١]! فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا[٢]، وَيَكْثُرُ العِثَارُ فِيهَا وَالْاِعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ[٣]، فَمُنِيَ النَّاسُ ـ لَعَمْرُ الله ـ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ[٤]، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ. فَصَبَرْتُ عَلَىٰ طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّىٰ إِذا مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا للهِ وَلِلشُّورَىٰ! مَتَىٰ اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَىٰ هَذِهِ النَّظَائِرِ؟! لكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[٥]. إِلَىٰ أَنْ

---

(١) **يَسْتَقِيلُها:** يطلب إقالته منها، **عَقَدَهَا لَآخَرَ:** يعني أوصىٰ بالخلافة لآخر وهو عمر بن الخطاب، **لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا:** ما أسرع ما اقتسما ضرعي الخلافة فأخذ كلّ منهما نصيبه منها.

(٢) **حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ:** جانب خشن، **يَغْلُظُ كَلْمُهَا:** يعظم جرحها، **يَخْشُنُ مَسُّهَا:** تصير خشنة الملمس.

(٣) **الصَّعْبَةِ:** الناقة النفور. **إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ:** المعنىٰ إن شد زمامها خرم أذنها، وإن تركها عرضته للهلاك، قال في الديباج الوضي (١ / ١٨٥): والمعنىٰ في هذا هو أنه لما صارت الخلافة إليه –أي عمر بن الخطاب– كان في معاملته للناس بين أمرين: إما حمل الناس علىٰ المكروه، وعلىٰ خلاف ما يريدونه، أدىٰ ذلك إلىٰ فسادهم وتظالمهم، وإما تركهم وآراءهم أدىٰ ذلك إلىٰ بطلان أمره وفساده بتقحمهم عليه .

(٤) **لَعَمْرُ الله:** قسم. **مُنِيَ النَّاسُ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ:** ابتلي الناس بأمرين: التخبط في الضلال، وحصول القلاقل والاضطراب .

(٥) **صَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ:** انقاد لما في قلبه من الحقد، ويعني به سعد بن أبي وقاص لأن الإمام علي قتل أباه في بدر. **مَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ:** يقصد عبدالرحمن بن عوف فإنه أعطىٰ الخلافة لعثمان لما بينهما من القرابة، **مَعَ هَنٍ وَهَنٍ:** مع وجود أمور يكره ذكرها.

قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ، نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ[١]، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ[٢]، إِلَىٰ أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ[٣] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّىٰ لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ. فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَىٰ، وَقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، بَلَىٰ! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتَ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا[٤]! أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَىٰ العُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَىٰ كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ[٥]، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَىٰ

---

(١) **نَافِجاً حِضْنَيْهِ**: رافعا ما بين ابطه وكشحه، كناية عن الكبر. **بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ**: بين موضع روث الدابة وموضع علفها، كناية عن التكبر في غير موضع الكبر، وهو يقصد بذلك عثمان بن عفان لما حصل منه من أذية لبعض الضعفاء الأولياء من الصحابة؛ مثل ضربه لعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود، ونفي أبي ذر الغفاري إلى الربذة بالشام .

(٢) المعنىٰ: يأكلون المال أكل البهيمة لعلفها الرطب، يشير إلى ما فعله بنو أمية في عهد عثمان باستحواذهم علىٰ بيت مال المسلمين .

(٣) **كَعُرْفِ الضَّبُعِ**: الضبع نوع من الوحش له شعر كثيف حول عنقه، والمعنىٰ أنهم تجمعوا حوله بكثرة. **يَنْثَالُونَ عَلَيَّ**: يأتون إليه جماعات.

(٤) **زِبْرِجُهَا**: زينتها .

(٥) **يُقَارُّوا**: يسكتون سكوت المقرين. **كِظَّةِ ظَالِمٍ**: ظلمه الفاحش. **سَغَبِ مَظْلُومٍ**: جوعه، والمراد هضمه وأكل حقه.

غَارِبِهَا[١]، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ[٢]» [خ٣].

من كلام له عليه السلام في الصالحين من أصحابه:

«أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَىٰ الْحَقِّ، والإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، والْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ، والْبِطَانَةُ[٣] دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ، فَوالله إِنِّي لَأَوْلَىٰ النَّاسِ بِالنَّاسِ». [خ١١٨]

ومن كلام له عليه السلام في التأسف علىٰ من فقد الصالحين من أصحابه: «أَلا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ الله الأَخْيَارُ، وبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لا يَبْقَىٰ، بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لا يَفْنَىٰ. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وهُمْ بِصِفِّينَ أَلا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً، يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، ويَشْرَبُونَ الرَّنْقَ[٤]، قَدْ والله لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ، أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ؟ ومَضَوْا عَلَىٰ الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ[٥]؟ وأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ[١]؟ وأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ[٢]؟ وأَيْنَ

---

(١) المعنىٰ: تركت الأمر ولم أكترث به كما يرمىٰ الحبل علىٰ ظهر الناقة حين تخلىٰ للمرعىٰ.

(٢) **عَفْطَةِ عَنْزٍ**: ما تنثره من أنفها، كناية عن حقارة الدنيا وعدم اكتراثه بشأنها.

(٣) **الْبِطَانَةُ**: الخواص من الجلساء والأصحاب.

(٤) **الرَّنْقَ**: الكدِر.

(٥) يعني عمار بن ياسر، الصحابي الجليل، من السابقين الأولين، مشهور وهو ممن قاتل مع الإمام علي في صفين وقتل فيها.

نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ؟ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَىٰ الْمَنِيَّةِ، وأُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ .... أَوِّهِ[٣] عَلَىٰ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، ووَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ». [خ١٨٢]

ومن كلام له عليه السلام يريد به بعض أصحابه: «لله بِلَاءُ فُلاَنٍ، فَلَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ، وَدَاوَىٰ الْعَمَدَ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ[٤]! ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّىٰ إِلَى الله طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مَتَشَعِّبَةٍ[٥]، لاَ يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلاَ يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي». [خ٢٢٨]

شكواه عليه السلام من أصحابه ومعاتبته لهم:

«وَقَدْ بَلَغْتُمْ منْ كَرَامَةِ الله تَعَالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ. وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيهِ، وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ. وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ الله مَنْقُوضَةً فَلاَ

---

(١) هو أبو الهيثم مالك بن التيهان، من أكابر الصحابة، وهو أول من بايع النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم في بيعة العقبة.

(٢) **ذو الشهادتين**: هو خزيمة بن ثابت الأنصاري، جعل الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم شهادته بشهادة رجلين، شهد مع الإمام علي عليه السلام معركة الجمل وحضر صفين وقتل فيها.

(٣) **أَوِّهِ**: كلمة توجُّع.

(٤) **لله بِلَاءُ فُلَانٍ**: ما أعظم ما قدم من الخير. **الْأَوَدَ**: الاعوجاج. **الْعَمَدَ**: العّة. **خَلَّفَ الْفِتْنَةَ**: تركها خلفه.

(٥) **مَتَشَعِّبَةٍ**: متباينة مختلفة.

تَغْضَبُونَ! وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ! وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ(١)، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ». [خ١٠٦]

«بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ ذَرْوَةَ العلْيَاءَ، وبِنَا أَفْجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ(٢). وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ(٣)، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟(٤) رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ(٥). مَازِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ(٦)، حَتَّي سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ(١)، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ. أَقَمْتُ

---

(١) **أَزِمَّتَكُمْ**: الأزمّة: جمع زمام وهوما تقاد به الدابة.

(٢) **تَسَنَّمْتُمُ ذَرْوَةَ العلْيَاءَ**: ركبتم سنامها، يعني ارتقيتم مرتبة عالية. **أَفْجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ**: دخلتم في الفجر بعد ظلام آخر ليلة من الشهر، بمعنىٰ أن ما كان لهم أن يعرفوا النور والهداية لولا مبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وجهاد أهل البيت وتضحياتهم .

(٣) المعنىٰ: صُمَّت أذن لم تسمع ما يجب أن تعيه وهي الموعظة.

(٤) المعنىٰ: كيف يسمع الصوت الخفي من لم يسمع الصرخة العظيمة؟ قال في الديباج الوضي (١/ ١٩٩): ومراده من ذلك هو أن من لم يكفه في فضلي علىٰ غيري ما يعرفه من قرابتي من رسول الله، وما يقرع سمعه من أخباره في فضائلي، وكمال علمي، وبما كان من الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم في إبانة فضلي في المشاهد المختلفة والمواقف العظيمة، فلا يؤثر في حاله شيء آخر غير ذلك.

(٥) **الجنان**: القلب، **والخفقان**: حركة القلب السريعة، والمعنىٰ: ربط الله كل جنان لا يفارقه الخفقان، يقصد أن القلب الحي هو القلب الجدير بسماع الموعظة.

(٦) **أَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ**: أتفرس في أحوالكم فأجدكم متحلين بحلية المغترين المخدوعين بالأماني الباطلة والتسويفات الكاذبة .

لَكُمْ عَلَىٰ سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ[٢]، حيْثُ تَلْتَقُونَ وَلادَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلا تُمِيهُونَ[٣]. الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ العَجْمَاءَ ذَاتَ البَيَانِ! عَزَبَ رَأْيُ امْرِىءٍ تَخَلَّفَ عَنِّي[٤]! مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ! لَمْ يُوجِسْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الْسَلَامُ خِيفَةً عَلَىٰ نَفْسِهِ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلالِ! اليَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالباطِلِ. مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ!». [خ٤]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ، وأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إِلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ، وأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا[٥]، لله أَنْتُمْ!! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي، يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، ويُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟!». [خ١٨٢]

« أَيُّهَا النَّاسُ؛ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ، ويَبْلَىٰ مَنْ يَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبَالٍ، فَلا تَقُولُوا بِمَا لا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، واعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ؛ وهُوَأَنَا. أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ وأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ؟ قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الإِيمَانِ،

---

(١) **جِلْبَابُ الدِّينِ:** لباس الدين، والمراد ماتتمسكون به من أمور الدين الظاهرة، والمعنىٰ: أن تستركم بالدين منعني عن إنزال العقوبة بكم.

(٢) **جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ:** طرق الضلال والغواية.

(٣) **تُمِيهُونَ:** تجدون الماء، كناية عما سلبوا من التوفيق، وأنه لا يصلح لهم عمل بسبب ما هم عليه من الضلال .

(٤) **عَزَبَ:** غاب، يقصد بذلك فساد رأي مخالفيه ومن نقض بيعته أو نكص عنها .

(٥) **حَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ:** حثثتكم بالمواعظ الزاجرة. **تَسْتَوْسِقُوا:** تجتمعوا.

ووَقَفْتُكُمْ عَلَىٰ حُدُودِ الْحَلالِ والْحَرَامِ، وأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وفِعْلِي، وأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأَخْلاقِ مِنْ نَفْسِي، فَلا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ولا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ». [خ٨٧]

«أَيُّهَا الغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَىٰ غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَىٰ مَرْعىً وبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ[1]، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَىٰ[2] لاَ تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا. واللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ ومَوْلِجِهِ[3]، وجَمِيعِ شَأْنِهِ؛ لَفَعَلْتُ، ولَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ. أَلا وإِنِّي مُفْضِيهِ[4] إِلَىٰ الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ، والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ واصْطَفَاهُ عَلَىٰ الْخَلْقِ؛ مَا أَنْطِقُ إِلا صَادِقاً، وقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، ومَنْجَىٰ مَنْ يَنْجُو، ومَآلِ هَذَا الأَمْرِ، ومَا أَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَأْسِي إِلا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ، وأَفْضَىٰ بِهِ إِلَيَّ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي، وَاللهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ إِلاَّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَأَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا». [خ١٧٥]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا، والْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، ولا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ

---

(١) **نَعَمٌ**: إبل أو غنم. **سَائِمٌ**: راعٍ. **وبِيٍّ**: به وباء. **دَوِيٍّ**: يجلب المرض.

(٢) **الْمُدَىٰ**: جمع مُدية: وهي السكين.

(٣) **مَوْلِجِهِ**: مدخله.

(٤) **مُفْضِيهِ**: أكشفه سرًّا.

فِيهَا[١]، وتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا، وايْمُ الله؛ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ[٢] مِنْ عَيْشٍ، فَزَالَ عَنْهُمْ؛ إلا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ، ولَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ؛ فَزِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، ووَلَهٍ[٣] مِنْ قُلُوبِهِمْ؛ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ[٤]. وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ، مِلْتمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِندِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ، وَمَا عَلَيَّ إلاَّ الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ!». [خ١٧٨]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَلْقُوا هَذِهِ الأَزِمَّةَ[٥] الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ولا تَصَدَّعُوا عَلَىٰ سُلْطَانِكُمْ؛ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ، ولا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ، وأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا، وخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، ويَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ. إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا. فَاسْمَعَوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِروا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا». [خ١٨٧]

«أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَد نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ[٦]الْمَضْرُوبَ

---

(١) **لا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا**: لا ترفه أو تسعد من نافس غيره في جمع نفائسها.

(٢) **غَضِّ نِعْمَةٍ**: أحسن نعمة وأجملها.

(٣)**وَلَهٍ**: حيرة وذهول.

(٤)**فِي فَتْرَةٍ**: في حال ضعف ووهن في إيمانكم، وأحوال دينكم.

(٥)**الأَزِمَّةُ**: جمع زمام وهوما تقاد به الدابة.

(٦)**ثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ**: خرقتموه، كناية عن عصيانهم لله وترك العمل بأحكامه وشريعته.

عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، ويَأْوُونَ إِلَىٰ كَنَفِهَا؛ بِنِعْمَةٍ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ، وإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ وقَوَارِعِهِ، وأَيَّامِهِ ووَقَائِعِهِ، فَلا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، ويَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، والْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي، أَلا وقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلامِ وعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ». **[خ١٩٢]**

من خطبة له عليه السلام وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا: «وَهذَا أَخُو غَامِد[١] قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ البَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[٢]. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَىٰ الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا، وَقُلْبَهَا، وَقَلاَئِدَهَا، وَرِعَاثَهَا[٣]، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالْاِسْتِرْجَاعِ وَالْاِسْتِرْحَامِ[٤]، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ[٥]، وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ

(١) **أَخُو غَامِد:** الأمير من أمراء معاوية، قد أغار على الأنبار، وهي من أعمال أمير المؤمنين وأهل ولايته.
(٢) **مَسَالِحِهَا:** المسالح: الثغور التي تحتاج للحراسة والمراقبة حيث يخشى دخول العدو منها.
(٣) **حِجْلَهَا:** خلخالها. **قُلْبَهَا:** أسورتها. **قَلاَئِدَهَا:** ما يوضع حول العنق. **رِعَاثَهَا:** نوع من الخرز.
(٤) **الْاِسْتِرْجَاعِ:** ترديد الصوت بالبكاء مع القول: إنّا لله وإنا اليه راجعون. **الْاِسْتِرْحَامِ:** أن تناشده الرحمة.
(٥) **كَلْمٌ:** جرح.

عِنْدِي جَدِيراً.

فَيَا عَجَباً! عَجَباً واللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ، ويَجْلِبُ الْهَمَّ، مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ، وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحاً لَكُمْ وتَرَحاً[١]؛ حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَىٰ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ ولا تُغِيرُونَ، وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُونَ، ويُعْصَىٰ اللهُ وتَرْضَوْنَ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ؛ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ[٢]. وإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ؛ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ[٣]. كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ والْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ والْقُرِّ تَفِرُّونَ؛ فَأَنْتُمْ واللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ. يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ولا رِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ[٤]، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ ولَمْ أَعْرِفْكُمْ، مَعْرِفَةً واللهِ جَرَّتْ نَدَماً، وأَعْقَبَتْ سَدَماً[٥]، قَاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ[٦] أَنْفَاساً، وأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ والْخِذْلانِ، حَتَّىٰ لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، ولَكِنْ لا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ. للهِ أَبُوهُمْ! وهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً[٧]، وأَقْدَمُ فِيهَا

---

(١) **وتَرَحاً:** هما وحزنا.

(٢) **حَمَارَّةُ الْقَيْظِ:** شدة الحر. **يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ:** يخفف عنا الحر.

(٣) **صَبَارَّةُ الْقُرِّ:** شدة البرد. **يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ:** يذهب عنا البرد.

(٤) **حُلُومُ الأَطْفَالِ:** عقول الأطفال. **رَبَّاتِ الْحِجَالِ:** النساء، والحجال: جمع حِجلة وهي القبة، وموضع يزين بالستور .

(٥) **سَدَماً:** الهم مع الأسف والغيظ.

(٦) **نُغَبَ التَّهْمَامِ:** جرع الغيظ.

(٧) **مِرَاساً:** ممارسة ومزاولة.

مَقَاماً؛ مِنِّي؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ومَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَىٰ السِّتِّينَ، ولَكِنْ لا رَأْيَ لِمَنْ لا يُطَاعُ». [خ٢٧]

من خطبة له عليه السلام بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية علىٰ الحاجّ بعد قصة الحكمين وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف: «أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ؛ كَلامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ[١]، وفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأعْدَاءَ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وكَيْتَ! فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ[٢]. مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، ولا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ، وسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ، دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ، لا يَمْنَعُ الضَّيْمَ[٣] الذَّلِيلُ، ولا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلا بِالْجِدِّ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ؟ ومَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ واللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، ومَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ واللهِ بِالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، ومَنْ رَمَىٰ بِكُمْ فَقَدْ رَمَىٰ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[٤]. أَصْبَحْتُ واللهِ لا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، ولا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، ولا أُوعِدُ الْعَدُوَبِكُمْ، مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ؟ وغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ؟». [خ٢٩]

ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلىٰ أهل الشام بعد فراغه من أمر

---

(١) **الصُّمَّ الصِّلابَ:** الحجارة الصلبة.

(٢) **حِيدِي حَيَادِ:** كلمة تقال إذا اشتد الأمر وعظم، والحياد: هو الميل إلىٰ جانب.

(٣) **الضَّيْمَ:** الظلم.

(٤) **أَفْوَقَ نَاصِلٍ:** السهم المكسور العاري عن النصل.

الخوارج وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد: «أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ. أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيا مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً؟ وبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، ومِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ[١]، وكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ[٢]، فَأَنْتُمْ لا تَعْقِلُونَ. مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ، سَجِيسَ اللَّيَالِي[٣]، ومَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، ولا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ[٤]، مَا أَنْتُمْ إِلا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ، لَبِئْسَ لَعَمْرُ الله سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ، تُكَادُونَ ولا تَكِيدُونَ، وتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلا تَمْتَعِضُونَ، لا يُنَامُ عَنْكُمْ وأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ والله الْمُتَخَاذِلُونَ، وايْمُ الله؛ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى، واسْتَحَرَّ الْمَوْتُ[٥]؛ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ[٦]». [خ٣٤]

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ[٧] أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ

(١) **يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي:** تعجزون عن الكلام بالجواب والمحاورة، **فَتَعْمَهُونَ:** تتحيرون فيه وتترددون.
(٢) **مَأْلُوسَةٌ:** مخلوطة بمس الجنون.
(٣) **سَجِيسَ اللَّيَالِي:** أبد الدهر.
(٤) **يُمَالُ بِكُمْ:** يُستعان بكم على العدو. **زَوَافِرُ عِزٍّ:** أهل قوة وبأس. **يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ:** يعتمد عليكم في نصر.
(٥) **حَمِسَ الْوَغَى:** اشتدت الحرب. **اسْتَحَرَّ الْمَوْتُ:** بلغ في النفوس غاية حدته.
(٦) المعنى: تفرقتم عني كما ينفلق الرأس فلا يلتئم.
(٧) **الْحُكُومَةِ:** التحكيم الذي وقع بينه وبين معاوية، وقصة التحكيم معروفة.

رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ[١]! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، والْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّىٰ ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ[٢]، فَكُنْتُ أَنَا وإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ[٣]... فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلا ضُحَىٰ الْغَدِ. [خ٣٥]

ومن خطبة له عليه السلام خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر، وفيها يبدي عذره، ويستنهض الناس لنصرته: «مُنِيتُ بِمَنْ لا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، ولا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ؟ ولا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ[٤]؟ أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً[٥]، فَلا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، ولا تُطِيعُونَ لِي أَمْراً؛ حَتَّىٰ تَكَشَّفَ الأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، ولا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ، دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ؛ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرِّ[٦]، وتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ[٧]، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ[١] ضَعِيفٌ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَىٰ الْمَوْتِ

---

(١) **قصير:** هو مولىٰ جذيمة المعروف بالابرش، والمثل له قصة مشهورة في كتب الأمثال يضرب في المخالفة لرأي الناصح.

(٢) **ضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ:** هذه كناية أنه لم يَعُدْ لَهُ رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم.

(٣) **بِمُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ:** بمكان يسمىٰ بهذا الإسم.

(٤) **تُحْمِشُكُمْ:** تثير فيكم الغضب علىٰ أعدائكم.

(٥) **مُتَغَوِّثاً:** طالبا الغوث والنجدة، والتغوث هو قول المستغيث: "واغوثاة".

(٦) **جَرْجَرْتُمْ:** تضجرتم، والجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته عند عسفه. **الْجَمَلِ الأَسَرِّ**: المصاب بداء السّرَر، وهو مرض في كَرْكَرَة البعير، أي زَوْرِهِ، ينشأ من الدّبَرَةِ والقرحة.

(٧) **النِّضْوِ الأَدْبَرِ:** اشتدت الحرب.

وهُمْ يَنْظُرُونَ». [خ٣٩]

ومن كلام له عليه السلام يصف أصحاب رسول الله وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح: «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا، وأَبْنَاءَنَا، وإِخْوَانَنَا، وأَعْمَامَنَا؛ مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلا إِيمَاناً وتَسْلِيماً، ومُضِيّاً عَلَىٰ اللَّقَمِ، وصَبْراً عَلَىٰ مَضَضِ الأَلَمِ[٢]، وجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ. ولَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا، والآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا؛ يَتَصَاوَلانِ[٣] تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ[٤]، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَىٰ اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ؛ حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ الإِسْلامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ، ومُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ[٥]. ولَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، ولا اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ. وايْمُ اللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً، ولَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً[٦]». [خ٥٦]

«كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَىٰ الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ، والثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ[٧]؟ كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ

---

(١) **جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ:** اشتدت الحرب.

(٢) **اللَّقَمِ:** جادة الطريق. **مَضَضِ الأَلَمِ:** مذاقه ومعاناته.

(٣) **يَتَصَاوَلانِ:** يحمل كل واحد علىٰ صاحبه يريد قتله.

(٤) **يَتَخَالَسَانِ:** يطلب كل واحد من النِّدَّين اختلاس روح الآخر. **الْمَنُونِ:** الموت.

(٥) **جِرَانَهُ:** جِران البعير ـ بالكسر ـ: مقدّمُ عنقه من مذبحه إلىٰ مَنْحَره؛ وإلقاء الجِران كناية عن التمكّن، يقال: ألقىٰ بجرانه إذا استقر به المكان. **مُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ:** متمكنا من وطنه مستقرا فيه.

(٦) **تَحْتَلِبُنَّهَا:** الاحتلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن، والمعنىٰ: ستحصدون في قادم الأيام نتيجة خذلانكم لي وتقاعسكم عن مناصرتي الحسرة والندامة.

(٧) **الْبِكَارُ:** جمع بكر وهو الفتيّ من الابل. **الْعَمِدَةُ:** التي انفضح داخلُ سنَامِها من الركوب، وظاهُرهُ سليم. **الْمُتَدَاعِيَةُ:** الخلقة المتخرقة.

جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ[١] مِنْ آخَرَ، كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ[٢] مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ؛ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، والضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا[٣]، الذَّلِيلُ والله مَنْ نَصَرْتُمُوهُ، ومَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[٤]، إِنَّكُمْ والله لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ ويُقِيمُ أَوَدَكُمْ، ولَكِنِّي لا أَرَىٰ إِصْلاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي. أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ، وأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ، لا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، ولا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ». [خ٦٩]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وزَمَنٍ كَنُودٍ[٥]، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً، ويَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً، لا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، ولا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، ولا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً[٦] حَتَّىٰ تَحُلَّ بِنَا». [خ٣٢]

«أَمَا والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، ولَكِنْ لإِسْرَاعِهِمْ إِلَىٰ بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. ولَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي، اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، ودَعَوْتُكُمْ سِرّاً وجَهْراً فَلَمْ

---

(١) **حِيصَتْ:** خيطت. **تَهَتَّكَتْ:** تمزقت .

(٢) **مَنْسِرٌ:** كتيبة من الجيش.

(٣) **انْجَحَرَ:** دخل حجره. **الضَّبَّةِ:** أنثى الضب. حيوان بري يشبه القط. **الضَّبُعِ:** وحش بري بحجم الكلب وشكله. **وِجَارِهَا:** مخبأها.

(٤) **أَفْوَقَ نَاصِلٍ:** السهم المكسور العاري عن النصل.

(٥) **عَنُودٍ:** جائر، معاند. **كَنُودٍ:** كفور، ظالم .

(٦) **قَارِعَةً:** نازلة، خطب، مصيبة.

تَسْتَجِيبُوا، ونَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ، أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وأَحُثُّكُمْ عَلَىٰ جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ؛ فَمَا آتِي عَلَىٰ آخِرِ قَوْلِي حَتَّىٰ أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا، تَرْجِعُونَ إِلَىٰ مَجَالِسِكُمْ، وتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً[١]، وتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ[٢]، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ، وأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ. أَيُّهَا الْقَوْمُ؛ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَىٰ بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ واللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ، يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ؛ مُنِيتُ[٣] مِنْكُمْ بِثَلاثٍ واثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وبُكْمٌ ذَوُو كَلامٍ، وعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ولا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلاءِ، تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ[٤]، يَا أَشْبَاهَ الإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ، واللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَىٰ[٥]، وحَمِيَ الضِّرَابُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ[٦] عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا، وإِنِّي لَعَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، ومِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وإِنِّي

(١) **أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً**: أعمل على تقويم اعوجاجكم بالمواعظ في الغداة، وهو النهار.
(٢) **الْحَنِيَّةِ**: القوس.
(٣) **مُنِيتُ**: ابتليت.
(٤) **تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ**: أصاب أيديكم التراب، وهو دعاء على من يقال له بالفقر.
(٥) **حَمِسَ الْوَغَىٰ**: اشتدت الحرب.
(٦) **انْفَرَجْتُمْ**: تفرقتم.

لَعَلَىٰ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً». [خ٩٧]

«ولَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ؛ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ[١] تَبْكُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ، وتَلْتَدِمُونَ[٢] عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، ولَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لا حَارِسَ لَهَا، ولا خَالِفَ عَلَيْهَا، ولَهَمَّتْ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ لا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ غَيْرِهَا، ولَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ. وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ، قَوْمٌ واللهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ[٣]، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ. مَضَوْا قُدُماً عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا[٤] عَلَىٰ الْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بَالْعُقْبَىٰ الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ. أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمِيَّالُ[٥]، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ[٦]!». [خ١١٦]

«مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً[٧] بِلا أَرْوَاحٍ، وأَرْوَاحاً بِلا أَشْبَاحٍ، ونُسَّاكاً[٨] بِلا صَلاحٍ، وتُجَّاراً بِلا أَرْبَاحٍ، وأَيْقَاظاً نُوَّماً، وشُهُوداً غُيَّباً، ونَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وسَامِعَةً صَمَّاءَ،

---

(١) **الصُّعُدَاتِ**: جمع صعيد، وهو الطريق.

(٢) **تَلْتَدِمُونَ**: تضربون صدوركم ووجوهكم كما تفعل النائحات عند المصائب.

(٣) **مَيَامِينُ الرَّأْيِ**: أصحاب رأي سديد. **مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ**: أصحاب حلم راجح.

(٤) **أَوْجَفُوا علىٰ المَحَجَّةِ**: مضوا علىٰ الطريقة الواضحة.

(٥) **غُلاَمُ ثَقِيفٍ**: الحجاج الثقفي. **الذَّيَّالُ الْمِيَّالُ**: طويل الذيل وهو الذي يسحب ثوبه تكبرا واختيالا.

(٦) **الْوَذَحَةُ**: الْخُنْفُسَاءُ.

(٧) **أَشْبَاحاً**: أجساماً.

(٨) **نُسَّاكاً**: أهل دين وعبادة.

ونَاطِقَةً بَكْمَاءَ، رَايَةُ ضَلالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَىٰ قُطْبِهَا[١]، وتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[٢]، قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَىٰ الضِّلَّةِ، فَلا يَبْقَىٰ يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إلا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ[٣]، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الأَدِيمِ، وتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ[٤]، وتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ[٥] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ. أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ[٦]، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[٧]، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، واسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ[٨]». [خ١٠٨]

ومن كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السلام: «مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟!» فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين؛ إن سرت سرنا معك. فقال عليه السلام: «مَا بَالُكُمْ؟ لا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ، ولا

---

(١) **قَامَتْ عَلَىٰ قُطْبِهَا**: انتظمت واستقام أمرها.

(٢) **تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا**: تهلككم جملة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب. **تَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا**: تضربكم بيدها.

(٣) **كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ**: ما يتبقى في قعر القدر من عكاره، والمراد الأراذل والسفلة. **كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ**: ما يبقى في العكم -وهو الكيس الكبير- بعد تفريغه في خلال نسيجه فينفض لينظف.

(٤) **الأَدِيمِ**: الجلد، وعرك الجلد شدة دلكه. **الْحَصِيدِ**: المحصود من الحب ونحوه.

(٥) **الْبَطِينَةَ**: السمينة.

(٦) **الْغَيَاهِبُ**: الظلمات.

(٧) **رَبَّانِيِّكُمْ**: الرباني: المتأله العارف بالله.

(٨) **قَرْفَ الصَّمْغَةِ**: قشر الصمغة.

هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ، أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟ وإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وذَوِي بَأْسِكُمْ، ولا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ، والْمِصْرَ، وبَيْتَ الْمَالِ، وجِبَايَةَ الأَرْضِ، والْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، والنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَىٰ، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ، وإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَىٰ تَدُورُ عَلَيَّ وأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، واضْطَرَبَ ثِفَالُهَا[1]، هَذَا لَعَمْرُ الله الرَّأْيُ السُّوءُ، والله لَوْ لا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَ-ولَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ- لَقَرَّبْتُ رِكَابِي، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ[2] فَلا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وشَمَالٌ، طَعَّانِينَ، عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ، رَوَّاغِينَ. إِنَّهُ لا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، الَّتِي لا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلا هَالِكٌ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَىٰ الْجَنَّةِ، ومَنْ زَلَّ فَإِلَىٰ النَّارِ». [خ١١٩]

«وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ[3]، لا تَأْخُذُونَ حَقًّا، ولا تَمْنَعُونَ ضَيْماً، قَدْ خُلِّيتُمْ والطَّرِيقَ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، والْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ[4]». [خ١٢٣]

« فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ؟ اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَىٰ قَوْمٍ حَيَارَىٰ عَنِ الْحَقِّ لا

---

(١) **اسْتَحَارَ**: تزلزل واضطرب. **ثِفَالُهَا**: الثفال: جلد يبسط تحت الأرحية التي لأهل الخيام، يسقط عليه الدقيق.

(٢) **شَخَصْتُ عَنْكُمْ**: فارقتكم.

(٣) **كَشِيشَ الضِّبَابِ**: كشيش الضّباب: هو احتكاك جلودها عند ازدحامها. والضّباب: جمع ضبّ، وهو الحيوان المعروف، وأراد بذلك الجبن والتأخر عن القتال جزعاً وفشلاً.

(٤) **الْمُتَلَوِّمِ**: المتأخر المتباطىء.

يُبْصِرُونَهُ، ومُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لا يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ[١]، مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا، ولا زَوَافِرِ[٢] عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا، لَبِئْسَ حُشَّاشُ[٣] نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ، أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً[٤]، يَوْماً أُنَادِيكُمْ، ويَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ، ولا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ». [خ١٢٥]

«أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، والْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، والْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الأَسَدِ[٥]، هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ[٦]، أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ!». [خ١٣١]

«قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، ونَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ[٧]، وتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الآمَالِ، وتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الأَمْوَالِ، لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ[٨]، وتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وأَنْفُسِكُمْ». [خ١٣٣]

«إِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ إِلاَّ

---

(١) **أَظْأَرُكُمْ**: أحملكم. **وَعْوَعَةِ الأَسَدِ**: زئير الأسد.

(٢) **زَوَافِرِ**: أنصار وأعوان.

(٣) **حُشَّاشُ**: ما توقد به النار.

(٤) **بَرْحاً**: شراً أو شدّة.

(٥) **حُشَّاشُ**: ما توقد به النار.

(٦) **سَرَارَ الْعَدْلِ**: السرار: ظلمة الليل في آخر ليلة أو ليلتين من الشهر، وسرار العدل: غيابه.

(٧) **دِمَنِكُمْ**: ما بينكم من الأحقاد والضغائن.

(٨) المعنى: لقد ذهب بكم الشيطان مذاهبه الخبيثة.

هَالِكٌ، وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إلاَّ مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا، وإِنَّ فِي سُلْطَانِ الله عِصْمَةً لأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ، غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ(١)، ولا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا، والله لَتَفْعَلُنَّ؛ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإسْلامِ، ثُمَّ لا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّىٰ يَأْرِزَ(٢) الأمْرُ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ». [خ١٦٩]

«أَحْمَدُ اللهَ عَلَىٰ مَا قَضَىٰ مِنْ أَمْرٍ، وقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وعَلَىٰ ابْتِلائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ؛ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ(٣)، وإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَىٰ إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَىٰ مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ(٤). لا أَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، والْجِهَادِ عَلَىٰ حَقِّكُمْ؟ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ؟ فَوالله لَئِنْ جَاءَ يَومِي -ولَيَأْتِيَنِّي- لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وبَيْنِكُمْ، وأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ، وبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ، لله أَنْتُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ؟ ولا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ(٥)؟ أَولَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ(٦) فَيَتَّبِعُونَهُ، عَلَىٰ غَيْرِ مَعُونَةٍ ولا عَطَاءٍ، وأَنَا أَدْعُوكُمْ، وأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الإسْلامِ، وبَقِيَّةُ النَّاسِ؛ إِلَىٰ الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ، إِنَّهُ لا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًىٰ فَتَرْضَوْنَهُ، ولا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ. قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ،

---

(١) المعنىٰ: أعطوه طاعة خالصة فلا يكون فيها شيء يلام عليه من رياء أو نفاق أو غيره.

(٢) **يَأْرِزَ**: يرجع.

(٣) **خُرْتُمْ**: ضعفتم وجبنتم.

(٤) **طَعَنْتُمْ**: اتهمتموه وتكلمتم بما ليس فيه. **نَكَصْتُمْ**: تراجعتم وأحجمتم.

(٥) **تَشْحَذُكُمْ**: تدفعكم للقتال.

(٦) **الْجُفَاةَ**: أصحاب الغلظة في الطباع. **الطَّغَامَ**: الأراذل.

وفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ[١]، وعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ[٢]، لَوْ كَانَ الأَعْمَىٰ يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ. وأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، ومُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ[٣]». [خ١٨٠]

ومن كلام له عليه السلام وقد أرسل رجلا من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من الجند قد هموا باللحاق بالخوارج، فلما عاد الرجل قال له: «أَأَمِنُوا فَقَطَنُوا؟ أَمْ جَبَنُوا فَظَعَنُوا[٤]؟» فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: «بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ. أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ[٥]، وصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَىٰ هَامَاتِهِمْ[٦]، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ[٧]، وهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، ومُتَخَلٍّ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَىٰ، وارْتِكَاسِهِمْ[٨] فِي الضَّلالِ والْعَمَىٰ، وصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ وجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ[٩]». [خ١٨١]

---

(١) **فَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ**: قاضيتكم بالحجة.

(٢) **سَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ**: سوغت لكم ما كنتم تعافون شربه، يقصد أنه أجتهد في هدايتهم وإصلاحهم.

(٣) **فَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ**: قاضيتكم بالحجة.

(٤) يقصد عمرو بن العاص، والنابغة هو اسم أمه، ونسب إليها لأنها ولدته من سفاح.

(٥) **أُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ**: وجهت نحوهم أسنّة الرماح، كناية عن حربهم ومقاتلتهم.

(٦) **هَامَاتِهِمْ**: رؤوسهم.

(٧) **اسْتَفَلَّهُمْ**: دعاهم إلى الانهزام والخروج عن الجماعة.

(٨) **ارْتِكَاسِهِمْ**: الركس: ردُّ الشيء مقلوباً، قال تعالى: {وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} [النساء: ٨٨].

(٩) **جِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ**: دخولهم في الضلال.

ومن كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة[١]: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ حَتَّىٰ نَهِكَتْكُمُ[٢] الْحَرْبُ، وقَدْ واللهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وتَرَكَتْ، وهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ. لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً، وقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، ولَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ». **[خ٢٠٨]**

علم الإمام عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وإِنَّا لأمَرَاءُ الْكَلامِ، وفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ[٣]». **[خ٣٣٣]**

«ولَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ؛ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ، وتَلْتَدِمُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، ولَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لا حَارِسَ لَهَا، ولا خَالِفَ عَلَيْهَا، ولَهَمَّتْ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ لا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ غَيْرِهَا، ولَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ»

«بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَىٰ مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ[٤] لاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي

---

(١) **الْحُكُومَةِ**: التحكيم الذي وقع بين الإمام عليه السلام وبين معاوية، وقصة التحكيم معروفة.

(٢) **نَهِكَتْكُمُ**: أضعفتكم.

(٣) **تَنَشَّبَتْ**: علقت وثبتت. **تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ**: تدلّت أغصانه علينا فأظلّتنا.

(٤) **انْدَمَجْتُ**: انطويت. **مَكْنُونِ عِلْمٍ**: علم مخزون في صدره. **بُحْتُ بِهِ**: تكلمت به.

الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ[١]». [خ٥]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي. فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وتَذْهَبُ بِأَحْلامِ قَوْمِهَا[٢]». [خ١٨٩]

« أَمَّا بَعْد، أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا[٣] فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السَّاعَةِ، ولا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِلُّ مِائَةً؛ إِلا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا، وقَائِدِهَا، وسَائِقِهَا، ومُنَاخِ رِكَابِهَا، ومَحَطِّ رِحَالِهَا، ومَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، ومَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي، ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ، وحَوَازِبُ الْخُطُوبِ؛ لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ». [خ٩٣]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ[٤]». [خ١٠٥]

---

(١) **الأَرْشِيَةِ:** الحبال الطويلة. **الطَّوِيِّ:** الآبار العميقة. والمعنى: لو أظهرت لكم مكنون علمي لفشلتم، ولا ضطربت عقائدكم وتزلزلت.

(٢) **تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا:** ترفعها، كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها. **تَطَأُ فِي خِطَامِهَا:** تتعثر فيه، والمراد انفلاتها وطيشها لعدم وجود قائد لها. **أَحْلامِ قَوْمِهَا:** عقولهم.

(٣) **مَاجَ غَيْهَبُهَا:** شمل ظلامها. **كَلَبُهَا:** الكلب: داء معروف يصيب الكلاب وينتقل إلى من يعضه.

(٤) **اسْتَصْبِحُوا:** خذوا شعلة الصباح. **امْتَاحُوا:** استسقوا الماء. **رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ:** صفت مما يكدرها من تراب أو نحوه، والمراد من كل ذلك: خذوا الهدى من أهله وحملته.

إخباره عليه السلام بالمغيبات:

«كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلاَزِلِ[1]، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَاأَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلاَّ ابْتَلاَهُ اللهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ!». [خ٤٧]

«لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَىٰ وَلَدِهَا». وتلا عقيب ذلك: «ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ»

«أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ[2]، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، ويَطْلُبُ مَا لا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ؛ ولَنْ تَقْتُلُوهُ، أَلا وإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي والْبَرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، ولَكُمْ نَجَاةٌ، وأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلا تَتَبَرَّءُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، وسَبَقْتُ إِلَىٰ الإِيمَانِ والْهِجْرَةِ». [خ٥٧]

من كلام له عليه السلام لمّا بويع بالمدينة وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم: «أَلاَ وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ

---

(١) **الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ**: الجلود المنسوبة إلى سوق مشهور يسمى عُكاظ. **تُعْرَكِينَ**: العرك: الدلك. **النَّوَازِلِ**: الشدائد، والمراد بالنوازل والزلازل الحروب والفتن.

(٢) **رَحْبُ الْبُلْعُومِ**: واسع البلعوم، يأكل فلا يشبع. **مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ**: بطنه بارزة لعظمها.

الْقِدْرِ[١]، حَتَّىٰ يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ، وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا[٢]. وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[٣]، وَلا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهذَا الْمَقَامِ وَهذَا الْيَوْمِ». [خ١٦]

لما أُخِذَ مروان بن الحكم أَسيراً يوم الجمل، استشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلىٰ أَمير المؤمنين عليه السلام، فكلّماه فيه، فخلّىٰ سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أَفَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لاَ حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ[٤]، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ[٥]. أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَأَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ[٦]، وَسَتَلْقَىٰ الْأُمَّة مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ!». [خ٧٣]

ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورىٰ: «لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَىٰ دَعْوَةِ حَقٍّ، وصِلَةِ رَحِمٍ، وعَائِدَةِ كَرَمٍ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وعُوا مَنْطِقِي، عَسَىٰ أَنْ تَرَوْا هَذَا

---

(١)**لَتُبَلْبَلُنَّ**: البلبلة: الاختلاط والاضطراب. **لَتُغَرْبَلُنَّ**: يميز بعضكم عن بعض. **وَلَتُسَاطُنَّ**: من السّوط، وهو أن تجعل شيئين في الاناء وتضربهما بيديك حتىٰ يختلطا .

(٢) **قوله: وَلَيَسْبِقَنَّ**.....الخ: أي وليتقدمن إلىٰ نصرتي ومتابعتي أقوام كانوا قصروا في أول الأمر من خلافتي بالتأخر عني، وليتأخرنّ عن مناصرتي ومعاضدتي أقوام كانوا سبقوا إليها في أول الأمر كما كان من طلحة والزبير وغيرهما.

(٣)**وَشْمَةً**: كلمة.

(٤) يعني غادرة فاجرة.

(٥)**سُبَّتِهِ**: أسته وما يخفىٰ من العورة، كناية عن سرعة غدره بالبيعة ونقضه للعهد.

(٦)**الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ**: ذكر في شرح النهج لابن أبي الحديد أن الأكبش الأربعة بنو عبد الملك: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، قال: ولم يل الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم أربعة أخوة إلا هؤلاء.

الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ، تُنْتَضَىٰ[١] فِيهِ السُّيُوفُ، وتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لأَهْلِ الضَّلالَةِ، وشِيعَةً لأَهْلِ الْجَهَالَةِ». [خ١٣٩]

ومن كلام له عليه السلام يشير فيه إلىٰ ظلم بني أمية: «وَالله لا يَزَالُونَ حَتَّىٰ لا يَدَعُوا لله مُحَرَّماً إلا اسْتَحَلُّوهُ، ولا عَقْداً إلا حَلُّوهُ، وحَتَّىٰ لا يَبْقَىٰ بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ[٢] إلا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، ونَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ[٣]، وحَتَّىٰ يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ؛ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وحَتَّىٰ تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وحَتَّىٰ يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِالله ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ». [خ٩٨]

«أَلا وإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا[٤]، وخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وأَخْطَأَ الْبَلاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وايْمُ الله؛ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ، تَعْذِمُ[٥] بِفِيهَا، وتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وتَزْبِنُ[٦] بِرِجْلِهَا، وتَمْنَعُ دَرَّهَا، لا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّىٰ لا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إلا نَافِعاً لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، ولا يَزَالُ

---

(١) **تُنْتَضَىٰ**: تسل.

(٢) **بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ**: المدر: الطوب، والوبر: الخيام.

(٣) **نَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ**: نبا من أرضه: خرج منها، وأراد أنه أظهره من وطنه سوء رعايتهم وميلها عن الحق.

(٤) **عَمَّتْ خُطَّتُهَا**: شمل أمرها الخطير.

(٥) **تَعْذِمُ**: تقضمه.

(٦) **تَزْبِنُ**: تضرب.

بَلاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّىٰ لا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، والصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً[١]، وقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًىٰ، ولا عَلَمٌ يُرَىٰ، نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، ولَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ[٢]، بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، ويَسُوقُهُمْ عُنْفاً، ويَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ[٣]، لا يُعْطِيهِمْ إِلا السَّيْفَ، ولا يُحْلِسُهُمْ[٤] إِلا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا ومَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً -ولَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ[٥]- لأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلا يُعْطُونِيهِ». [خ٩٣]

«حَتَّىٰ يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ[٦] عَلَىٰ بَنِي أُمَيَّةَ، تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا[٧]، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا[٨]، وَلاَ يُرْفَعُ عَنْ هذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلاَ سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذلِكَ. بَلْ هِيَ مَجَّةٌ[٩] مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً!». [خ٨٧]

ومن كلام له عليه السلام يذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ،

---

(١) **مَخْشِيَّةً**: فاجرة.

(٢) **الأَدِيمِ**: الجلد، وتفريجه: سلخه.

(٣) **مُصَبَّرَةٍ**: مملوءة.

(٤) **يُحْلِسُهُمْ**: يلبسهم الحلس، وهو كساء يوضع على ظهر البعير. وهو في بعض النسخ: يجلسهم.

(٥) **قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ**: قدر ذبح الجزور وهي الناقة.

(٦) **مَعْقُولَةٌ**: محبوسة.

(٧) **دَرَّهَا**: ضرعها.

(٨) **وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا**: تسوقهم إلى ما صفى من عيشها.

(٩) **مَجَّةٌ**: المَجَّةُ: ما يضعه الإنسان في فِيْه ثم يرمي به، شبّه دولتهم بذلك لانقطاعها وسرعة زوالها.

وَأَتْبَاعَ البَهِيمَةِ[١]، رَغَا فَأَجَبْتُم، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ. أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ[٢]، الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ[٣] مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ. كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ[٤]، قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْها العَذَابَ مِنْ فَوْقِها وَمِنْ تَحتِها، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِها. وفي رواية أخرىٰ: بِلادِكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللهِ تُرْبَةً: أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ، الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ، وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللهِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءَ، حَتَّي مَا يُرَي مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ! ». [خ١٣]

«أَيُّهَا النَّاسُ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي[٥]، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، ولا تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ[٦]؛ إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، ولا جَهِلَ السَّامِعُ، لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ[٧]، وفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، واشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ[٨]، وثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ

(١) يريد بالبهيمة الجمل الذي ركبته عائشة في معركة الجمل المشهورة.
(٢) **دِقَاقٌ:** دنيئة. **زُعَاقٌ:** مالح.
(٣) **الشَّاخِصُ عَنْكُمْ:** المفارق للم.
(٤) **جُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ:** صدرها.
(٥) **لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي:** لا يحملنكم مخالفتي وعصياني.
(٦) **بَرَأَ النَّسَمَةَ:** خلق الروح.
(٧) **ضِلِّيلٍ:** صاحب ضلالة. **قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ:** صاح بهم صياح الراعي لغنمه.
(٨) **فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ:** انتفتح فمه. **واشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ:** صعب الانقياد.

أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، ومَاجَتِ[١] الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وبَدَا مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا، ومِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا[٢]، فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وقَامَ عَلَىٰ يَنْعِهِ، وهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ[٣]، وبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، والْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ. هَذَا وكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، ويَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ، وعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، ويُحْصَدُ الْقَائِمُ، ويُحْطَمُ الْمَحْصُودُ». [خ١٠١]

«حَتَّىٰ تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَىٰ سَاقٍ[٤]، بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا[٥]. أَلاَ وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَىٰ مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا[٦]، وتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا[٧]، وتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ». [خ١٣٨]

---

(١)**مَاجَتِ**: اضطربت.

(٢)**كُلُوحُهَا**: عبوسها. **كُدُوحُهَا**: جروحها.

(٣)**شَقَاشِقُهُ**: جمع شِقشِقة: وهي شيء كالرئة يخرج من فم البعير إذا هاج، أراد بذلك عظم خطبه وغضبه.

(٤) **تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَىٰ سَاقٍ**: تشتد وطأتها.

(٥) **بَادِياً نَوَاجِذُهَا**: النواجذ: أقصىٰ الأنياب أو الأضراس، كناية عن احتدام المعركة وشدة الحرب. **أَخْلاَفُهَا**: جمع خُلف، وهو حلمة ضرع الناقة. **عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا**: العلقم: نبت فيه مرارة عظيمة، والمراد أن عاقبتها وخيمة.

(٦)أي يكون المتولي للكوفة من غير أهلها، يأخذ خراجها من عمالها بما فعلوا من الأعمال السيئة، والأفعال القبيحة.

(٧)**أَفَالِيذَ**: جمع فلذة وهي القطعة الثمينة.

«كَأَنِّي بِهِ[١] قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ[٢]، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ[٣]، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ. وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ لاَ يَبْقَىٰ مِنْكُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، فَلاَ تَزَالُونَ كَذلِكَ، حَتَّىٰ تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلاَمِهَا[٤]! فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[٥]». [خ١٣٨]

«فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ؛ لا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، ولا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً[٦]، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا، ويَجْهَدُهَا[٧] رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكِ؛ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ، لا رَهَجَ لَهُ ولا حَسَّ[٨]، وسَيُبْتَلَىٰ أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الأَحْمَرِ، والْجُوعِ الأَغْبَرِ». [خ١٠٢]

---

(١) يحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الوالي الذي قد تقدم ذكره، ويحتمل أن يكون عنى به المختار الثقفي، وقيل: أراد الحجاج بن يوسف، وقيل: أراد عبد الله بن الزبير. والله أعلم.

(٢)**الضَّرُوسِ**: الناقة السيئة الخلق.

(٣)**فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ**: انفتح فمه.

(٤)**تَؤُوبَ**: ترجع. **عَوَازِبُ أَحْلاَمِهَا**: غائبات عقولها.

(٥)**يُسَنِّي**: يسهل. **عَقِبَهُ**: طريقته.

(٦)**مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً**: تامة الأدوات كاملة الآلات، كالناقة التي عليها زمامها ورَحْلها، قد استعدّت لأن تُرْكَبَ.

(٧)**يَحْفِزُهَا**: يحثها. **يَجْهَدُهَا**: يحملها فوق طاقتها.

(٨) **لا رَهَجَ لَهُ ولا حَسَّ**: ليس له أثر، لا غبار ولا صوت.

«افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ. عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ[1] يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً، يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٍ، وَلاَ حِدَابُ أَرْضٍ[2]. يُذعْذِعُهُمُ[3] اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ. وَايْمُ اللهِ، لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَىٰ النَّارِ». [خ١٦٦]

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج: «فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وارْجِعُوا عَلَىٰ أَثَرِ الأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاً شَامِلاً، وسَيْفاً قَاطِعاً، وأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً».

«أَلا وإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، ولِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وهُوَ اللهُ الَّذِي لا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، ولا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ، وفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ». [خ١٠٥]

«فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً[4]، وَأَوْلَجُوا فِيهِ

(١) **قَزَعُ الْخَرِيفِ**: قطع السحاب المتفرقة التي تكون في فصل الخريف.
(٢) **أَكَمَةٌ**: غليظ من الأرض يرتفع عما حواليه. **طَوْدٍ**: جبل عظيم. **حِدَابُ**: مرتفع من الأرض.
(٣) **يُذعْذِعُهُمُ**: يفرقهم.
(٤) **تَرْحَةً**: حزن.

نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَىٰ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ، أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ[١]، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ[٢]. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الْآثَامِ[٣]. فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنَخَّمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لاَ تَذُوقُهَا وَلاَ تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ[٤]». [خ١٥٨]

«أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمِيَّالُ[٥]، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ[٦]!». [خ١١٦]

«وايْمُ اللهِ؛ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ والتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَىٰ النَّارِ».

« واللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ ومَوْلِجِهِ[٧]، وجَمِيعِ شَأْنِهِ؛ لَفَعَلْتُ، ولَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ. أَلا وإِنِّي مُفْضِيهِ[٨] إِلَىٰ الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ، والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ واصْطَفَاهُ عَلَىٰ

---

(١) **الْعَلْقَمِ، والصَّبِرِ**: شجر له ثمر مر المذاق. **الْمَقِرِ**: السم.

(٢) **الشعار**: ما يلي البدن من اللباس، **والدثار**: ما يوضع فوقه. والمعنىٰ أن الخوف لن يفارقهم.

(٣) **المطايا**: الرواحل التي يركب عليها، **والزوامل**: جمع زاملة وهي الراحلة التي تحمل الطعام.

(٤) **الْجَدِيدَانِ**: الليل والنهار. وكرّ الجديدان: تعاقبهما.

(٥) **غُلَامُ ثَقِيفٍ**: الحجاج الثقفي. **الذَّيَّالُ الْمِيَّالُ**: طويل الذيل وهو الذي يسحب ثوبه تكبرا واختيالا.

(٦) **الْوَذَحَةُ**: الْخُنْفُسَاءُ.

(٧) **مَوْلِجِهِ**: مدخله.

(٨) **مُفْضِيهِ**: أكشفه سرًّا.

الْخَلْقِ؛ مَا أَنْطِقُ إِلا صَادِقاً، وقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، ومَنْجَىٰ مَنْ يَنْجُو، ومَآلِ هَذَا الأمْرِ، ومَا أَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَأْسِي إِلا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ، وأَفْضَىٰ بِهِ إِلَيَّ». [خ١٧٥]

من كلامه عليه السلام في بيان فضله ومنزلته وثباته علىٰ الحق:

« أَلا وقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ والنَّكْثِ والْفَسَادِ فِي الأرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وأَمَّا الْمَارِقَةُ[١] فَقَدْ دَوَّخْتُ، وأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ[٢]، ورَجَّةُ صَدْرِهِ، وبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، ولَئِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأدِيلَنَّ مِنْهُمْ؛ إِلا مَا يَتَشَذَّرُ[٣] فِي أَطْرَافِ الْبِلادِ تَشَذُّراً، أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاكِلِ الْعَرَبِ، وكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ ومُضَرَ[٤]. وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، ويُمِسُّنِي جَسَدَهُ، ويُشِمُّنِي

---

(١) **النَّاكِثُونَ:** الناقضون للبيعة وهم من قاتلهم عليه السلام في معركة الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير. **الْقَاسِطُونَ:** الجائرون عن الحق وهم من قاتلهم عليه السلام في صفين بقيادة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص. **الْمَارِقَةُ:** الذين مرقوا من الدين أي خرجوا منه، وهم الخوارج الذين قاتلهم عليه السلام في معركة النهروان.

(٢) **الرَّدْهَةِ:** النقرة في الجبل قد يجتمع فيها الماء، ويعني بشيطان الردهة ذوالثديّة، وهو من كبار الخوارج. **صَعْقَةَ:** موت، أو غشية يفقد الإنسان معها الوعي من شدة الهول. **وَجْبَةُ قَلْبِهِ:** اضطرابه وخفقانه.

(٣) **يَتَشَذَّرُ:** يتفرق. **لأدِيلَنَّ مِنْهُمْ:** لأنتصرنّ عليهم.

(٤) **كَلاكِلِ الْعَرَبِ:** الكلاكل: الصدور، وكلاكل العرب: الأكابر منهم، يشير بذلك إلىٰ ما فعله من القتل والتنكيل بسادات العرب وكبرائها في بدر وأحد وغيرها.

عَرْفَهُ[١]، وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، ولا خَطْلَةً[٢] فِي فِعْلٍ. ولَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ ونَهَارَهُ، ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاقِهِ عَلَماً[٣]، ويَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ. ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ؛ فَأَرَاهُ، ولا يَرَاهُ غَيْرِي، ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ وخَدِيجَةَ، وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَىٰ نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ، وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: "هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وتَرَىٰ مَا أَرَىٰ، إِلا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَيْرٍ". وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ المَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكُ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسَأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَمَا تَسْأَلُونَ؟». قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّىٰ تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فإِنْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟». قَالُوا:

---

(١) **عَرْفَهُ**: رائحته الطيبة.

(٢) **خَطْلَةً**: الخطأ الواقع نتيجة الاستعجال وعدم الرويّة.

(٣) **الْفَصِيلِ**: ولد الناقة. **عَلَماً**: فضلاً ظاهراً.

نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَىٰ خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ[1]، وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ». ثُمَّ قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤمِنِينَ بِالله وَاليَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ الله، فَانْقَلِعِي بعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ الله». فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَىٰ ذلِكَ قَالُوا ـ عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا. فَأَمَرَهَا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً ـ: فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ الله، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ الله تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هذَا! (يَعْنُونَنِي). وَإِنِّي لَمِنْ قَوْم لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي الله لَوْمَةُ لاَئِم، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الْأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ[2]، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ،

---

(١) **لاَ تَفِيئُونَ:** لا ترجعون. **الْقَلِيبِ:** البئر، ويعني به بئر بدر.

(٢) **عُمَّارُ اللَّيْلِ:** من يحيونه بالطاعة والعبادة.

يُحْيُونَ سُنَنَ الله وسُنَنَ رَسُولِهِ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَيَعْلُونَ، وَلاَيَغُلُّونَ[١] وَلاَ يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَ أَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ!». **[خ١٩٢]**

«فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا[٢]، وَمَضَيْتُ بِنُورِ الله حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلاَهُمْ فَوْتاً[٣]، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا[٤]، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلاَ تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ. لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ[٥]، الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ الله قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا للهِّ أَمْرَهُ. أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَالله لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا الميثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي[٦]». [خ٣٧]

«وَقَدْ كَانَتْ هذِهِ الْفَعْلَةُ[٧]، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا، وَالله لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا وَلاَ حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا، وَوَالله إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ

---

(١) **لاَ يَعْلُونَ**: لا يتعالون علىٰ الناس أو يتسلّطون عليهم. **لاَ يَغُلُّونَ**: لا يخونون الأمانات.

(٢) **تَقَبَّعُوا**: اختبأوا وجبنوا. **تَعْتَعُوا**: ترددوا في كلامهم من عِيّ أو حَصَر.

(٣) **فَوْتاً**: سبقاً.

(٤) **فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا**: العنان: عنان الفرس. والمعنىٰ: سبقتهم إلىٰ كل مكرمة.

(٥) **مَهْمَزٌ**: وقيعة. **مَغْمَزٌ**: طعن. والمعنىٰ: لم يكن في نقص أو عيب أعاب به.

(٦) أراد بذلك وصف حاله بعد وفاة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فمع ما كان له من السبق والفضل وعلو المكانة علىٰ غيره من الصحابة إلا أنه وجد نفسه ملزماً بمبايعة غيره -وهم الخلفاء الثلاثة- وطاعتهم، تنفيذاً لأمر النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ووصيته له بالصبر علىٰ ما أخذ من حقه.

(٧) **هذِهِ الْفَعْلَةُ**: يقصد ما كان من أمر التحكيم.

الْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ. فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، وإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَىٰ الآباءِ والأبْنَاءِ والإخْوَانِ والْقَرَابَاتِ؛ فَمَا نَزْدَادُ عَلَىٰ كُلِّ مُصِيبَةٍ وشِدَّةٍ إلا إِيمَاناً، ومُضِيّاً عَلَىٰ الْحَقِّ، وتَسْلِيماً لِلأمْرِ، وصَبْراً عَلَىٰ مَضَضِ الْجِرَاحِ[1]، ولَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الإسْلامِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ والاعْوِجَاجِ، والشُّبْهَةِ والتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا[2]، ونَتَدَانَىٰ بِهَا إِلَىٰ الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ رَغِبْنَا فِيهَا، وأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا». [خ١٢٢]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ الله فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَىٰ قُوتِلَ. ولَعَمْرِي؛ لَئِنْ كَانَتِ الإمَامَةُ لا تَنْعَقِدُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ، ولَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، ولا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ. أَلا وإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ، وآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَىٰ الله؛ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَىٰ الْعِبَادُ بِهِ، وخَيْرُ عَوَاقِبِ الأمُورِ عِنْدَ الله. وقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، ولا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إلا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ، والْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، ولا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً». [خ١٧٣]

---

(١) **مَضَضِ الْجِرَاحِ**: ألم الجراح.

(٢) **يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا**: يجمع الله بها أمرنا.

«وإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وكَلامُهُمْ كَلامُ الأبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ، ومَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وسُنَنَ رَسُولِهِ، لا يَسْتَكْبِرُونَ، ولا يَعْلُونَ، ولا يَغُلُّونَ، ولا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ».

«وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ[1] مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَىٰ اللهِ ولا عَلَىٰ رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، ولَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ[2] فِيهَا الأبْطَالُ، وتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا، ولَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ وإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَىٰ صَدْرِي، ولَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِي، ولَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ، والْمَلائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ والأفْنِيَةُ، مَلأٌ يَهْبِطُ ومَلأٌ يَعْرُجُ، ومَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ[3] مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً ومَيِّتاً، فَانْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ[4]، ولْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَالَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِنِّي لَعَلَىٰ جَادَّةِ الْحَقِّ، وإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَزَلَّةِ[5] الْبَاطِلِ». [خ١٩٧]

ومن كلام له عليه السلام لمّا بلغه اتهام بني أُميّة له بالمشاركة في دم عثمان: «أَوَلَمْ

---

(١) **الْمُسْتَحْفَظُونَ**: الذين أودعهم الرسول صلىٰ الله عليه وآله أمانة سره وأودعهم حفظه.

(٢) **تَنْكُصُ**: تتراجع.

(٣) **هَيْنَمَةٌ**: صوت خفي.

(٤) **بَصَائِرِكُمْ**: عقولكم.

(٥) **مَزَلَّةِ**: موضع زلل.

يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي[١]؟ أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالُ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي؟! وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي. أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ[٢]، وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ[٣]، عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ[٤]، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَىٰ الْعِبَادُ!». [خ٧٥]

«ألا وإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، واسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ ورَجِلَهُ[٥]، وإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي؛ مَا لَبَّسْتُ عَلَىٰ نَفْسِي، ولا لُبِّسَ عَلَيَّ، وَايْمُ اللهِ؛ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ[٦]! لاَ يَصْدِرُونَ عَنْهُ[٧]، وَلاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ». [خ١٠]

«وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي فِيهِ إِلاَّ الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ. بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ. إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالا، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا[٨]». [خ٤٣]

«وقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الأمْرَ؛ بَطْنَهُ وظَهْرَهُ، حَتَّىٰ مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلا قِتَالُهُمْ، أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، ومَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ».

---

(١) **قَرْفِي**: ما يعيبون به عليه وينسبونه إليه، وعلمهم به أي علمهم أنه بريء منه.

(٢) **حَجِيجُ الْمَارِقِينَ**: خصيمهم، والمارقين: الخارجين عن الدين.

(٣) **الْمُرْتَابِينَ**: أهل الشك ممن لا يقين لهم.

(٤) **الْأَمْثَالُ**: المتشابهات.

(٥) **رَجِلَهُ**: منهم راجلين غير راكبين. والمعنىٰ: جميع جنوده فرسانا وراجلين.

(٦) **وَايْمُ اللهِ**: قسم. **لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً**: أسبقهم إلى حوض الماء وأملأه حتىٰ يفيض. **مَاتِحُهُ**: مستسقي منه. والمعنىٰ: إن لم يعودوا إلى جادة الصواب فسيقيم لهم حربا تستأصلهم.

(٧) **لاَ يَصْدِرُونَ عَنْهُ**: لا يتجاوزونه ولا يعودون إليه. كناية عن استئصالهم والقضاء عليهم.

(٨) يقصد ما كان من الناس في الثورة علىٰ عثمان بن عفان.

[خ٥٣]

ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين «أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلَّ ذلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَىٰ الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلا وأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وتَعْشُوَإِلَىٰ ضَوْئِي، وذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَىٰ ضَلالِهَا، وإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ[1] بِآثَامِهَا». [خ٥٥]

«وإِنِّي لَعَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، ومِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وإِنِّي لَعَلَىٰ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً».

«لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، الَّتِي لا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلا هَالِكٌ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَىٰ الْجَنَّةِ، ومَنْ زَلَّ فَإِلَىٰ النَّارِ». [خ١١٩]

وقال عليه السلام: «مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ»

وقال عليه السلام: «مَا كَذَبْتُ، ولا كُذِّبْتُ، ولا ضَلَلْتُ، ولا ضُلَّ بِي»

وقال عليه السلام: «أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، والْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ»

قال الرضي ومعنىٰ ذلك أن المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها

«تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاتِ، وإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وعِنْدَنَا أَهْلَ

(١) **تَبُوءُ**: ترجع، والمعنىٰ تتحمل آثامها وتجازىٰ عليها.

الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ، وضِيَاءُ الأمْرِ». [خ١٢٠]

«أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ». [خ١٧٦]

«اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، ولا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، ولَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، ونُظْهِرَ الإِصْلاحَ فِي بِلادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وسَمِعَ وأَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلا رَسُولُ اللهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ بِالصَّلاةِ». [خ١٣١]

«قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ؟ فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ، ولِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، ولِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ. واللهِ لا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ[1]، يَسْمَعُ النَّاعِيَ ويَحْضُرُ الْبَاكِيَ ثُمَّ لا يَعْتَبِرُ». [خ١٤٨]

«فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَىٰ سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، ومَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ». [خ١٥٦]

«وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَىٰ هَذَا الأمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ؛ فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ واللهِ لَأَحْرَصُ وأَبْعَدُ، وأَنَا أَخَصُّ وأَقْرَبُ، وإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي، وأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وبَيْنَهُ، وتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ[2]، فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلإِ الْحَاضِرِينَ؛ هَبَّ

(١) **اللَّدْم**: الضرب على الصدر والوجه عند النياحة.

(٢) **تَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ**: تمنعونني من الوصول إليه.

كَأَنَّهُ بُهِتَ[١] لا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ. اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ، وأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَلِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ». [خ١٧٢]

من كلامه عليه السلام في بيان ما كان عليه من الزهد والعدل والخوف من الله تعالىٰ وتقواه:

«أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، ونَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا». [خ١٢٨]

«واللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلالِ مُصَفَّداً[٢]؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ ورَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَىٰ الْبِلَىٰ قُفُولُهَا[٣]، ويَطُولُ فِي الثَّرَىٰ حُلُولُهَا! واللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وقَدْ أَمْلَقَ[٤]؛ حَتَّىٰ اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، ورَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ[٥]، وعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ

---

(١) **هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ**: تكلم بالمهمل من الكلام مسرعاً لما انتابه من الغضب حيث عجز عن الجواب.
(٢) **حَسَكِ السَّعْدَانِ**: نوع من الشوك. **مُسَهَّداً**: ساهراً. **الأَغْلالِ**: قيود توضع علىٰ العنق. **مُصَفَّداً**: مقيّداً.
(٣) **الْبِلَىٰ**: تمزق الجسد وفنائه. **قُفُولُهَا**: رجوعها.
(٤) **أَمْلَقَ**: أهلكه الفقر والحاجة.
(٥) **الْعِظْلِمِ**: نبت أسود يصبغ به ويسمّىٰ النيلة.

مِنْ مِيسَمِهَا[١]، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وتَجُرُّنِي إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا[٢] جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ؟! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَىٰ؟ ولا أَئِنُّ مِنْ لَظَىٰ! وأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، ومَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا[٣]، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ؟ أَمْ زَكَاةٌ؟ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لا ذَا ولا ذَاكَ؛ ولَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ؟ أَمْ ذُو جِنَّةٍ؟ أَمْ تَهْجُرُ[٤]؟ واللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا؛ عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ. وإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا، مَا لِعَلِيٍّ ولِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ، ولَذَّةٍ لا تَبْقَىٰ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وقُبْحِ الزَّلَلِ، وبِهِ نَسْتَعِينُ». [خ٢٢٤]

«أَمَا واللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ -يقصد عمرو بن العاص- مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ». [خ٨٤]

«واللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، ولَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟! فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي؛ فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَىٰ».

«أَمَا والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ

---

(١) **دَنَفٍ**: مرض. **مِيسَمِهَا**: الميسم: الحديدة تحمىٰ ويكوىٰ بها الجسم لمرض أو نحوه.

(٢) **سَجَرَهَا**: أضرم نارها.

(٣) **مَلْفُوفَةٍ**: نوع من الحلوىٰ. **شَنِئْتُهَا**: كرهتُها.

(٤) **هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ**: ثكلتك الثواكل، والثاكلة: المرأة لا يعيش لها ولد. **ذُو جِنَّةٍ**: به جنون. **تَهْجُرُ**: تهذي.

النَّاصِرِ، ومَا أَخَذَ اللهُ عَلَىٰ الْعُلَمَاءِ؛ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَىٰ كِظَّةِ ظَالِمٍ، ولا سَغَبِ مَظْلُومٍ؛ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَىٰ غَارِبِهَا، ولَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، ولَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»

من كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة: «يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لاَ يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلاَ لَجَبٌ، وَلاَ قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، وَلاَ حَمْحَمَةُ خَيْلٍ[١]، يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ[٢]. ثمّ قال عليه السلام: «وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، والدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ، الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ، وخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، ولا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ»

ومنها في وصف الأتراك: «كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ[٣]، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ[٤]، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ[٥]، حَتَّىٰ يَمْشِيَ الْمُجْرُوحُ عَلَىٰ الْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ!». فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه

---

(١) **لَجَبٌ**: صوت مرتفع. **قَعْقَعَةُ لُجُمٍ**: اللجم: جمع لجام، وقعقعتها: ما يسمع من صوتها حال اضطرابها بين أسنان الخيل. **حَمْحَمَةُ خَيْلٍ**: الحمحمة: أصوات الخيل إذا طلبت العلف.

(٢) قال الشريف الرضي: يومئ بذلك إلى صاحب الزّنْج. وهي فتنة حدثت في فرات البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين هجرية لها تفاصيل في كتب التاريخ ليس هذا محل ذكرها.

(٣) **الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ**: المَجَانُّ: جمع مِجَنّ وهو: الترس، والمطرق: المجعول بعضه على بعض كالنعل المطرقة طباقاً، شبَّه وجوههم بها لسعتها وكبرها.

(٤) **الْخَيْلَ الْعِتَاقَ**: كرائم الخيل المحبوسة الممنوعة عن غير صاحبها.

(٥) **اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ**: اشتداده.

السلام، وقال للرجل ـ وكان كلبياً: «يَا أَخَا كَلْبٍ؛ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْب، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...) الْآية، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً؛ فَهذَا عَلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَمَا سِوَىٰ ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي». [خ١٢٨]

«إِنَّ هَؤُلاءِ قَدْ تَمَالَئُوا[١] عَلَىٰ سَخْطَةِ إِمَارَتِي، وسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَىٰ جَمَاعَتِكُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَىٰ فَيَالَةِ[٢] هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ. وإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا، ولَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ، والْقِيَامُ بِحَقِّهِ، والنَّعْشُ[٣] لِسُنَّتِهِ». [خ١٦٩]

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي واللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ إِلا وأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، ولا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلا وأَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا».

«وإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاتِ الْوُلاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، ويُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ الْكِبْرِ، وقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ

---

(١) **تَمَالَئُوا**: اتفقوا وتعاونوا.

(٢) **فَيَالَةِ**: ضعف.

(٣) **النَّعْشُ**: الرفع.

الإِطْرَاءَ واسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، ولَسْتُ بِحَمْدِ الله كَذَلِكَ، ولَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لله سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ والْكِبْرِيَاءِ، ورُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاءِ، فَلا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى الله سُبْحَانَهُ وإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ[1] فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وفَرَائِضَ لا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، ولا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، ولا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، ولا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، ولا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ؛ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، ولا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي؛ إِلا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلالَةِ بِالْهُدَى، وأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى». [خ٢١٦]

ومن خبر ضرار بن حمزة الضبائي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ، وقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ، وهُوَقَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ، قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، ويَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ، ويَقُولُ: «يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا؛ إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ؟ لا حَانَ حِينُكِ. هَيْهَاتَ! غُرِّي غَيْرِي، لا حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ

(١) **الْبَلاءِ**: اجهاد النفس في إحسان العمل. **التَّقِيَّةِ**: الخوف، والمراد العقاب.

ثَلاثاً لا رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وأَمَلُكِ حَقِيرٌ، آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وطُولِ الطَّرِيقِ، وبُعْدِ السَّفَرِ، وعَظِيمِ الْمَوْرِدِ»

من كلامه عليه السلام في بيان ما كان عليه من الشجاعة وعدم خوفه من الموت:

«فَإِنْ أَقُلْ؛ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَىٰ الْمُلْكِ. وإِنْ أَسْكُتْ؛ يَقُولُوا: جَزِعَ[1] مِنَ الْمَوْتِ. هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي[2]!! واللهِ لابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ». [خ٥]

«وَاللهِ لاَ أَكُونُ كالضَّبُعِ؛ تَنَامُ عَلىٰ طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُها[3]، وَلكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَىٰ الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً، حَتَّىٰ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ يَوْمِ النَّاسِ هذَا». [خ٦]

«واللهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ، ويَهْشِمُ عَظْمَهُ، ويَفْرِي جِلْدَهُ؛ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ. أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ! فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذلِكَ ضَرْبٌ بِالْمُشْرَفِيَّةِ، تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ[4]،

---

(١) **جَزِعَ**: خاف وفزع.

(٢) المعنىٰ: يستحيل ذلك -أي الخوف من الموت- بعد ما لاقىٰ من الشدائد كبارها وصغارها.

(٣) **الضَّبُعِ**: نوع من الوحش. **اللَّدْمِ**: صوت الحجر أو العصا، تضرب به الارض ضرباً غير شديد. **يَخْتِلَهَا**: يخدعها. ويقصد بذلك أنه عليه السلام لم يكن يخدع بشيء.

(٤) **الْمُشْرَفِيَّةِ**: السيوف. **فَرَاشُ الْهَامِ**: عظام رقاق تلي قحف الرأس.

وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذلِكَ مَا يَشَاءُ». [خ٣٤]

ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين: «أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ»

ومن كلام له عليه السلام لما خوف من الغيلة[١]: «وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً[٢] حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وأَسْلَمَتْنِي، فَحِينَئِذٍ لا يَطِيشُ السَّهْمُ، ولا يَبْرَأُ الْكَلْمُ[٣]». [خ٦٢]

«إِنَّ اللهَّ بَعَثَ مُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ولا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّىٰ بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ[٤]، وبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، واطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ. أَمَا واللهَّ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّىٰ تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا[٥]، مَا عَجَزْتُ ولا جَبُنْتُ، وإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا، فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ. مَا لِي ولِقُرَيْشٍ! واللهَّ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، ولأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ. واللهَّ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلا أَنَّ اللهَّ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا، فَكَانُوا كَمَا قَالَ

(١) **الغيلة**: الاغتيال، وهو القتل على حين غفلة من المقتول.
(٢) **جُنَّةً**: وقاية.
(٣) **الْكَلْمُ**: الجرح.
(٤) **بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ**: نزلهم منزلتهم اللائقة بهم.
(٥) **سَاقَتِهَا**: مؤخّر الجيش السائق لِمُقَدّمه. **تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا**: ذهبت بجملتها وأسرها.

الأوَّلُ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ[١] صَابِحاً...وأَكْلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا

وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلاءَ ولَمْ تَكُنْ...عَلِيّاً وحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ والسُّمْرَا[٢]. [خ٣٣]

وفي رواية: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، ولا يَدَّعِي نُبُوَّةً ولا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ مَنْجَاتِهِمْ، ويُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ، ويَقِفُ الْكَسِيرُ[٣]، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلا هَالِكاً لا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ[٤]، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، واسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ[٥]، وايْمُ اللهِ؛ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا، حَتَّىٰ تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا[٦]، واسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا، مَا ضَعُفْتُ، ولا جَبُنْتُ، ولا خُنْتُ، ولا وَهَنْتُ، وايْمُ اللهِ؛ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ[٧]». [خ١٠٤]

«والَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ؛ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَىٰ

---

(١) **الْمَحْضَ**: اللبن الخالص بدون رغوة.

(٢) **الْجُرْدَ والسُّمْرَا**: السيوف وآلات الحرب، واستشهاد الإمام عليه السلام بهذا البيت إشارة إلى فضل بنو هاشم على العرب، وأنهم سبب عزتهم ورفعتهم.

(٣) **يَحْسِرُ الْحَسِيرُ**: من حسر البعير إذا أعيا وقعد عن السير. **ويَقِفُ الْكَسِيرُ**: الكَسِير: المكسور، وهو هنا الذي ضعف اعتقاده أوكلّتْ عزيمته فتراخى في السير على سبيل أهل الإيمان.

(٤) **بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ**: نزلهم منزلتهم اللائقة بهم.

(٥) **فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، واسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ**: نزلهم منزلتهم اللائقة بهم.

(٦) **تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا**: ذهبت بجملتها وأسرها.

(٧) المعنى: لاشُقّن جَوْفَ الباطل بقهر أهله، فأنتزع الحق من أيدي المبطلين.

الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ»

«مَنِ الرَّائِحُ إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ؟ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ تُبْلَى الأَخْبَارُ، واللهِ لأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ، اللهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وأَبْسِلْهُمْ[1] بِخَطَايَاهُمْ». [خ١٢٤]

«إِنِّي واللهِ؛ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وهُمْ طِلاعُ الأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ ولا اسْتَوْحَشْتُ؛ وإِنِّي مِنْ ضَلالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ والْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي، ويَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللهِ لَمُشْتَاقٌ، وحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، ولَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً، وعِبَادَهُ خَوَلاً، والصَّالِحِينَ حَرْباً، والْفَاسِقِينَ حِزْباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وجُلِدَ حَدّاً فِي الإِسْلامِ، وإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلامِ الرَّضَائِخُ، فَلَوْ لا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وتَأْنِيبَكُمْ، وجَمْعَكُمْ وتَحْرِيضَكُمْ، ولَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ ووَنَيْتُمْ»

«فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ، ونَاصِراً لِلْحَقِّ. ومِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ: أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ، وأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلادِ. هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ! قَدْ كُنْتُ ومَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، ولا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ»

ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيدالله وقد قاله حين بلغه خروج

---

(١) **أَبْسِلْهُمْ**: أوقعهم في الهلاك، والمعنى: أسلمهم للنار بما اجترحوه من الذنوب والخطايا.

طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله[١]:«قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بالْحَرْبِ، وَلاَ أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَىٰ مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ. وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ إِلاَّ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لاَنَّهُ مَظِنَّتُهُ[٢]، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَومِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ[٣] فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ وَأَنْ يُنَابِذَ[٤] نَاصِرِيهِ، وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ[٥]، وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً[٦] وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ. فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاَثِ، وَجَاءَ بِأَمْر لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ». [خ١٧٤]

ومن كلام له عليه السلام في وجوب اتباع الحقّ عند قيام الحجّة: كلّم به بعض العرب ويعرف بكليب الجرمي، وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم، فبيّن له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ. ثمّ قال

---

(١) قلت: ولعل هذه الخطبة تكملة للتي قبلها، والله أعلم.

(٢) **مَظِنَّتُهُ**: متهم بقتله.

(٣) **أَجْلَبَ**: جمع قومه وأتى بهم للقتال معه.

(٤) **يُوَازِرَ**: يناصر. **يُنَابِذَ**: يعارض ويدافع، والمنابذة: المراماة.

(٥) **الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ**: الذّابّين عن حوزته، والصادّين عن قتله. **الْمُعَذِّرِينَ فِيهِ**: المنتصرين له.

(٦) **يَرْكُدَ جَانِباً**: يعتزل القتال في جانب، فلا يكون في المناصرين ولا يشترك مع القاتلين.

له: بايع. فقال: إني رسول قوم، ولا أحدِث حدثاً حتىٰ أرجع إليهم. فقال عليه السلام: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلأِ وَالْمَاءِ، فَخَالَفُوا إِلىٰ الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟» قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلىٰ الكلإ والماء. فقال له عليه السلام: «فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ». فَقَالَ الرَّجُلُ: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة علي، فبايعته عليه السلام. **[خ١٧٠]**

من كلامه عليه السلام في بيان ما كان عليه من العدل في رعيته وأصحابه:

من كلام له عليه السلام فيما رده علىٰ المسلمين من قطائع عثمان[١]: «والله لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، ومُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ؛ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، ومَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ». [خ١٥]

ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً، فقال عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي ولا لَكَ، وإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وإِلا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ[٢]، لا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ». **[خ٣٣٢]**

«لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، ولَيْسَ أَمْرِي وأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ، وأَنْتُمْ

---

(١) **قطائع عثمان:** ما منحه لبعض أقاربه من الاراضي، كقطائعه لمعاوية ومروان والزبير بن العوام وغيرهم، وكان الاصل فيها أن تنفق غلتها علىٰ الفقراء وذوي الحاجة.

(٢) **فَيْءٌ:** الغنائم ونحوها. **جَلْبُ أَسْيَافِهِمْ:** ما أخذوه من الكفار بعد قتال. **جَنَاةُ أَيْدِيهِمْ:** ما جنته أيديهم بالسعي والقتال.

تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَعِينُونِي عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وايْمُ الله؛ لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، ولَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[1]؛ حَتَّىٰ أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ، وإِنْ كَانَ كَارِهاً». [خ١٣٦]

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله علىٰ الصدقات :

قال الشريف وإنما ذكرنا هنا جملا ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل، في صغير الأمور وكبيرها ودقيقها وجليلها.

«انْطَلِقْ عَلَىٰ تَقْوَىٰ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ولا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً، ولا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، ولا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ الله فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَىٰ الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ والْوَقَارِ؛ حَتَّىٰ تَقُومَ بَيْنَهُمْ، فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، ولا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ الله؛ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ الله وخَلِيفَتُهُ، لآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ الله فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لله فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لا؛ فَلا تُرَاجِعْهُ، وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ، أَوْ تُوعِدَهُ، أَوْ تَعْسِفَهُ، أَوْ تُرْهِقَهُ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلا تَدْخُلْهَا إِلا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ، ولا عَنِيفٍ بِهِ، ولا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً، ولا تُفْزِعَنَّهَا، ولا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، واصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا

(١) **خِزَامَتِهِ:** حَلْقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشدّ فيها الزمام ويسهل قياده.

اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، فَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ الله فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ الله مِنْهُ، فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً، حَتَّىٰ تَأْخُذَ حَقَّ الله فِي مَالِهِ، ولا تَأْخُذَنَّ عَوْداً، ولا هَرِمَةً، ولا مَكْسُورَةً، ولا مَهْلُوسَةً، ولا ذَاتَ عَوَارٍ، ولا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ يُوَصِّلَهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِمْ، فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، ولا تُوَكِّلْ بِهَا إِلا نَاصِحاً شَفِيقاً، وأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعْنِفٍ، ولا مُجْحِفٍ، ولا مُلْغِبٍ، ولا مُتْعِبٍ، ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ بِهِ، فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وبَيْنَ فَصِيلِهَا، ولا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا، ولا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، ولْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وبَيْنَهَا، ولْيُرَفِّهْ عَلَىٰ اللاغِبِ، ولْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ والظَّالِعِ، ولْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ، ولا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلَىٰ جَوَادِّ الطُّرُقِ، ولْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، ولْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ والأَعْشَابِ، حَتَّىٰ تَأْتِينَا بِإِذْنِ الله بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ ولا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَىٰ كِتَابِ الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ، وأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ»

ومن عهد له عليه السلام إلىٰ بعض عماله وقد بعثه علىٰ الصدقة :

«أَمَرَهُ بِتَقْوَىٰ الله فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لا شَهِيدَ غَيْرُهُ، ولا وَكِيلَ دُونَهُ، وأَمَرَهُ أَلا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ الله فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَىٰ غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ، ومَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وعَلانِيَتُهُ، وفِعْلُهُ ومَقَالَتُهُ؛ فَقَدْ أَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وأَخْلَصَ

الْعِبَادَةَ، وأَمَرَهُ أَلا يَجْبَهَهُمْ، ولا يَعْضَهَهُمْ، ولا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، والأَعْوَانُ عَلَىٰ اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ، وإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وحَقًّا مَعْلُوماً، وشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ، وضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ، وإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وإِلا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبُؤْسَىٰ لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ الْفُقَرَاءُ والْمَسَاكِينُ، والسَّائِلُونَ، والْمَدْفُوعُونَ، والْغَارِمُونَ، وابْنُ السَّبِيلِ، ومَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ، ورَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، ولَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِينَهُ عَنْهَا؛ فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ والْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وهُوَفِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وأَخْزَىٰ، وإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ، وأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ؛ والسَّلامُ»

***

من هنا وهناك

من هنا وهناك

الفتنة:

«إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنَا ورَسُولُ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله؛ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا؟ فَقَالَ: "يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي" فَقُلْتُ: يَا رَسُولُ الله؛ أَولَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ -حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ- فَقُلْتَ لِي: "أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ" فَقَالَ لِي: "إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً؟" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، ولَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَىٰ والشُّكْرِ». [خ١٥٦]

مناجاته لرسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم عند دفنه للزهراء عليها السلام:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله؛ عَنِّي وعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، والسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ الله عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، ورَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي[1]، إِلاّ أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي

(١) **صَفِيَّتِكَ**: صاحبة الاصطفاء من بناتك. **تَجَلُّدِي**: صبري.

مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ[١]، وفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي نَفْسُكَ، فَإِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[٢]، إِلَىٰ أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ، الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ، وسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَىٰ هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا[٣] السُّؤَالَ، واسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ. هَذَا ولَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، ولَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، والسَّلامُ عَلَيْكُمَا سَلامَ مُوَدِّعٍ؛ لا قَالٍ[٤]ولا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلا عَنْ مَلالَةٍ، وإِنْ أُقِمْ فَلا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ». [خ٢٠٢]

ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وتجهيزه:

«بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ الله، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَصْتَ حَتَّىٰ صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ[٥]، وَعَمَمْتَ حَتّىٰ صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَواءً[٦]، وَلَوْ لاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ[٧]، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلاًّ لَكَ[٨]! وَلكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي! اذْكُرْنَا

(١) **فَادِحٍ**: مُثقل، عظيم. **وَسَّدْتُكَ**: سويّت وسادتك. **تَعَزٍّ**: صبر. **مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ**: الجهة المشقوقة من القبر.
(٢) **سَرْمَدٌ**: دائم. **مُسَهَّدٌ**: منقضٍ بالسُّهاد وهو السهر.
(٣) **هَضْمِهَا**: ظلمها. **أَحْفِهَا السُّؤَالَ**: استقص في سؤالها.
(٤) **قَالٍ**: باغض، هاجر.
(٥) المعنى: خصك الله بأمر وأعطاك فضيلة، فصار من صحبك لا يرضى بغيرك، ويسلو بك عمن سواك.
(٦) المعنىٰ: عمَّت مصيبتك الخلق، فكان الناس في مصيبتك سواء لا يختص أحد منهم بزيادة دون الآخر.
(٧) **لَأَنْفَدْنَا**: لأفنينا. **مَاءَ الشُّؤُونِ**: منابع الدمع من الرأس.
(٨) **مُمَاطِلاً**: لا يشفى. **الْكَمَدُ**: الحزن. **مُحَالِفاً**: ملازماً. **قَلاًّ لَكَ**: أي وهما قليلان في حقك.

عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!». [خ٣٣٥]

فيما يكون عليه الناس في آخر الزمان:

** «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلا الْمَاحِلُ، ولا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلا الْفَاجِرُ، ولا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلا الْمُنْصِفُ، يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً، وصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً، والْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَىٰ النَّاسِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ، وإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ، وتَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ»

** «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَىٰ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلا رَسْمُهُ، ومِنَ الإِسْلامِ إِلا اسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَىٰ، سُكَّانُهَا وعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، ويَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: "فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَىٰ أُولَئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ" وقَدْ فَعَلَ، ونَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ».

** «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَىٰ مَا فِي يَدَيْهِ ولَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: «ولا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» تَنْهَدُ فِيهِ الأَشْرَارُ، وتُسْتَذَلُّ الأَخْيَارُ، ويُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ، وقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ»

** «وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، واللِّسَانُ عَنِ

الصِّـدْقِ كَلِيـلٌ[١]، والـلازِمُ لِلْحَـقِّ ذَلِيـلٌ، أَهْلُـهُ مُعْتَكِفُـونَ عَـلَىٰ الْعِصْـيَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَىٰ الإِدْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وقَـارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ[٢]، لا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، ولا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ». [خ٣٣٣]

** «أَلا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، واسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ، ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ، ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَىٰ أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي، ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ والنَّعِيمِ، وتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ، ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ[٣]. مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ، وأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ!». [خ١٨٧]

** «وإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَىٰ مِنَ الْحَقِّ، ولا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، ولا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ ورَسُولِهِ، ولَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ، ولا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، ولا فِي الْبِلادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ولا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ، لا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ، فَالْكِتَابُ وأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ

---

(١) **كَلِيلٌ**: عاجز.

(٢) **عَارِمٌ**: شرس سيء الخلق. **مُمَاذِقٌ**: يمزج ودّه بالغش.

(٣) **عَضَّكُمُ الْبَلاءُ**: اشتد عليكم البلاء. **الْقَتَبُ**: القتب للجمل مثل السرج للفرس. **غَارِبَ الْبَعِيرِ**: الغارب من الجمل مثل المنسج للفرس، وهو أعلى الكتف.

الزَّمَانِ فِي النَّاسِ ولَيْسَا فِيهِمْ، ومَعَهُمْ ولَيْسَا مَعَهُمْ، لأَنَّ الضَّلالَةَ لا تُوَافِقُ الْهُدَىٰ، وإِنِ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَىٰ الْفُرْقَةِ وافْتَرَقُوا عَلَىٰ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ، ولَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلا اسْمُهُ، ولا يَعْرِفُونَ إِلا خَطَّهُ وزَبْرَهُ(١)، ومِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَىٰ اللهِ فِرْيَةً(٢)، وجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ». [خ١٤٧]

** «فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، ورَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ(٣)، وتَوَاخَىٰ النَّاسُ عَلَىٰ الْفُجُورِ، وتَهَاجَرُوا عَلَىٰ الدِّينِ، وتَحَابُّوا عَلَىٰ الْكَذِبِ، وتَبَاغَضُوا عَلَىٰ الصِّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً، والْمَطَرُ قَيْظاً(٤)، وتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً(٥)، وكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وسَلاطِينُهُ سِبَاعاً، وأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً(٦)، وفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وغَارَ الصِّدْقُ، وفَاضَ الْكَذِبُ، واسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، والْعَفَافُ عَجَباً، ولُبِسَ الإِسْلامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً». [خ١٠٨]

---

(١)**زَبْرَهُ**: كتابته.

(٢)**فِرْيَةً**: كذب وافتراء.

(٣)**هَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ**: الفنيق: الفحل من الإبل، وهديره: ترديده لصوته في حنجرته. **بَعْدَ كُظُومٍ**: إمساك وسكون.

(٤)**غَيْظاً**: يغيظ والده لشبوبه على العقوق. **قَيْظاً**: شدة الحر، والمراد أنه يأتي في أيام القيظ لا فائدة منه.

(٥)**تَفِيضُ اللِّئَامُ**: يكثرون. **تَغِيضُ الْكِرَامُ**: يذهب الكرام وينعدمون، والمعنى أنه يكثر الشر ويقل الخير.

(٦)**أُكَّالاً**: جمع آكل، على وزن جُهّال وعُمّال.

«وَذَلِكَ زَمَانٌ لا يَنْجُو فِيهِ إِلا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَىٰ، وأَعْلامُ السُّرَىٰ، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ، ولا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، ويَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ»(١). [خ١٠٣]

«وقَالَ –أي الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "يَا عَلِيُّ؛ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، ويَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، ويَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، ويَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، ويَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ، بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، والأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، والسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، والرِّبَا بِالْبَيْعِ" قُلْتُ يَا رَسُولَ الله؛ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ؟ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: "بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ"»

ضعف خلق الإنسان وتقلب أحواله:

** «لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ؛ وذَلِكَ الْقَلْبُ، وذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ، وأَضْدَاداً مِنْ خِلافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ، وإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَىٰ نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ، وإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الْغِنَىٰ، وإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ، وإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلاءُ، وإِنْ

(١) قال السيد الشريف الرضي: أما قوله عليه السلام: كل مؤمن نومة؛ فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر، والمساييح: جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد، والنمائم والمذاييع: جمع مذياع وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه بها، والبذر: جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه.

جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ»

** «النَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلا مَنْ عَصَمَ اللهُ، سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، ومُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَىٰ والسُّخْطُ، ويَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ وتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ»

** «إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ – أي الناس– مَبَادِئُ طِينِهِمْ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وعَذْبِهَا، وحَزْنِ تُرْبَةٍ وسَهْلِهَا[1]، فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وعَلَىٰ قَدْرِ اخْتِلافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ، ومَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ[2]، ومَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ[3]». [خ٣٣٤]

من كلام له عليه السلام وقد رأىٰ الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلىٰ الحرب :

(١) **فِلْقَةً**: قطعة منها. **سَبَخِ أَرْضٍ**: مالحها، أو ما لا ينبت. **حَزْنِ تُرْبَةٍ**: الأرض القاسية. **سَهْلِهَا**: الليّن منها.
(٢) **الرُّوَاءِ**: الجميل، الحسن المنظر. **مَادُّ الْقَامَةِ**: الطويل. **قَرِيبُ الْقَعْرِ**: قصير القامة. **بَعِيدُ السَّبْرِ**: السبر: الامتحان، وبعيد السبر: يعني أن باطنه ينطوي على أشياء لا يمكن الوقوف عليها.
(٣) **الضَّرِيبَةِ**: الطبيعة. **مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ**: تصرفاته منكرة لما فيها من تصنّع. **تَائِهُ الْقَلْبِ**: مالحها، أو ما لا ينبت. **مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ**: الأرض القاسية. **حَدِيدُ الْجَنَانِ**: الليّن منها.

«امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلامَ لا يَهُدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ[١] -يَعْنِي الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ عليهما السلام- عَلَىٰ الْمَوْتِ، لِئَلا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ». [خ٢٠٧]

من دعائه عليه السلام علىٰ المعرضين عن إجابة دعوته:

«اللهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، والْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ والدُّنْيَا؛ فَأَبَىٰ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إلا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، والإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، ونَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، والآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ». [خ٢١٢]

من دعاء له عليه السلام في التظلم والتشكي من قريش:

«اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وأَكْفَئُوا إِنَائِي[٢]، وأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي، وقَالُوا: أَلا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ، فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ولا ذَابٌّ، ولا مُسَاعِدٌ؛ إلا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ[٣]، فَأَغْضَيْتُ عَلَىٰ الْقَذَىٰ، وجَرِعْتُ رِيقِي عَلَىٰ الشَّجَا[١]، وصَبَرْتُ مِنْ

---

(١) **امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلامَ**: امنعوه من خوض القتال. **لا يَهُدَّنِي**: لا يهدمني. **أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ**: أضن بهما.
(٢) **أَسْتَعْدِيكَ**: أستعين بك لتنتقم منهم. **أَكْفَئُوا إِنَائِي**: إكفاء الإناء: قلبه، كناية عن تضييع حقه وإهداره.
(٣) **رَافِدٌ**: معين. **ذَابٌّ**: مدافع ونصير. **ضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ**: لم أشأ تعريضهم للهلاك.

كَظْمِ الْغَيْظِ؛ عَلَىٰ أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ[٢]». [خ٢١٧]

سياسته عليه السلام مع خصومه ومحاججته لهم ومواقفه منهم ونصائحه إليهم:

«واعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وبَعْدَ الْمُوَالاةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلامِ إِلا بِاسْمِهِ، ولا تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ النَّارَ ولا الْعَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلامَ عَلَىٰ وَجْهِهِ؛ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، ونَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ، وإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لا جَبْرَائِيلُ، ولا مِيكَائِيلُ، ولا مُهَاجِرُونَ، ولا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ»

ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه علىٰ عثمان وسألوه مخاطبته واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال: «إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي[٣] بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَمْر لاَ تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَىٰ شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه- كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَىٰ بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) **أَغْضَيْتُ**: أغمضت عيني. **الْقَذَىٰ**: ما يقع في العين مما يؤلمها، كناية عن صبره وتحمله. **الشَّجَا**: ما يعترض في الحلق من عظم أو غيره، كناية عن غصة الحزن والألم.

(٢) **الْعَلْقَمِ**: نبت فيه مرارة عظيمة. **وَخْزِ الشِّفَارِ**: طعنها الخفيف، والشفرة هي حد السيف ونحوه.

(٣) **اسْتَسْفَرُونِي**: جعلوني سفيراً إليك .

وَآلِه وَسَلَّم- وَشِيجَةَ[١] رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مَنْ صَهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ. فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ ـ وَالله ـ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الْطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِالله عِنْدَ الله إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَي، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ، لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَالله إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً. وَإِنِي سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه- يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا». وَإِنِي أَنْشُدُكَ اللهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ[٢] فِيهَا مَرْجاً. فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً[٣] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلَ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ». [خ١٦٤]

من كلام له عليه السلام في رأيه في عثمان بن عفان وبراءته من دمه: «لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ. وَمَنْ خَذَلَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَخَيْرٌ مِنِّي.

---

(١) **وَشِيجَةَ**: قرابة مشتبكة.

(٢) **يَمْرُجُونَ**: يخلطون.

(٣) **سَيِّقَةً**: ما استاقه العدو من الدواب.

وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ: اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ[١]، وَلله حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالجَازِعِ». [خ٣٠]

من كلام له عليه السلام يحاجج به الزبير بن العوام: «يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالبَيْعَةِ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ[٢]، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلاَّ فَلْيَدخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ». [خ٨]

ومن كلام له عليه السلام في شأن الحكمين وذم أهل الشام: «جُفَاةٌ طَغَامٌ، وعَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ[٣]، وتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ؛ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، ولا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ والإِيمانَ». **[خ٣٣٨]**

«فَيَا عَجَباً! ومَا لِيَ لا أَعْجَبُ مِنْ خَطَأِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا؟ لا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، ولا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، ولا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، ولا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، ويَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، والْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى[٤] ثِقَاتٍ، وأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ». [خ٨٨]

---

(١) **الْأَثَرَةَ:** الاستبداد، **الْجَزَعَ:** التظلم .

(٢) **الوَلِيجة:** الدّخيلة وما يُضمر في القلب ويكتم.

(٣) **جُفَاةٌ:** غليظي الطباع. **طَغَامٌ:** أوغاد، سيئي الأخلاق. **أَقْزَامٌ:** أراذل الناس. **أَوْبٍ:** ناحية.

(٤) **عُرًى:** جمع عروة؛ وهي العُقدة التي تجعل في الحبل لرفع الشيء الثقيل به.

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة[١] وتنادوا: "أن لا حكم إلا لله": «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، ولا بَقِيَ مِنْكُمْ آثِرٌ[٢]. أَبَعْدَ إِيمَانِي بِالله، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ؛ أَشْهَدُ عَلَىٰ نَفْسِي بِالْكُفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. فَأُوبُوا[٣] شَرَّ مَآبٍ، وارْجِعُوا عَلَىٰ أَثَرِ الأعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاً شَامِلاً، وسَيْفاً قَاطِعاً، وأَثَرَةً[٤] يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً». [خ٥٨]

ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان (الخوارج): «فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَىٰ بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ، وبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ[٥]؛ عَلَىٰ غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، ولا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، واحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ[٦]، وقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ[٧]، حَتَّىٰ صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىٰ هَوَاكُمْ، وأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الأحْلامِ[٨]، ولَمْ آتِ لا أَبَا لَكُمْ بُجْراً[٩]، ولا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً». [خ٣٦]

---

(١) **الْحُكُومَةِ**: التحكيم الذي وقع بينه وبين معاوية، وقصة التحكيم معروفة.
(٢) **حَاصِبٌ**: ريح شديدة تحمل التراب والحصىٰ. آثِرٌ: من يخبر عنكم، والمراد لا بقي منكم أحد.
(٣) **أُوبُوا**: ارجعوا.
(٤) **أَثَرَةً**: استئثار واستبداد.
(٥) **صَرْعَىٰ**: قتلىٰ. **الْغَائِطِ**: المكان المنخفض، وادي أو سهل.
(٦) **طَوَّحَتْ بِكُمُ**: قذفتكم في متاهة وضلالة. **احْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ**: أوقعكم القدر في حبائله.
(٧) **الْحُكُومَةِ**: التحكيم الذي وقع بينه وبين معاوية، وقصة التحكيم معروفة، **الْمُنَابِذِينَ**: المنازعين.
(٨) **أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الأحْلامِ**: حمقىٰ وأصحاب عقول ضعيفة.
(٩) **بُجْراً**: شراً وأمراً عظيماً.

ومن كلام له عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين: «فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وضَلَلْتُ؛ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ بِضَلالِي، وتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟ سُيُوفُكُمْ عَلَىٰ عَوَاتِقِكُمْ، تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ والسُّقْمِ، وتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ، وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وقَتَلَ الْقَاتِلَ ووَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وقَطَعَ السَّارِقَ، وجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ[1]، ونَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ، وأَقَامَ حَقَّ الله فِيهِمْ، ولَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلامِ، ولَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، ومَنْ رَمَىٰ بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ، وسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، ومُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، وخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، والْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ الله مَعَ الْجَمَاعَةِ، وإِيَّاكُمْ والْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ، أَلا مَنْ دَعَا إِلَىٰ هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، ولَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ، فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، ويُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ، فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ، وإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا، فَلَمْ آتِ لا أَبَا لَكُمْ بُجْراً، ولا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، ولا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا

(١) **الْفَيْءُ:** الغنيمة، والمراد به هنا الخراج وما يحويه بيت المال.

عَلَيْهِمَا أَلا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وتَرَكَا الْحَقَّ وهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، والصَّمْدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وجَوْرَ حُكْمِهِمَا». [خ١٢٧]

ومن كلام له عليه السلام في معنىٰ الحكمين: «فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكمْ عَلَىٰ أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا[1] عِنْدَ الْقُرْآنِ، ولاَ يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالْإِعْوِجَاجُ رَأْيَهُمَا. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا، وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا، حِينَ خَالفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لاَ يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ». [خ١٧٧]

«لا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ». [خ٦١]

ومن كلام له عليه السلام في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له: «والله مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، ولا جَعَلُوا بَيْنِي وبَيْنَهُمْ نِصْفاً[2]، وإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، ودَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطِّلِبَةُ[3] إِلا قِبَلَهُمْ، وإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وإِنَّ مَعِي

(١) **يُجَعْجِعَا:** من جعجع البعير إذا برك، ولزم الجَعْجاع أي الأرض، أي أن يقيما عند القرآن.
(٢) **نِصْفاً:** عدلاً.
(٣) **الطِّلِبَةُ:** ما يطلب به من الثأر.

لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ ولا لُبِسَ عَلَيَّ، وإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، فِيهَا الْحَمَأُ والْحُمَّةُ[١]، والشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ[٢]، وإِنَّ الأمْرَ لَوَاضِحٌ، وقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ[٣]، وايْمُ اللهِ؛ لأفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ[٤]، لا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ[٥]، ولا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ[٦]». [خ١٣٧]

في شأن طلحة والزبير أيضاً: «فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ[٧] عَلَىٰ أَوْلادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ. قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، ونَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا، اللهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وظَلَمَانِي، ونَكَثَا بَيْعَتِي، وأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ، فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، ولا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلا وعَمِلا، ولَقَدِ اسْتَثْبَتُّهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، واسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ[٨]، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ[٩]، ورَدَّا الْعَافِيَةَ». [خ١٣٧]

ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة: «وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَىٰ حِيَاضِهَا يَوْمَ

---

(١) **الْحَمَأُ:** القرابة، يشير إلى ما بينه وبين الزبير من قرابة. **والْحُمَّةُ:** الحية، وما يلسع من الهوام.

(٢) **الْمُغْدِفَةُ:** العمياء المظلمة.

(٣) **شَغْبِهِ:** سعيه في الفتنة.

(٤) **أَفْرِطَنَّ:** أملأ. **مَاتِحُهُ:** الماتح: هو من ينزع الماء من البئر للسُّقيا. وقوله: لأفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ: كناية عما يوقعه بهم من الحرب والقتل.

(٥) **لا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ:** لا يفارقونه بما أملوه من إرواء عطشهم.

(٦) **يَعُبُّونَ:** العبُّ هو: شرب الماء من غير مص. **حَسْيٍ:** جمع حسوة، وهي حفير في الرمل ينشف الماء فإذا وصل إلى تراب صلب أمسك الماء فيحفر فيؤخذ منه الماء، وعنى بذلك استئصال شأفتهم بالقتل.

(٧) **الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ:** سعيه في الشر.

(٨) **اسْتَثْبَتُّهُمَا:** طلبت منهما الثبات والرجوع إلى البيعة. **اسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ:** أملتهما قبل الحرب.

(٩) **غَمَطَا النِّعْمَةَ:** جحداها.

وِرْدِهَا[١]، حَتَّىٰ انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِيءَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ[٢]، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ[٣]». [خ٢٢٩]

«حَتَّىٰ إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صلّىٰ اللهُ عليه وآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَىٰ الأعْقَابِ، وغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، واتَّكَلُوا عَلَىٰ الْوَلائِجِ، ووَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، ونَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا[٤]فِي الْحَيْرَةِ، وذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَىٰ الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ». [خ١٥٠]

«وأَمَّا فُلانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وضِغْنٌ غَلا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ[٥]، ولَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ، ولَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الأولَىٰ، والْحِسَابُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ». [خ١٥٦]

ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال: يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ. إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ[٦]، تُرْسِلُ

---

(١) **تَدَاكَكْتُمْ:** ازدحمتم. **تَدَاكُّ:** ازدحام. **الْإِبِلِ الْهِيمِ:** العطاش. **وِرْدِهَا:** شربها من الحوض.

(٢) **هَدَجَ:** مشىٰ مشية الشيخ الضعيف. **الْعَلِيلُ:** المريض.

(٣) **حَسَرَتْ:** كشفت عن وجهها. **الْكِعَابُ:** الجواري الكاعبة.

(٤) **مَارُوا:** تحركوا واضطربوا.

(٥) يقصد بفلانة: أم المؤمنين عائشة. **مِرْجَلِ الْقَيْنِ:** قِدْر الحداد.

(٦) **الْوَضِينِ:** بطان يشد به الرحل علىٰ البعير. وقلق الوضين: المرتخي الذي لا يثبت به الرحل.

فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ[١] وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ -ونَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، والأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ نَوْطاً[٢]- فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، والْحَكَمُ اللهُ، والْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ. وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ[٣]! وَلكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ؟ وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ[٤]، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلاَ غَرْوَ وَاللهِ، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ[٥]!. حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وجَدَحُوا بَيْنِي وبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً[٦]، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَىٰ؛ أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَىٰ مَحْضِهِ، وإِنْ تَكُنِ الأُخْرَىٰ (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ)». [خ١٦٢]

من كلامه لعثمان: «وإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ أَلا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ والْقِتَالَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ويَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، ويَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا

(١) **غَيْرِ سَدَدٍ:** غير صواب ولا رشد. **ذِمَامَةُ الصِّهْرِ**: حرمة الأصهار: وهم أقارب الزوج والزوجة.
(٢)**نَوْطاً:** تعلقاً به وقرباً منه.
(٣) **صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ:** تداعوا لنهبه من كل ناحية.
(٤) **هَلُمَّ الْخَطْبَ:** اذكر الأمر العظيم. أراد بذلك أن أعظم الدواهي ما كان من معاوية ومنازعته له الخلافة، فإنها أعظم مما جرىٰ ممن قبله من الخلفاء في منعه حقه واستئثارهم بالأمر دونه.
(٥) **الْأَوَدَ:** الإعوجاج.
(٦) **جَدَحُوا:** خلطوا. **وَبِيئاً:** المُهلك شربه لما فيه من الوباء.

مَوْجاً، ويَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً. فَلا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ، بَعْدَ جَلالِ السِّنِّ، وتَقَضِّي الْعُمُرِ»

ومن كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن العباس، وقد جاء برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبُع، ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام: «يَابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلاَّ أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ[1]: أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّىٰ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً». **[خ٣٤٠]**

في ذكر أصحاب الجمل: «فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ؛ كَمَا تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وأَبْرَزَا حَبِيسَ[2] رَسُولِ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ لَهُمَا ولِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلا وقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ عَامِلِي بِهَا، وخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً[3]، وطَائِفَةً غَدْراً، فَوالله لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلا رَجُلاً وَاحِداً -مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلا جُرْمٍ جَرَّهُ- لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، ولَمْ

(١) **نَاضِحاً بِالْغَرْبِ**: الغرب: الدلو العظيم، ونضح الجمل بالغرب: حمله من النهر أو البئر لسقي الزرع.

(٢) يقصد بقوله: (أبرزا) أي طلحة والزبير، ويقصد بـالحَبيس أم المؤمنين عائشة، لأنها كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يتزوجها بعده.

(٣) **القتل صبراً**: حبس الشخص ثم رميه بنبل أو نحوه حتىٰ يموت.

يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ ولا بِيَدٍ، دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ». [خ١٧٢]

ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأمور بهما: «لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً، وأَرْجَأْتُمَا[١] كَثِيراً، أَلا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ؟ أَمْ جَهِلْتُهُ؟ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟. والله مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلافَةِ رَغْبَةٌ، ولا فِي الْوِلايَةِ إِرْبَةٌ[٢]، ولَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ الله، ومَا وَضَعَ لَنَا وأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، ومَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ صلىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا ولا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، ولا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ولَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا ولا عَنْ غَيْرِكُمَا. وأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ[٣] فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، ولا وَلِيتُهُ هَوًىٰ مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ الله صلىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ، قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ، وأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا والله عِنْدِي ولا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَىٰ[٤]. أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا

(١) **نَقَمْتُمَا**: غضبتما. **أَرْجَأْتُمَا**: أخّرتما.
(٢) **إِرْبَةٌ**: غرض وحاجة.
(٣) **الأُسْوَةِ**: التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال.
(٤) **عُتْبَىٰ**: رجوع عن الإساءة.

وقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ، وأَلْهَمَنَا وإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ». [خ٢٠٥]

في شأن التحكيم: «إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، ولا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ، ولَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَىٰ أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ الله والرَّسُولِ﴾ فَرَدُّهُ إِلَىٰ الله أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، ورَدُّهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ الله؛ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ الله صلىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وأَوْلاهُمْ بِهَا، وأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، ويَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ، ولَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، ولا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا[1]؛ فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وتَنْقَادَ لأَوَّلِ الْغَيِّ». [خ١٢٥]

في شأن معاوية وادعائه أخذه بثأر عثمان: «ووَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَا كَانَ يَزْعُمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، وأَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ. ولَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنِهِينَ عَنْهُ، والْمُعَذِّرِينَ فِيهِ، ولَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ، ويَرْكُدَ جَانِباً، ويَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاثِ، وجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ ولَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ».

---

(١) **ولا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا:** الأكظام: جمع كظم وهو مخرج النفس، والأخذ بالأكظام: المضايقة والانزعاج، والمراد: أن تكون في فسحة من أمرها.

ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم: «وَقَدْ تَوَكَّلَ اللهُ لأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ[١]، وسَتْرِ الْعَوْرَةِ، وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وهُمْ قَلِيلٌ لا يَنْتَصِرُونَ، ومَنَعَهُمْ وهُمْ قَلِيلٌ لا يَمْتَنِعُونَ؛ حَيٌّ لا يَمُوتُ. إِنَّكَ مَتَىٰ تَسِرْ إِلَىٰ هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ لا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ[٢] دُونَ أَقْصَىٰ بِلادِهِمْ، لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً، واحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلاءِ[٣] والنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وإِنْ تَكُنِ الأُخْرَىٰ كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ، ومَثَابَةً[٤] لِلْمُسْلِمِينَ». [خ١٣٤]

ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه: «إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ ولا خِذْلانُهُ بِكَثْرَةٍ ولا بِقِلَّةٍ، وهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وأَمَدَّهُ، حَتَّىٰ بَلَغَ مَا بَلَغَ، وطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ، ونَحْنُ عَلَىٰ مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ، واللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، ونَاصِرٌ جُنْدَهُ، ومَكَانُ الْقَيِّمِ بِالأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ[٥] مِنَ الْخَرَزِ، يَجْمَعُهُ ويَضُمُّهُ، فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً، والْعَرَبُ الْيَوْمَ وإِنْ كَانُوا قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلامِ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ، فَكُنْ قُطْباً، واسْتَدِرِ الرَّحَىٰ بِالْعَرَبِ، وأَصْلِهِمْ

---

(١) **الْحَوْزَةِ**: هي ما يحوزه المالك ويتولى حفظه ويعني بها حوزة الدين، والمراد حمايته من تغلب أعدائه.
(٢) **تُنْكَبْ**: تحصل النكبة وهي الهزيمة. **كَانِفَةٌ**: عاصمة تعصمهم وتحميهم.
(٣) **مِحْرَباً**: له خبرة بالحرب. **احْفِزْ**: ادفع. **أَهْلَ الْبَلاءِ**: أهل الخبرة والتجربة.
(٤) **رِدْءاً**: ملجأً. **مَثَابَةً**: مرجعاً.
(٥) **النِّظَامِ**: السلك ينظم فيه الخرز.

دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ[١] مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وأَقْطَارِهَا، حَتَّىٰ يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ، إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ، فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ. فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ، وطَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَىٰ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وهُوَ أَقْدَرُ عَلَىٰ تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَىٰ بِالْكَثْرَةِ، وإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ والْمَعُونَةِ». [خ١٤٦]

من كلام له عليه السلام لما مر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل :

«لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً، أَمَا واللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَىٰ تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ، أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَىٰ أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ[٢]». **[خ٢١٩]**

من كتاب له عليه السلام إلىٰ بعض أمراء جيشه :

«فَإِنْ عَادُوا إِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وإِنْ تَوَافَتِ الأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَىٰ الشِّقَاقِ والْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ، واسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ

(١) **شَخَصْتَ**: ذهبت إليهم بنفسك.

(٢) **أَدْرَكْتُ وَتْرِي**: أخذت بثأري. **أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ** : رفعوها، كناية عن حربه ومناواته. **وُقِصُوا دُونَهُ**: كسرت أعناقهم دون الوصول إلى ما يريدون.

عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وقُعُودُهُ أَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ»

من كتاب له عليه السلام إلىٰ أشعث بن قيس عامل أذربيجان :

«وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، ولَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وأَنْتَ مُسْتَرْعًىٰ لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، ولا تُخَاطِرَ إِلا بِوَثِيقَةٍ، وفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّىٰ تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، ولَعَلِّي أَلا أَكُونَ شَرَّ وُلاتِكَ لَكَ والسَّلامُ»

من رسائله عليه السلام إلىٰ معاوية:

«وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا؟ دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا، وإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَىٰ مَا لا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ، فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ، وخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ، وشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، ولا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ، وإِلا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ، قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وجَرَىٰ مِنْكَ مَجْرَىٰ الرُّوحِ والدَّمِ»

«وقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً، واخْرُجْ إِلَيَّ، وأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمُرِينُ عَلَىٰ قَلْبِهِ، والْمُغَطَّىٰ عَلَىٰ بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ، قَاتِلُ جَدِّكَ وأَخِيكَ وخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَىٰ عَدُوِّي، مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً، ولا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً، وإِنِّي لَعَلَىٰ الْمِنْهَاجِ الَّذِي

تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، ودَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ»

«وأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ؛ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، ولَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، ولا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ولا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، ولا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، ولا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، ولا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، ولا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، ولَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»

«وفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، ونَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ، ولَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ، إِمَّا رَغْبَةً وإِمَّا رَهْبَةً، عَلَىٰ حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، ولا عَلَىٰ نَفْسِكَ سَبِيلاً والسَّلامُ»

«وَأَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وتَتَلاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ، ونَكَصُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ، وتَوَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ، وعَوَّلُوا عَلَىٰ أَحْسَابِهِمْ، إِلا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ؛ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وهَرَبُوا إِلَى اللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَىٰ الصَّعْبِ، وعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ، فَاتَّقِ اللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، والآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ والسَّلامُ»

«فَإِنَّ الْبَغْيَ والزُّورَ يُوتِغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ ودُنْيَاهُ، ويُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوْا عَلَىٰ

الله فَأَكْذَبَهُمْ، فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، ويَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ، وقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَىٰ حُكْمِ الْقُرْآنِ، ولَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، ولَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، ولَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، والسَّلامُ»

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وابْتَلَىٰ فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، ولَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، ولا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وقَدِ ابْتَلانِي اللهُ بِكَ، وابْتَلاكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَىٰ الآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَىٰ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي ولا لِسَانِي، وعَصَيْتَهُ أَنْتَ وأَهْلُ الشَّامِ بِي، وأَلَّبَ عَالَمُكُمْ جَاهِلَكُمْ، وقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ، فَاتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ، ونَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، واصْرِفْ إِلَىٰ الآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وطَرِيقُكَ، واحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ؛ تَمَسُّ الأَصْلَ وتَقْطَعُ الدَّابِرَ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ؛ لَئِنْ جَمَعَتْنِي وإِيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارِ؛ لا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وهُوَخَيْرُ الْحَاكِمِينَ»

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وأَنْتُمْ عَلَىٰ مَا ذَكَرْتَ، مِنَ الأُلْفَةِ والْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وكَفَرْتُمْ، والْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وفُتِنْتُمْ، ومَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلا كَرْهاً، وبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الإِسْلامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ حِزْباً»

«فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ واشْتِمَالَهَا عَلَىٰ لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلابِيبَهَا، وأَغْشَتِ الأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا»

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله :

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وقَسْوَةً، واحْتِقَاراً وجَفْوَةً، ونَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، ولا أَنْ يُقْصَوْا ويُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، ودَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ والرَّأْفَةِ، وامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ والإِدْنَاءِ، والإِبْعَادِ والإِقْصَاءِ، إِنْ شَاءَ اللهُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد ابن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة وعبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها :

«وَإِنِّي أُقْسِمُ بِالله قَسَماً صَادِقاً؛ لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً، صَغِيراً أَوْ كَبِيراً؛ لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمْرِ، والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد أيضا :

«فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، واذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ، أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وتَطْمَعُ وأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ؛ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ، وإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ، وقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، والسَّلامُ»

ومن خطبة له عليه السلام في ذم أَهل العراق وفيها يوبّخهم على ترك القتال، والنصر يكاد يتمّ، ثم تكذيبهم له: أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ

الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ[١]، وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا[٢]، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَاللهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً، وَلكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمُ اللهُ تَعَالَىٰ! فَعَلَىٰ مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ! كَلاَّ وَاللهِ، ولكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَيْلُ امِّهِ، كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ، (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ). [خ٧١]

ومن كلام له في سُحْرَة[٣] اليوم الذي ضرب فيه: مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ[٤] لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ[٥]؟ فَقَالَ: «ادْعُ عَلَيْهِمْ»، فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي. [خ٧٠]

ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة :

«ولَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلا عَامِلُهُ، ولا يُجْزَىٰ جَزَاءَ الشَّرِّ إِلا فَاعِلُهُ، فَأَقِمْ عَلَىٰ مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، والنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لإِمَامِهِ، وإِيَّاكَ ومَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، ولا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، ولا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً،

---

(١) **أَمْلَصَتْ**: أسقطت، وألقت ولدها ميتاً.
(٢) **قَيِّمُهَا**: زوجه. **تَأَيُّمُهَا**: خلوها بدون زوج.
(٣) السُّحْرة: السّحَر الأعلىٰ من آخر الليل.
(٤) **سَنَحَ**: مرّ بي، ظهر لي. وهي رؤيا منام.
(٥) **الْأَوَدِ**: الاعوجاج. **اللَّدَدِ**: الخصومة.

والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر :

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، ومُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ الله نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً، وعَامِلاً كَادِحاً، وسَيْفاً قَاطِعاً، ورُكْناً دَافِعاً، وقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَىٰ لَحَاقِهِ، وأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، ودَعَوْتُهُمْ سِرّاً وجَهْراً، وعَوْداً وبَدْءاً، فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً، ومِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً، ومِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً، أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً، فَوالله لَوْ لا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَىٰ الْمَنِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَلا أَلْقَىٰ مَعَ هَؤُلاءِ يَوْماً وَاحِداً، ولا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً»

ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل :

«فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلالِ، وتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ حَرْبِي، كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي، وأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ؛ فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ، حَتَّىٰ أَلْقَىٰ اللهَ، لا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، ولا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، ولا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ ولَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، ولا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً، ولا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ، ولا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ، ولَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي..... صَبُورٌ عَلَىٰ رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَىٰ بِي كَآبَةٌ ..... فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

ومن كتاب له عليه السلام إلىٰ عمرو بن العاص :

«فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، ويُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ، يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ، ويَنْتَظِرُ مَا يُلْقَىٰ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وآخِرَتَكَ، ولَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ؛ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمَكِّنِّي اللهُ مِنْكَ ومِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وإِنْ تُعْجِزَا وتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلىٰ بعض عماله :

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ؛ بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ، فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، واعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلىٰ مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله علىٰ أردشيرخرة :

«بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وعَصَيْتَ إِمَامَكَ؛ أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وخُيُولُهُمْ، وأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ؛

فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً؛ لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً، ولَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، ولا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، أَلا وإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ[1] سَوَاءٌ، يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، ويَصْدُرُونَ عَنْهُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله :

«فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، واخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ، الْمَصُونَةِ لأَرَامِلِهِمْ وأَيْتَامِهِمْ؛ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَىٰ الْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَىٰ الْحِجَازِ، رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ لا أَبَا لِغَيْرِكَ حَدَرْتَ إِلَىٰ أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وأُمِّكَ! فَسُبْحَانَ الله أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَومَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ؟ أَيُّهَا الْمُعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولِي الأَلْبَابِ؛ كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وطَعَاماً وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وتَشْرَبُ حَرَاماً، وتَبْتَاعُ الإِمَاءَ، وتَنْكِحُ النِّسَاءَ؛ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ والْمَسَاكِينِ، والْمُؤْمِنِينَ والْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الأَمْوَالَ، وأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلادَ، فَاتَّقِ اللهَ، وارْدُدْ إِلَىٰ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ؛ لأُعْذِرَنَّ إِلَىٰ الله فِيكَ، ولأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلا دَخَلَ النَّارَ، ووَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ فَعَلا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا

(١) **الْفَيْءُ:** الغنيمة، والمراد به هنا الخراج وما يحويه بيت المال.

كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، ولا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا. وأُقْسِمُ بِالله رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلالٌ لِي، أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحِّ رُوَيْداً، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَىٰ، ودُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَىٰ، وعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ، بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، ويَتَمَنَّىٰ الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ، ولاتَ حِينَ مَناصٍ[1]»

ومن كتاب له عليه السلام إلىٰ بعض عماله :

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَىٰ إِقَامَةِ الدِّينِ، وأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ، وأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ، فَاسْتَعِنْ بِالله عَلَىٰ مَا أَهَمَّكَ، واخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، واعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لا تُغْنِي عَنْكَ إِلا الشِّدَّةُ، واخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ، والإِشَارَةِ والتَّحِيَّةِ، حَتَّىٰ لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، ولا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ، والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلىٰ عماله علىٰ الخراج :

«مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِلَىٰ أَصْحَابِ الْخَرَاجِ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَصَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا، واعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ، وأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ والْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ؛ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ، فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، واصْبِرُوا

(١) **لاتَ حِينَ مَنَاصٍ**: ليس الحين حين فرار.

لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، ووُكَلاءُ الأمَّةِ، وسُفَرَاءُ الأئِمَّةِ، ولا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ، ولا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، ولا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ ولا صَيْفٍ، ولا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، ولا عَبْداً، ولا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ، ولا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ ولا مُعَاهَدٍ؛ إِلا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاحاً يُعْدَىٰ بِهِ عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلامِ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الإِسْلامِ؛ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ، ولا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، ولا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، ولا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، ولا دِينَ اللهِ قُوَّةً، وأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، ولا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلىٰ أهل الأمصار يقص فيه ما جرىٰ بينه وبين أهل صفين :

«فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لا يُدْرَكُ الْيَوْمَ؛ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّىٰ يَشْتَدَّ الأمْرُ ويَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَىٰ عَلَىٰ وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ. فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ. فَأَبَوْا، حَتَّىٰ جَنَحَتِ الْحَرْبُ ورَكَدَتْ، ووَقَدَتْ نِيرَانُهَا وحَمِشَتْ، فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وإِيَّاهُمْ، ووَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وفِيهِمْ؛ أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَوْا، وسَارَعْنَاهُمْ إِلَىٰ مَا طَلَبُوا، حَتَّىٰ اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَالَّذِي أَنْقَذَهُ اللهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، ومَنْ لَجَّ وتَمَادَىٰ فَهُوَالرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَىٰ

رَأْسِهِ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان :

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ، وابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثَوَابَهُ، ومُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ، واعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ، لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً، ومِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، والاحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم :

«مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وعُمَّالِ الْبِلادِ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، وقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لله عَلَيْهِمْ، مِنْ كَفِّ الأذَى، وصَرْفِ الشَّذَا، وأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، إِلاّ مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ، فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ والتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ، فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ، ومَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، ومَا لا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلا بِالله وبِي فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ الله إِنْ شَاءَ اللهُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت، ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا الغارة:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ؛ لَعَجْزٌ حَاضِرٌ، ورَأْيٌ مُتَبَّرٌ، وإِنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا، وتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا ولا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا؛ لَرَأْيٌ شَعَاعٌ، فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ الْمُنْكِبِ، ولا مَهِيبِ الْجَانِبِ، وَلا سَادٍّ ثُغْرَةً، ولا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً، ولا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، ولا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، ومُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَلَمَّا مَضَى عليه السلام تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوالله مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي، ولا يَخْطُرُ بِبَالِي؛ أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، ولا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي، حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلامَ وأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ، حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وزَهَقَ، واطْمَأَنَّ الدِّينُ وتَنَهْنَهَ.

إِنِّي والله؛ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وهُمْ طِلاعُ الأرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ ولا اسْتَوْحَشْتُ؛ وإِنِّي مِنْ ضَلالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ والْهُدَىٰ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي، ويَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وإِنِّي إِلَىٰ لِقَاءِ الله لَمُشْتَاقٌ، وحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، ولَكِنَّنِي آسَىٰ أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الأمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ الله دُوَلاً، وعِبَادَهُ خَوَلاً، والصَّالِحِينَ حَرْباً، والْفَاسِقِينَ حِزْباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وجُلِدَ حَدّاً فِي الإسْلامِ، وإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّىٰ رُضِخَتْ لَهُ عَلَىٰ الإسْلامِ الرَّضَائِخُ، فَلَوْ لا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وتَأْنِيبَكُمْ، وجَمْعَكُمْ وتَحْرِيضَكُمْ، ولَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ ووَنَيْتُمْ.

أَلا تَرَوْنَ إِلَىٰ أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ؟ وإِلَىٰ أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ؟ وإِلَىٰ مَمَالِكِكُمْ تُزْوَىٰ؟ وإِلَىٰ بِلادِكُمْ تُغْزَىٰ؟ انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَىٰ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، ولا تَثَّاقَلُوا إِلَىٰ الأرْضِ، فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ، وتَبُوءُوا بِالذُّلِّ، ويَكُونَ نَصِيبُكُمُ الأخَسَّ، وإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأرِقُ، ومَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلىٰ قثم بن العباس وهو عامله علىٰ مكة :

«ولا يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ النَّاسِ سَفِيرٌ إِلا لِسَانُكَ، ولا حَاجِبٌ إِلا وَجْهُكَ، ولا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَىٰ قَضَائِهَا.

وانْظُرْ إِلَىٰ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ الله فَاصْرِفْهُ إِلَىٰ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ والْمَجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ والْخَلاتِ، ومَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا؛

لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا، ومُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ والْبادِ﴾ فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ، والْبَادِي الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَّقَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ، والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية :

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، ويَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً، ولَكَ مِنْهُمْ شَافِياً؛ فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى والْحَقِّ، وإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى والْجَهْلِ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، ومُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ ورَأَوْهُ، وسَمِعُوهُ ووَعَوْهُ، وعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ، فَبُعْداً لَهُمْ وسُحْقاً، إِنَّهُمْ واللهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ، ولَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللهُ لَنَا صَعْبَهُ، ويُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ ،والسَّلامُ»

ومن كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي، وخان في بعض ما ولاه من أعماله:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، ولا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ، ولَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً؛ لَجَمَلُ أَهْلِكَ وشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ ومَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ،

فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَىٰ لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَىٰ جِبَايَةٍ»

لمّا هرب مَصْقَلة بنُ هُبيرة الشيباني إلىٰ معاوية، وكان قد ابتاع سَبْيَ بني ناجية من عامل أميرالمؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلمّا طالبه بالمال خاس به[1] وهرب إلىٰ الشام فقال عليه السلام: «قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ! فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّىٰ أَسْكَتَهُ، وَلاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّىٰ بَكَّتَهُ، وَلَو أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ، وَانْتَظَرْنا بِمَالِهِ وُفُورَهُ». [خ٤٤]

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار، وهو يخصف نعله[2]، فقال لي: «مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟» فقلت: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: «واللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً». [خ٣٣]

ومر عليه السلام بقذر علىٰ مزبلة فقال: «هَذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ» . وروي في خبر آخر أنه قال: «هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالأَمْسِ»

ومن كلام له عليه السلام لما عوتب علىٰ التسوية في العطاء: «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟ واللهِ لا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ[3]، ومَا أَمَّ نَجْمٌ

(١) **خاس به:** خانه وغدر به

(٢) **يخصف نعله:** يزينه بالخرز.

(٣) **لا أَطُورُ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ:** لا أمر به ولا أقاربه. **مَا سَمَرَ سَمِيرٌ:** أي مدىٰ الدهر.

فِي السَّمَاءِ نَجْماً، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ؟»

«وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ، وأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ، وحَلَقِ الضَّيْمِ[1]، شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وشَهِدَهُ الْبَدَنُ؛ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ». [خ١٥٩]

ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري جوابا في أمر الحكمين، ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب «المغازي»:

«فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا، ونَطَقُوا بِالْهَوَى، وإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً؛ اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وأَنَا أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً، ولَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمْ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وأُلْفَتِهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وكَرَمَ الْمَآبِ، وسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ والتَّجْرِبَةِ، وإِنِّي لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ، وأَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ، فَدَعْ مَا لا تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ، والسَّلامُ»

وقال عليه السلام في ذكر خباب بن الأرت: «يَرْحَمُ اللهُ خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وهَاجَرَ طَائِعاً، وقَنِعَ بِالْكَفَافِ، ورَضِيَ عَنِ اللهِ، وعَاشَ مُجَاهِداً»

وقال عليه السلام: «لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا

(١) **رِبَقِ**: جمع رِبْقة، وهي الحبل يربط به العنق. **الضَّيْمِ**: الظلم.

أَبْغَضَنِي، ولَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَىٰ الْمُنَافِقِ عَلَىٰ أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: "يَا عَلِيُّ لا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، ولا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ"»

وقال عليه السلام لرجل أفرط في الثناء عليه، وكان له متهما: «أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ»

وحكىٰ عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «كَانَ فِي الأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ الله، وقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، أَمَّا الأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَرَسُولُ الله صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، وأَمَّا الأَمَانُ الْبَاقِي فَالاسْتِغْفَارُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

سمع عليه السلام رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال: «نَوْمٌ عَلَىٰ يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةٍ فِي شَكٍّ»

وقال عليه السلام –ومدحه قوم في وجهه– فقال: «اللهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، اللهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ، واغْفِرْ لَنَا مَا لا يَعْلَمُونَ»

وقال عليه السلام –وقد توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين– وكان أحب الناس إليه: «لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ»

معنىٰ ذلك: أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلا

بالأتقياء الأبرار، والمصطفين الأخيار، وهذا مثل قوله عليه السلام:

«مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً».

وقد يؤول ذلك علىٰ معنىٰ آخر ليس هذا موضع ذكره

وقيل له عليه السلام: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَىٰ بِبَقَائِهِ، ويَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، ويُؤْتَىٰ مِنْ مَأْمَنِهِ؟»

وسُئِلَ عليه السلام عن قريش فقال: «أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ، نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ، والنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ، وأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً، وأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا، وأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وهُمْ أَكْثَرُ وأَمْكَرُ وأَنْكَرُ، ونَحْنُ أَفْصَحُ وأَنْصَحُ وأَصْبَحُ»

وقال عليه السلام: «وَا عَجَبَاهْ! أَتَكُونُ الْخِلافَةُ بِالصَّحَابَةِ والْقَرَابَةِ؟»

قال الرضي وروي له شعر في هذا المعنىٰ

فإن كنت بالشورىٰ ملكت أمورهم.....فكيف بهذا والمشيرون غيب

وإن كنت بالقربىٰ حججت خصيمهم.....فغيرك أولىٰ بالنبي وأقرب

وقال عليه السلام –وقد قال له طلحة والزبير: نبايعك علىٰ أنا شركاؤك في هذا الأمر– فقال: «لا؛ ولَكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ والاسْتِعَانَةِ، وعَوْنَانِ عَلَىٰ الْعَجْزِ والأَوَدِ»

وقال عليه السلام: «واللهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ

مَجْذُومٍ»

وقال عليه السلام –لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة، وأدركه الناس وقالوا: يا أمير المؤمنين؛ نحن نكفيك. فقال: «مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ! فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا، وإِنَّنِي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وهُمُ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وهُمُ الْوَزَعَةُ»

وأتاه الحارث بن حوط فقال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السلام: «يَا حَارِثُ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ، ولَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ، فَحِرْتَ، إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، ولَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ» ، فقال الحارث فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر. فقال عليه السلام: «إِنَّ سَعِيداً وعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ ولَمْ يَخْذُلا الْبَاطِلَ»

وروي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر. وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهم عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ والأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ؛ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ، والْفَيْءُ[1]؛ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، والْخُمُسُ؛ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، والصَّدَقَاتُ؛ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وكَانَ حَلْيُ

(١) **الْفَيْءُ:** الغنيمة، والمراد به هنا الخراج وما يحويه بيت المال.

الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ فَتَرَكَهُ اللهُ عَلَىٰ حَالِهِ، ولَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، ولَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ ورَسُولُهُ». فقال له عمر: لولاك لافتضحنا. وترك الحلي بحاله.

وروي أنه رفع إليه عليه السلام رجلان سرقا من مال الله، أحدهما عبد من مال الله، والآخر من عروض الناس. فقال عليه السلام: «أَمَّا هَذَا فَهُوَمِنْ مَالِ الله ولا حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وأَمَّا الآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ، فَقَطَعَ يَدَهُ»

وقال عليه السلام: «لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ»

وقال عليه السلام علىٰ قبر رسول الله صلىٰ الله عليه وآله سلم ساعة دفنه: «إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلا عَنْكَ، وإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلا عَلَيْكَ، وإِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ، وإِنَّهُ قَبْلَكَ وبَعْدَكَ لَجَلَلٌ»

سئل عليه السلام عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال عليه السلام: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ.

وسُئل عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق علىٰ كثرتهم؟ فقال عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ. فقيل يحاسبهم ولا يرونه؟ فقال عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ ولا يَرَوْنَهُ.

وقال عليه السلام لأنس بن مالك وقد كان بعثه إلىٰ طلحة الزبير لما جاء إلىٰ البصرة يذكرهما شيئا مما سمعه من رسول الله صلىٰ الله عليه وآله سلم في

معناهما، فلوىٰ عن ذلك، فرجع إليه فقال: إني نسيت ذلك الأمر. فقال عليه السلام: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ اللهُ بِهَا بَيْضَاءَ لامِعَةً لا تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ.

قال الرضي: يعني البرص. فأصاب أنسا هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرىٰ إلا مبرقعا.

وقال عليه السلام لكاتبه عبد الله بن أبي رافع: «أَلِقْ دَوَاتَكَ، وأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وقَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ»

وقال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتىٰ اختلفتم فيه! فقال عليه السلام له: «إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لا فِيهِ، ولَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّىٰ قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ. قالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»

وقيل له: بأي شيئ غلبت الأقران؟ فقال عليه السلام: مَا لَقِيتُ رَجُلاً إِلا أَعَانَنِي عَلَىٰ نَفْسِهِ.

قال الرضي يومئ بذلك إلىٰ تمكن هيبته في القلوب

وقال عليه السلام لعبد الله بن العباس وقد أشار إليه قي شيء لم يوافق رأيه: لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وأَرَىٰ فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي.

وروي أنه عليه السلام لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشباميين فسمع بكاء النساء علىٰ قتلىٰ صفين وخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه، فقال عليه السلام له: أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَىٰ مَا أَسْمَعُ أَلا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا

الرَّنِينِ؟!، وأقبل حرب يمشي معه وهو عليه السلام راكب، فقال عليه السلام : ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي ومَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ.

قالوا: لمّا انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: ما قالت الانصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟ فقال عليه السلام: لَوْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثم قال: عليه السلام: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله. فقال عليه السلام: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ. [خ٦٧]

وقال عليه السلام وقد مر بقتلى الخوارج يم النهروان: بُؤْساً لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ. فقيل له: من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: «الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، والأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالأَمَانِيِّ، وفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، ووَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ»

وقال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر: «إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ؛ إِلا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً، ونَقَصْنَا حَبِيباً»

وهنأ بحضرته رجل رجلا بغلام ولد له، فقال له: ليهنئك الفارس. فقال عليه السلام: «لا تَقُلْ ذَلِكَ، ولَكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ،

وبَلَغَ أَشُدَّهُ، ورُزِقْتَ بِرَّهُ»

وبنىٰ رجل من عماله بناء فخماً، فقال عليه السلام: «أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُءُوسَهَا. إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَىٰ»

وقيل له عليه السلام: لو سد علىٰ رجل باب بيته، وترك فيه، من أين كان يأتيه رزقه؟ فقال عليه السلام: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ.

وقال عليه السلام لعمار بن ياسر -وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما: «دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وعَلَىٰ عَمْدٍ لَبَسَ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ»

وروي أنه عليه السلام كان جالساً في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: «إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ» ، فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: رُوَيْداً إِنَّمَا هُوَسَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ.

وسئل عليه السلام: أيهما أفضل العدل أو الجود؟ فقال عليه السلام: «الْعَدْلُ يَضَعُ الأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، والْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، والْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، والْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وأَفْضَلُهُمَا»

وقيل له عليه السلام: لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين؟؟ فقال عليه السلام: «الْخِضَابُ زِينَةٌ، ونَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ» يريد وفاة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله.

وسئل عليه السلام عن قول الرسول صلىٰ الله عليه وآله: "غَيِّرُوا الشَّيْبَ ولا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ" فقال عليه السلام: «إِنَّمَا قَالَ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ ذَلِكَ والدِّينُ قُلٌّ، فَأَمَّا الآنَ وقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ، وضَرَبَ بِجِرَانِهِ(١)؛ فَامْرُؤٌ ومَا اخْتَارَ»

«وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنِّي، ولَكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ، ولَوْ لا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَىٰ النَّاسِ، ولَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ، ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، واللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، ولا أُسْتَغْمَزُ(٢) بِالشَّدِيدَةِ». [خ٢٠٠]

لمّا عزم علىٰ حرب الخوارج وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهروان فقال عليه السلام: «مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ(٣)، وَاللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ». [خ٥٩]

ولما قتل الخوارج فقيل له: "يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم" فقال عليه السلام: «كَلا واللهِ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ، وقَرَارَاتِ النِّسَاءِ(٤)، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ(٥)، حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلابِينَ». [خ٦٠]

---

(١) **جِرَانَهُ:** جِران البعير ـ بالكسر ـ: مقدّمُ عنقه من مذبحه إلى مَنْحَره؛ وضرب الجِران كناية عن التمكّن، يقال: ضرب بجرانه إذا استقر به المكان.

(٢) **لا أُسْتَغْمَزُ:** لا أُستضعف بالقوّة.

(٣) **دُونَ النُّطْفَةِ:** بقرب النهر وهو نهر الفرات.

(٤) **قَرَارَاتِ النِّسَاءِ:** أرحام النساء.

(٥) المعنىٰ: كلما ظهر لهم تمكين وسلطان قيّض الله لهم من أهل الحق من يستأصل شأفتهم.

وبعد أن أظفره الله علىٰ أصحاب الجمل قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرىٰ ما نصرك الله به علىٰ أعدائك. فقال له عليه السلام: أَهَوَىٰ أَخِيكَ مَعَنَا[١]؟ فقال: نعم. قال: «فَقَدْ شَهِدَنَا. ولَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ، وأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ[٢]، ويَقْوَىٰ بِهِمُ الإِيمَانُ». [خ١٢]

ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة: «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ، ويَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لا يَمُتَّانِ إِلَىٰ اللهِ بِحَبْلٍ، ولا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ، واللهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ؛ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا، ولَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَىٰ هَذَا»

«ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، واحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ، وتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ[٣]، واعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وظُهُورِ كَمِينِهَا، وانْتِصَابِ قُطْبِهَا[٤]، ومَدَارِ رَحَاهَا، تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وتَئُولُ إِلَىٰ فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ، شِبَابُهَا[٥] كَشِبَابِ الْغُلامِ، وآثَارُهَا كَآثَارِ السَّلامِ، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، ويَتَكَالَبُونَ عَلَىٰ جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ، وعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ،

---

(١) **أَهَوَىٰ أَخِيكَ مَعَنَا**: هل يميل إلىٰ محبتنا والقول بمثل قولنا؟، كما هو شأن المنتمين للأحزاب اليوم.

(٢) **سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ**: يجود بهم الزمان بكثرة كما يجود الأنف بالدم إذا رعف.

(٣) **بَوَائِقَ النِّقْمَةِ**: الدواهي المهلكة. **قَتَامِ الْعِشْوَةِ**: القتام: الغبرة، والعشوة: ركوب الأمر على غير بيان.

(٤) **كَمِينِهَا**: ما خفي من أمرها. **انْتِصَابُ قُطْبِهَا**: قيام أصلها، واستواء أمرها.

(٥) **شِبَابُهَا**: بداياتها في عنفوان وشدة.

والْقَائِدُ مِنَ الْمُقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ[١] بِالْبَغْضَاءِ، ويَتَلاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ[٢]، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلامَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[٣]، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَىٰ فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ[٤]! قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا[٥]! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ[٦]، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ[٧]، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ، يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ[٨]، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ! تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلامُ! بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ! منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[٩]، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يَخْتِلُونَ[١٠] بِعَقْدِ الْإِيمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ». [خ١٥١]

---

(١) **يَتَزَايَلُونَ**: يتفارقون.

(٢) **الرَّجُوفِ**: التي ترجف لها القلوب وتضطرب. **الزَّحُوفِ**: شديدة الزحف.

(٣) **نُجُومِهَا**: ظهورها.

(٤) **يَتَكَادَمُونَ**: يعض بعضهم بعضاً. **الْعَانَةِ**: جماعة حمر الوحش.

(٥) **مِسْحَلِهَا**: المسحل: المبرد. **تَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا مِسْحَلِهَا**: تهشمهم بصدرها.

(٦) **الْوُحْدَانُ**: المتفرقون.

(٧) **عَبِيطَ الدِّمَاءِ**: الطري منها. **تَثْلِمُ**: تكسر. **مَنَارَ الدِّينِ**: أعلامه.

(٨) **الْأَكْيَاسُ**: العقلاء والفضلاء. **الْأَرْجَاسُ**: السفهاء والفساق.

(٩) **مَطْلُولٍ**: مهدور الدم.

(١٠) **يَخْتِلُونَ**: يخدعون الناس.

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، ولَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ؛ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، ولَمْ يَقْوَمَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ولَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ[1] مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً، بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وقَطَعْتُمُ الأَدْنَىٰ، ووَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ. واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وكُفِيتُمْ مَئُونَةَ الاعْتِسَافِ، ونَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الأَعْنَاقِ». [خ١٦٦]

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ، إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ، ويَبْلَىٰ مَنْ يَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبَالٍ، فَلا تَقُولُوا بِمَا لا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، واعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وهُوَ أَنَا»

ومن خطبة له عليه السلام لما عزموا علىٰ بيعة عثمان: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، ووالله لأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلا عَلَيَّ خَاصَّةً؛ الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِهِ، وزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ[2]». [خ٧٤]

ومن كلام له عليه السلام لما أراده الناس علىٰ البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه: «دَعُونِي والْتَمِسُوا غَيْرِي. فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ، لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، ولا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، والْمَحَجَّةَ قَدْ

(١) **التِّيهُ**: الحيرة، والذهاب عن الحق.

(٢) **زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ**: أصل الزخرف: الذهب وكذلك الزبرج ـ بكسرتين بينهما سكون ـ ثم أُطلق علىٰ كل مموّه مُزَوّر، وأغلب ما يقال الزِّبْرِج علىٰ الزينة من وَشْي أوجوهر.

تَنكَّرَتْ[١]. واعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، ولَمْ أُصْغِ إِلَىٰ قَوْلِ الْقَائِلِ وعَتْبِ الْعَاتِبِ، وإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ، ولَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً». [خ٩٢]

لما غلب أصحاب معاوية علىٰ شريعة الفرات بصفين ومنعوا أصحابه الماء قال عليه السلام لأصحابه: «قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ[٢]، فَأَقِرُّوا عَلَىٰ مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلاَ وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ[٣]، حَتَّىٰ جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ[٤]». [خ٥١]

وقال عليه السلام –وقد لقيه عند مسيره إلىٰ الشام دهاقين الأنبار فترجلوا له، واشتدوا بين يديه فقال: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فقالوا: خلق نعظم به أمراءنا. فقال: «واللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُمْ، وإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، ومَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النَّارِ»

وقال عليه السلام لبعض أَصحابه في علّة اعتلّها: «جَعَلَ اللهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ

---

(١) **أَغَامَتْ:** تغطت بالغيم فحجبت الشمس عن الرؤية. **الْمَحَجَّةَ:** الطريق الواضحة. **تَنَكَّرَتْ:** تغيرت والتبست معالمها. أراد بذلك ما وقع من اللبس في الدين، واختلاط الحق بالباطل.

(٢) **اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ:** دعوكم لقتالهم.

(٣) **لُمَّةً:** جماعة قليلة. **عَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ:** عمىٰ عليهم الخبر، والمراد أنه خدعهم ولبَّس عليهم أمورهم.

(٤) **الْمَنِيَّةِ:** الموت.

حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لا أَجْرَ فِيهِ، ولَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، ويَحُتُّهَا حَتَّ الأَوْرَاقِ، وإِنَّمَا الأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، والْعَمَلِ بِالأَيْدِي والأَقْدَامِ، وإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ والسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ»

قال الرضي وأقول صدق عليه السلام إن المرض لا أجر فيه لأنه ليس من قبيل ما يستحق عليه العوض لأن العوض يستحق علىٰ ما كان في مقابلة فعل الله تعالىٰ بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري مجرىٰ ذلك والأجر والثواب يستحقان علىٰ ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بينه عليه السلام كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب

- «إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ» ثم تلا: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآيَةَ، ثم قال: «إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، وإِنَّ عَدُوَمُحَمَّدٍ مَنْ عَصَىٰ اللهَ وإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ»

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون» فقال: «إِنَّ قَوْلَنَا: إِنَّا للهِ؛ إِقْرَارٌ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ، وقَوْلَنَا: وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ؛ إِقْرَارٌ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ»

فِي صِفَةِ الْغَوْغَاءِ:

«هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا» وفي رواية: «هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا» فقيل: قد علمنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة

افتراقهم؟ قال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَىٰ مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَىٰ بِنَائِهِ، والنَّسَّاجِ إِلَىٰ مَنْسَجِهِ، والْخَبَّازِ إِلَىٰ مَخْبَزِهِ.

وقال«عليه السلام»وقد أتي بجان ومعه غوغاء: لا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لا تُرَىٰ إِلا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ.

وقيل له: صف لنا العاقل. فقال عليه السلام: هُوَالَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ فقيل: فصف لنا الجاهل. قال: قد فعلت.

قال الرضي يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكأن ترك صفته صفة له إذ كان بخلاف وصف العاقل

وقال عليه السلام -وقد سئل عن معنىٰ قولهم: «لا حول ولا قوة إلا بالله»: «إِنَّا لا نَمْلِكُ مَعَ الله شَيْئاً، ولا نَمْلِكُ إِلا مَا مَلَّكَنَا، فَمَتَىٰ مَلَّكَنَا مَا هُوَأَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا، ومَتَىٰ أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا»

- وقال عليه السلام: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ إِلا أَرْبَعُ أَصَابِعَ» فسئل عليه السلام عن معنىٰ قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: «الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، والْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ»

- وقال عليه السلام فِي الَّذِينَ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ مَعَهُ: «خَذَلُوا الْحَقَّ ولَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ».

- مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّىٰ نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْئُومُ عَبْدُ الله.

- وقال عليه السلام: «لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وإِلا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإِبِلِ، وإِنْ طَالَ السُّرَىٰ».

قال الرضي وهذا من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه أنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء وذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما

** سُئل عليه السلام عن القدر، فقال: «طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلا تَسْلُكُوهُ، وبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلا تَلِجُوهُ، وسِرُّ اللهِ فَلا تَتَكَلَّفُوهُ»

** وقال عليه السلام لرجل رآه يسعىٰ علىٰ عدوه بما فيه إضرار نفسه: «إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ»

***

سلسلة روائع نهج البلاغة (٧)

الوصايا

جمعها

عبد الرحمن محمد عبدالملك المروني

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



من وصية له عليه السلام لابنه الحسن:

«يَا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً وأَرْبَعاً، لا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ، وأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وأَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ، يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ، وإِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وإِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وإِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ ويُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ»

من وصيته عليه السلام لابنه الحسن:

«لا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تَخَلِّفُهُ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ الله، فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ الله، فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ولَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ»

وفي رواية: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وهُوَصَائِرٌ إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ، وإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ الله؛ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ الله؛ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، ولَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ، ولا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى

ظَهْرِكَ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَىٰ رَحْمَةَ اللهِ، ولِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللهِ»

من وصية له عليه السلام لكميل بن زياد:

«يَا كُمَيْلُ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، ويُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَنَائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ؛ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلا وخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ؛ جَرَىٰ إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّىٰ يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الإِبِلِ»

وصيته عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

«أُوصِيكُمَا بِتَقْوَىٰ اللهِ وأَلا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وإِنْ بَغَتْكُمَا ولا تَأْسَفَا عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا وقُولا بِالْحَقِّ واعْمَلا لِلأَجْرِ وكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وِلِلْمَظْلُومِ عَوْناً أُوصِيكُمَا وجَمِيعَ وَلَدِي وأَهْلِي ومَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَىٰ اللهِ ونَظْمِ أَمْرِكُمْ وصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه يَقُولُ صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاةِ والصِّيَامِ اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ فَلا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ ولا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ واللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ لا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ واللهَ اللهَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ واللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا واللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ وأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ وإِيَّاكُمْ والتَّدَابُرَ والتَّقَاطُعَ لا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»

ثم قال : «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلا لا تَقْتُلُنَّ بِي إِلا قَاتِلِي انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ولا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه يَقُولُ إِيَّاكُمْ والْمُثْلَةَ ولَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»

ومن كلام له عليه السلام قاله قبل موته علىٰ سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله :

«أَيُّهَا النَّاسُ؛ كُلُّ امْرِئٍ لاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ؛ الأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ، والْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ، كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ؟ فَأَبَىٰ اللهُ إِلا إِخْفَاءَهُ[1]، هَيْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ. أَمَّا وَصِيَّتِي؛ فَاللهَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، ومُحَمَّداً صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وخَلاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا[2]. أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وغَداً مُفَارِقُكُمْ، غَفَرَ اللهُ لِي ولَكُمْ. إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ[3] فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ، وإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، ومَهَابِّ رِيَاحٍ، وتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا، وعَفَا فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا[4]. وإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً، جَاوَرَكُمْ

---

(١) يعني بذلك أمر مقتله فقد كان الرسول صلىٰ الله عليه وآله أخبره بأنه سيقتل، وقال له: «أشقىٰ الناس اثنان: عاقر الناقة أحيمر ثمود، والذي يضربك علىٰ هذه فيبل منها هذه» يشير إلىٰ لحيته.

(٢) **خَلاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا**: برئتم من العيب مالم تميلوا عن الحق.

(٣) **تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ**: يقصد بثبات الوطأة معافاته من جراحه.

(٤) **اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا**: تقشَّع ما كان منها –أي الغمام– مجتمعاً. **عَفَا فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا**: انطمس أثر ما خطّت في الأرض.

بَدَنِي أَيَّاماً، وسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلاءً[١]، سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ، لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي، وخُفُوتُ إِطْرَاقِي، وسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ، والْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ[٢] لِلتَّلاقِي، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، ويُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي». [خ١٤٩]

رواية أخرىٰ: «وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئاً ومُحَمَّدٌ صلّىٰ اللهُ علَيهِ وآلِهِ فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وخَلاكُمْ ذَمٌّ أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ والْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وغَداً مُفَارِقُكُمْ إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي وإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي وإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وهُوَلَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ والله مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ ولا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ ومَا كُنْتُ إِلا كَقَارِبٍ وَرَدَ وطَالِبٍ وَجَدَ وما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرارِ»

من وصاياه لعماله علىٰ الأمصار:

** لِيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ للهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً.

** إِذَا قُمْتَ فِي صَلاتِكَ لِلنَّاسِ فَلا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً، ولا مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ، ولَهُ الْحَاجَةُ.

** صَلُّوا بِهِمْ صَلاةَ أَضْعَفِهِمْ ولا تَكُونُوا فَتَّانِينَ.

---

(١) **خَلاءً**: خالية لا روح فيها.

(٢) **مُرْصِدٍ**: منتظر للتلاقي، يعني في الآخرة، يشير عليه السلام إلىٰ أنهم سيلحقونه فلا يأسفوا علىٰ موته.

** اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وبِلادِهِ؛ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبِقَاعِ والْبَهَائِمِ.

** اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ، واحْذَرِ الْعَسْفَ والْحَيْفَ، فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلاءِ، والْحَيْفَ يَدْعُو إِلَىٰ السَّيْفِ.

** مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، والاحْتِسَابُ عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ.

** إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَىٰ ضَعْفِكَ، ومَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

** رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ.

** سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ، ومَجْلِسِكَ، وحُكْمِكَ.

** إِيَّاكَ والْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

** اكْظِمِ الْغَيْظَ، وتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ، واحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ، واصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ؛ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ.

** اسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ، ولا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكَ، ولْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ.

** احْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ، ويُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ.

** اسْكُنِ الأَمْصَارَ الْعِظَامَ؛ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، واحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ،

والجُفَاءِ، وقِلَّةَ الأعْوَانِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ.

** لا يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ النَّاسِ سَفِيرٌ إلا لِسَانُكَ، ولا حَاجِبٌ إلا وَجْهُكَ.

** لا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا؛ لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَىٰ قَضَائِهَا.

** امْلِكْ هَوَاكَ، وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ.

** فَأَعْطِهِمْ -أي الرعيّة- مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَىٰ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وصَفْحِهِ.

** لا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهُ لا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، ولا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ.

** لا تَنْدَمَنَّ عَلَىٰ عَفْوٍ، ولا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، ولا تُسْرِعَنَّ إِلَىٰ بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً.

** إِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً؛ فَانْظُرْ إِلَىٰ عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَىٰ مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ.

** أَنْصِفِ اللهَ، وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، ومِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، ومَنْ لَكَ فِيهِ

هَوًىٰ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

** لْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وأَجْمَعُهَا لِرِضَىٰ الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَىٰ الْخَاصَّةِ، وإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَىٰ الْعَامَّةِ.

** لْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ؛ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ.

** لا تَعْجَلَنَّ إِلَىٰ تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

** لا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، ويَعِدُكَ الْفَقْرَ، ولا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُورِ، ولا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ والْجُبْنَ والْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّىٰ، يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ.

** إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، ومَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ.

** لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ؛ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

** الْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ والصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَىٰ أَلا يُطْرُوكَ ولا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

** لا يَكُونَنَّ المُحْسِنُ والمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ، وتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَىٰ الإِسَاءَةِ، وأَلْزِمْ كُلاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

** إِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ؛ لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ، وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ؛ لَمَنْ سَاءَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ.

** لا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الأُمَّةِ، واجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ، وصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، ولا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، والْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

** أَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، ومُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ؛ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلادِكَ، وإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

** وَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ ولِرَسُولِهِ ولإِمَامِكَ، وأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، ويَسْتَرِيحُ إِلَىٰ الْعُذْرِ، ويَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، ويَنْبُو عَلَىٰ الأَقْوِيَاءِ، ومِمَّنْ لا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، ولا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

** اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ، ولا تَضُمَّنَّ بَلاءَ امْرِئٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ، ولا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلائِهِ.

** لا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، ولا ضَعَةُ

امْرِئٍ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

** اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، ولا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، ولا يَتَمَادَىٰ فِي الزَّلَّةِ، ولا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ[1] إِلَىٰ الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، ولا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَىٰ طَمَعٍ، ولا يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، وأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وأَصْبَرَهُمْ عَلَىٰ تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، ولا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ.

** وتَوَخَّ مِنْهُمْ -أي العمال- أَهْلَ التَّجْرِبَةِ والْحَيَاءِ؛ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، والْقَدَمِ فِي الإِسْلامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاقاً، وأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً، وأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً.

** أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ -أي العمال- الأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَىٰ اسْتِصْلاحِ أَنْفُسِهِمْ، وغِنًىٰ لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.

** لِيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الْخَرَاجِ، لأَنَّ ذَلِكَ لا يُدْرَكُ إِلا بِالْعِمَارَةِ، ومَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلادَ، وأَهْلَكَ

(١) **الْفَيْءُ:** الرجوع.

الْعِبَادَ، ولَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إلا قَلِيلاً.

** لا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمُؤْنَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ، وتَزْيِينِ وِلايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ.

** لا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ، والاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، ويَعْظُمُ الصَّغِيرُ، ويَقْبُحُ الْحَسَنُ، ويَحْسُنُ الْقَبِيحُ، ويُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ.

** لا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ، ولله فِيهِ رِضًا، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، ورَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْناً لِبِلادِكَ.

** لَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ.

** إِيَّاكَ والدِّمَاءَ وسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، ولا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، ولا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وانْقِطَاعِ مُدَّةٍ؛ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا.

** لا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ ويُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ ويَنْقُلُهُ.

** إِيَّاكَ والإعْجَابَ بِنَفْسِكَ، والثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وحُبَّ الإطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ

مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.

** إِيَّاكَ والْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ.

** ضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ.

** امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وسَوْرَةَ حَدِّكَ، وسَطْوَةَ يَدِكَ، وغَرْبَ لِسَانِكَ، واحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ؛ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ؛ حَتَّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ؛ فَتَمْلِكَ الاخْتِيَارَ.

** لا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ ولَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ

** لا تَكُونَنَّ عَلَىٰ الإِسَاءَةِ أَقْوَىٰ مِنْكَ عَلَىٰ الإِحْسَانِ.

** لا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ.

** أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ.

** إِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ.

** إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

** إِيَّاكَ والتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَىٰ السَّقَمِ،

والْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ.

** اجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّـهُ أَحْـرَىٰ أَلا يَتَوَاكَلُـوا فِي خِدْمَتِكَ.

** من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه حين قلده مصر: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَـكَ، وآسِ بَيْـنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ؛ حَتَّىٰ لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، ولا يَيْأَسَ الضُّـعَفَاءُ مِـنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّـغِيرَةِ مِـنْ أَعْمَالِكُـمْ، والْكَبِيرَةِ، والظَّاهِرَةِ، والْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وإِنْ يَعْفُ فَهُوَأَكْرَمُ»

** من كتاب كتبه عليه السلام لما استخلف إلى أمراء الأجناد: «أَمَّـا بَعْـدُ؛ فَـإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّـاسَ الْحَـقَّ فَاشْـتَرَوْهُ، وأَخَـذُوهُمْ بِالْبَاطِـلِ فَاقْتَدَوْهُ»

** من وصية له عليه السلام لعبـد الله بـن العبـاس لمـا بعثـه للاحتجـاج عـلى الخوارج: «لا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ ويَقُولُـونَ... ولَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً».

من وصاياه لمن كان يرسلهم من الجيوش للقتال:

** خُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَـبَّ لَظَاهَـا، وعَـلا سَـنَاهَا، واسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَىٰ إِلَى النَّصْرِ.

** وَاللهُ مُسْتأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمارٍ مَحْدُودٍ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ[١]، فَشدُّوا عُقَدَ الْمآزِرِ[٢]، وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ[٣]. وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ، وَمَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وأَمحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!

** أَبْلُوا فِي سَبِيلِ الله مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا.

** اعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ[٤].

** الْعَارُ وَرَاءَكُمْ والْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ[٥].

** «مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ؛ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ[٦]، وعَضُّوا عَلَىٰ النَّوَاجِذِ[٧]، فَإِنَّهُ أَنْبَىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ[١]، وأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ[٢]، وقَلْقِلُوا[٣]

---

(١) **مُسْتأْدِيكُمْ شُكْرَهُ**: طالب منكم أداء شكره. **مُمْهِلُكُمْ**: يمنحكم مهلة. **مِضْمارٍ**: ميدان سباق. **سَبَقَهُ**: السَّبَق: هو الخطر يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم، وهو هنا الجنة.

(٢) **شدُّوا عُقَدَ الْمآزِرِ**: المآزر: جمع مئزر، وهو ما يستر العورة من الثياب، وشده: كناية عن الجد والتشمير.

(٣) **اطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ**: أي ما فضل من مآزركم يلتف على أقدامكم، فاطووه حتّى تَخِفّوا في العمل ولا يعوقكم شيء عن الإسراع في عملكم.

(٤) قال الشريف الرضي: ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لأن ذلك يفت في عضد الحمية ويقدح في معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الإبعاد في الغزو فكل من امتنع من شيء فقد عذب عنه والعاذب والعذوب الممتنع من الأكل والشرب.

(٥) يعني الفرار من المعركة.

(٦) **اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ**: اجعلوها شعاركم، والشعار: هو ما يلي البدن من اللباس. **تَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ**: اجعلوها جلبابكم، والجلباب: هو ما تضعه المرأة فوق ثيابها.

(٧) **النَّوَاجِذِ**: جمع ناجذ، وهو الأخير من الأضراس، وعض الناجذ كناية عن الصبر عند تحمل المكاره.

السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، والْحَظُوا الْخَزْرَ، واطْعُنُوا الشَّزْرَ[٤]، ونَافِحُوا بِالظُّبَىٰ[٥]، وصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا. واعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ الله، ومَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ، واسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ[٦]، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الأَعْقَابِ[٧]، ونَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً[٨]، وعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ، والرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ[٩]، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ[١٠]، وقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ[١١] رِجْلاً، فَصَمْداً صَمْداً[١٢]، حَتَّىٰ يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ، وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ، واللهُ مَعَكُمْ ولَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ[١٣]». [خ٦٦]

** «لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَءُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَىٰ حُجَّةٍ، وتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ

---

(١) **أَنْبَىٰ لِلسُّيُوفِ**: أبعد عنها، والمراد أن ذلك يحمي من ضربات السيوف. **الْهَامِ**: الرأس.

(٢) **اللَّأْمَةَ**: الدرع. وإكمالها بالزيادة عليها بما يحمي الرأس والأطراف. وقد يراد بها آلات الحرب.

(٣) **قَلْقِلُوا**: من القلقلة وهو التحريك.

(٤) **الْخَزْرَ**: النظر من أحد الشقين، وفيه دلالة على الغضب والحمية. **الشَّزْرَ**: الطعن يميناً ويساراً.

(٥) **نَافِحُوا بِالظُّبَىٰ**: كافحوا ودافعوا عن أنفسكم بأطراف السيوف.

(٦) **الْكَرَّ**: الزحف نحو العدو. **الْفَرِّ**: الفرار.

(٧) **الأَعْقَابِ**: الذرية.

(٨) **سُجُحاً**: سهلاً.

(٩) **السَّوَادِ الأَعْظَمِ**: حيث تجمع الجيش بكثرة. **الرِّوَاقِ**: الفسطاط (الخيام)، **الْمُطَنَّبِ**: المشدود بالحبال.

(١٠) **ثَبَجَهُ**: وسطه. **كِسْرِهِ**: الجوانب التي ينكسر فيها الجيش ويفر إليها المنهزمون منهم.

(١١) **الْوَثْبَةِ**: القفزة، التقدم. **النُّكُوصِ**: الرجوع.

(١٢) **صَمْداً**: الصمد: القصد. والمعنى: اثبتوا على قصدكم.

(١٣) **يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**: ينقصكم شيئا من الجزاء عليها.

حَتَّىٰ يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، ولا تُصِيبُوا مُعْوِراً، ولا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ، ولا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًىٰ، وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَىٰ والأَنْفُسِ والْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ»

** «فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، ودُونَكُمْ مَرَدّاً، ولْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، واجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ، ومَنَاكِبِ الْهِضَابِ، لِئَلا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ، واعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلائِعُهُمْ، وإِيَّاكُمْ والتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، ولا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً»

** «لا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، ولا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، ووَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا، واذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ، والضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ، وأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ».

** «الْزَمُوا الأَرْضَ، واصْبِرُوا عَلَى الْبَلاءِ، ولا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وسُيُوفِكُمْ فِي هَوَىٰ أَلْسِنَتِكُمْ[1]، ولا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَىٰ

(١) **هَوَىٰ أَلْسِنَتِكُمْ**: ما تهواه ألسنتكم وتشتهيه من السباب والشتيمة ونحو ذلك.

فِرَاشِهِ وهُوَ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وحَقِّ رَسُولِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً، ووَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَىٰ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلاتِهِ لِسَيْفِهِ(١)، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وأَجَلاً». [خ١٩٠]

** «عَاوِدُوا الْكَرَّ، واسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الأَعْقَابِ، ونَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ».

** في تعليم القتال: «فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وأَخِّرُوا الْحَاسِرَ(٢)، وعَضُّوا عَلَىٰ الأَضْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ(٣)، والْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ؛ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلأَسِنَّةِ(٤)، وغُضُّوا الأَبْصَارَ؛ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ(٥)، وأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ؛ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ، ورَايَتَكُمْ فَلا تُمِيلُوهَا، ولا تُخِلُّوهَا، ولا تَجْعَلُوهَا إِلا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، والْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، ويَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا(٦) ووَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا، لا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، ولا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ،

---

(١) **إِصْلاتِهِ لِسَيْفِهِ**: إصلات السيف: إشهاره في وجه الأعداء.

(٢) **الدَّارِعَ**: اللابس للدرع. **الْحَاسِرَ**: الكاشف لرأسه، ويعني به من لا درع له.

(٣) **أَنْبَىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ**: أبعد للسيوف عن الرأس، أي يمنع وصول السيف إلى رأس المقاتل.

(٤) **أَمْوَرُ لِلأَسِنَّةِ**: أكثر اضطرابا للرماح، بحيث تخطيء هدفها فلا تصيب.

(٥) **أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ**: رباطة الجأش: الشجاعة وقوة القلب عند مواجهة العدو.

(٦) **حِفَافَيْهَا**: جانبيها.

وآسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، ولَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَىٰ أَخِيهِ، فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وقِرْنُ أَخِيهِ[١]. وايْمُ اللهِ؛ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ، لا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ. إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللهِ[٢]، والذُّلَّ اللازِمَ، والْعَارَ الْبَاقِيَ، وإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، ولا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ يَوْمِهِ[٣]». [خ١٢٤]

** من كلام له عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل: «تَزُولُ الْجِبَالُ ولا تَزُلْ، عَضَّ عَلَىٰ نَاجِذِكَ[٤]، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ[٥]، تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ[٦]، ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَىٰ الْقَوْمِ، وغُضَّ بَصَرَكَ، واعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ». [خ١١]

** «أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ والْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ؟[٧] الْعَارُ وَرَاءَكُمْ، والْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ». [خ١٧١]

** «وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَىٰ مِنْ أَحَدٍ

---

(١) المعنىٰ: لا ينبغي لمن يكون في المعركة أن يتخلف عن مواجهة أقرانه، ويوكل ذلك إلىٰ أصحابه فيحملهم ما لاطاقة لهم به، بل خيرهم من يعين أصحابه علىٰ أقرانهم.

(٢) **مَوْجِدَةَ اللهِ**: غضب الله وعقابه.

(٣) **يَوْمِهِ**: أجله المقدر له.

(٤) **نَاجِذِكَ**: الناجذ الأخير من الأضراس، وعض الناجذ كناية عن الصبر عند تحمل المكاره.

(٥) **أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ**: ابذل جمجمتك لله كما يبذل المعير ماله للمستعير، أي لا تهاب الموت ولا تخافه.

(٦) **تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ**: ثبتها في الأرض، والمعنىٰ: اثبت في مكانك لا تفر ولا تنهزم.

(٧) **الذِّمَارِ**: ما يلزم علىٰ الرجل حفظه من الحريم والنساء. **الْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ**: الذي يغار علىٰ أهله عند وقوع المكاره. **أَهْلِ الْحِفَاظِ**: أهل الأنفة الراعين للذمار.

مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً فَلْيَذُبَّ[١] عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ». [خ١٢٣]

** «أَلا وإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ، وآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَىٰ الْعِبَادُ بِهِ، وخَيْرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِنْدَ اللهِ. وقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، ولا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ، والْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، ولا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً». [خ١٧٣]

من وصية له عليه السلام وصىٰ بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلىٰ الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له :

«اتَّقِ اللهَ الَّذِي لا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، ولا مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ، ولا تُقَاتِلَنَّ إِلا مَنْ قَاتَلَكَ، وسِرِ الْبَرْدَيْنِ، وغَوِّرْ بِالنَّاسِ، ورَفِّهْ فِي السَّيْرِ، ولا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وقَدَّرَهُ مُقَاماً لا ظَعْناً[٢]، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، ورَوِّحْ ظَهْرَكَ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ، فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَفَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، ولا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، ولا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي، ولا

(١) **رَبَاطَةَ جَأْشٍ**: شجاعة. **فَشَلاً**: جبن وضعف. **فَلْيَذُبَّ**: فليدفع.
(٢) **الظَّعْنِ**: السفر، والمراد هنا الرحيل عن الدنيا بالموت والفناء.

يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ والإعْذَارِ إِلَيْهِمْ»

من وصية له عليه السلام وصىٰ بها شريح بن هانئ لما جعله علىٰ مقدمته إلىٰ الشام:

«اتَّقِ اللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ ومَسَاءٍ، وخَفْ عَلَىٰ نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، ولا تَأْمَنْهَا عَلَىٰ حَالٍ، واعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ؛ سَمَتْ بِكَ الأَهْوَاءُ إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً، ولِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً»

من وصاياه العامة لأهله ومن حوله:

** سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ؛ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ.

** لا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ؛ فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ.

** إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلا تُبَلْ مَا كُنْتَ.

** عِظَمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ؛ يُصَغِّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.

** اعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا.

** عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ.

** عَاتِبْ أَخَاكَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وارْدُدْ شَرَّهُ بِالإِنْعَامِ عَلَيْهِ.

** إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ.

** احْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ.

** مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ.

** امْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَىٰ بِكَ.

** إِيَّاكَ ومَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ.

** لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

** مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ.

** بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً.

** سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ.

** لا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ.

** لا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً.

** لا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ، وإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ.

** لا تَقُلْ مَا لا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

** اقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَىٰ مَا يَعْنِيكَ.

** ازْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ.

** لا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ.

** أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ.

** لا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَىٰ الْخَلْقِ بِكَ.

** لا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ.

** لا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً.

** مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ.

** لا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ.

** سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ.

** أَغْضِ عَلَىٰ الْقَذَىٰ والأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً.

** لا يُؤْنِسَنَّكَ إِلا الْحَقُّ، ولا يُوحِشَنَّكَ إِلا الْبَاطِلُ.

** إِيَّاكَ والاتِّكَالَ عَلَىٰ الْمُنَىٰ؛ فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَىٰ.

** إِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ.

** لا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَىٰ عَلَىٰ قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَىٰ صِلَتِهِ.

** أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ.

** كَفَىٰ أَدَباً لِنَفْسِكَ، تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ.

** الرُّكُونُ إِلَىٰ الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ.

** التَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ.

** الطُّمَأْنِينَةُ إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ.

** ضَعْ فَخْرَكَ، واحْطُطْ كِبْرَكَ، واذْكُرْ قَبْرَكَ.

** كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ.

** كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ، مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ.

** زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، ورَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.

** لا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً ولا عَلَىٰ نَفْسِكَ سَبِيلاً.

** أَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ.

** لا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

** احْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ.

** لا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، ولا تَأْمَنْ عَلَىٰ نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. [خ١٤٠]

** ضَعْ فَخْرَكَ، واحْطُطْ كِبْرَكَ، واذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، ومَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وقَدِّمْ لِيَوْمِكَ.

** صَلِّ الصَّلاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، ولا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، ولا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاشْتِغَالٍ، واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاتِكَ.

** أَصْلِحْ مَثْوَاكَ، ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، ودَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لا تَعْرِفُ، والْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ.

** أَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ.

** أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ ولِسَانِكَ، وبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، ولا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ.

** عَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ونِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ.

** أَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ ومَانِعٍ عَزِيزٍ.

** أَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ والْحِرْمَانَ.

** اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، واكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا.

** أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ.

** لا تَحْمِلَنَّ عَلَىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ.

** اسْعَ فِي كَدْحِكَ، ولا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ؛ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

** أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وإِنْ سَاقَتْكَ إِلَىٰ الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً.

** إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلا يَكُونَ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وآخِذٌ سَهْمَكَ، وإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

** لا تَدْعُوَنَّ إِلَىٰ مُبَارَزَةٍ، وإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ، فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ، والْبَاغِيَ مَصْرُوعٌ.

** إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.

** تَلافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ؛ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ.

** قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ.

** إِذَا قَدَرْتَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ؛ فَاجْعَلِ الْعَفْوَعَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

** احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَىٰ الصِّلَةِ، وعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَىٰ اللَّطَفِ والْمُقَارَبَةِ، وعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَىٰ الْبَذْلِ، وعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَىٰ الدُّنُوِّ، وعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَىٰ اللِّينِ، وعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَىٰ الْعُذْرِ، حَتَّىٰ كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ، وإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ.

** لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَصَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ.

** امْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً.

** تَجَرَّعِ الْغَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَىٰ مِنْهَا عَاقِبَةً، ولا أَلَذَّ مَغَبَّةً.

** لِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ.

** خُذْ عَلَىٰ عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ، فَإِنَّهُ أَحْلَىٰ الظَّفَرَيْنِ.

** إِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا، إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْماً مَا.

** لا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَىٰ مَا بَيْنَكَ وبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ

أَضَعْتَ حَقَّهُ.

** لا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَىٰ عَلَىٰ قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَىٰ صِلَتِهِ.

** لا تُسْخِطِ اللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، ولَيْسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ.

** احْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ.

** لا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَىٰ فِي مَضَرَّتِهِ ونَفْعِكَ.

** إِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَىٰ مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَىٰ كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ.

** اسْتَدِلَّ عَلَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاهٌ.

** لا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ، والْبَهَائِمَ لا تَتَّعِظُ إِلا بِالضَّرْبِ.

** اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ الْيَقِينِ.

** إِيَّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَىٰ أَفْنٍ، وعَزْمَهُنَّ إِلَىٰ وَهْنٍ، واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَىٰ عَلَيْهِنَّ، ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ.

** لا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ، ولا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، ولا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا.

** أَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، ويَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

** لا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، ولا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً.

** لا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَىٰ بِذَلِكَ كَذِباً، ولا تَرُدَّ عَلَىٰ النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ، فَكَفَىٰ بِذَلِكَ جَهْلاً.

** إِيَّاكَ ومَقَاعِدَ الأَسْوَاقِ؛ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ، ومَعَارِيضُ الْفِتَنِ.

** أَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ.

** لا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّىٰ تَشْهَدَ الصَّلاةَ، إِلا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ.

** أَطِعِ اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ فَاضِلَةٌ عَلَىٰ مَا سِوَاهَا.

** خَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ، وارْفُقْ بِهَا، ولا تَقْهَرْهَا، وخُذْ عَفْوَهَا، ونَشَاطَهَا، إِلا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا، وتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا.

** إِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا.

** إِيَّاكَ ومُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ.

** وَقِّرِ اللهَ، وأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ.

** مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، ومَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.

** دَعْ مَا لا تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ.

**** كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، ولا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ.**

** إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ؛ فَلا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.

** إِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الأَحْمَقِ؛ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ.

** إِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ؛ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ.

** إِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ؛ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ.

** إِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ؛ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ، يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، ويُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ.

** إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا، والْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِئِ.

** خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ

حَتَّىٰ تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَىٰ صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ.

** إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللهِ، وأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ؛ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَىٰ قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً للهِ.

** لا يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ.

** قَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

** اتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَىٰ وإِنْ قَلَّ، واجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ سِتْراً وإِنْ رَقَّ.

** كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، واعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ.

** لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَىٰ يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

** أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا؛ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا، وأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا؛ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا.

** إِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ.

** إِنْ صَبَرْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدَرُ وأَنْتَ مَأْجُورٌ، وإِنْ جَزِعْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ

الْقَدَرُ وأَنْتَ مَأْزُورٌ.

** لا تَصْحَبِ الْمَائِقَ، فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، ويَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ.

** أَصْدِقَاؤُكَ ثَلاثَةٌ، وأَعْدَاؤُكَ ثَلاثَةٌ، فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وعَدُوُّ عَدُوِّكَ، وأَعْدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ، وعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وصَدِيقُ عَدُوِّكَ.

** سَلْ تَفَقُّهاً ولا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ وإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ

** مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ.

** لا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً، وأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً.

** إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلاةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وآلِه، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا، ويَمْنَعَ الأُخْرَى.

** لا تَسْأَلْ عَمَّا لا يَكُونُ، فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغُلٌ.

** لا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ، كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ.

** لَنْ يَسْبِقَكَ إِلَىٰ رِزْقِكَ طَالِبٌ، ولَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، ولَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ.

** الْكَلامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ.

** اخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ ووَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً، وجَلَبَتْ نِقْمَةً.

** خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّىٰ عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ.

** الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، ويَوْمٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلا تَبْطَرْ، وإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ.

** لا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَىٰ مَنْ أَنْطَقَكَ، وبَلاغَةَ قَوْلِكَ عَلَىٰ مَنْ سَدَّدَكَ.

** إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الأَكَارِمِ، وإِلا سَلَوْتَ سُلُوَّالْبَهَائِمِ.

** الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، والْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ.

** الإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ، عَلَىٰ الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وأَلا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ، وأَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ.

** دَاعٍ دَعَا، ورَاعٍ رَعَىٰ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، واتَّبِعُوا الرَّاعِيَ. [خ١٥٤]

** الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ.

** احْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، واللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ.

** لا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، ولا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ.

** اقْدَمُوا عَلَىٰ اللهِ مَظْلُومِينَ، ولا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ.

** مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً.

** إِيَّاكُمْ وتَهْزِيعَ الأَخْلاقِ وتَصْرِيفَهَا.

** إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ.

** أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ.

** عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ، وإِيَّاكُمْ والتَّدَابُرَ والتَّقَاطُعَ.

** شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ[1].

** تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ،

(١) **الْمُنَافَرَةِ**: المفاخرة بالأحساب. والمعنىٰ: اتركوا ما أنتم عليه من المفاخرة بالأحساب وضعوه عن رؤوسكم.

واسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ. [خ١١٠]

** انْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي. [خ١٠٥]

** خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً؛ إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ.

** أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ؛ إِلا ويَدُ اللهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ.

** اتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَىٰ حَذَرٍ، ولا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّىٰ لا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ.

** لا تَحَاسَدُوا؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، ولا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ.

** فَلا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، ولا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَىٰ أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَىٰ قَائِمَتَيْهِ وتَثْبُتَ الأُخْرَىٰ فَتَرْجِعَا حَتَّىٰ تَثْبُتَا جَمِيعاً. [خ١٠٠]

** بَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[1]، ومِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَشَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ. [خ١٠٥]

** تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ،

(١) **تَصْوِيحِ نَبْتِهِ**: جفاف شجرته ويباسها.

واسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ.

** وسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، ومُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، وخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، والْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وإِيَّاكُمْ والْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ. [خ١٢٧]

** إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي(١) لَكُمْ طُرُقَهُ، ويُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، ويُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ ونَفَثَاتِهِ(٢)، واقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، واعْقِلُوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ(٣). [خ١٢١]

** في شأن التحكيم بعد رفع المصاحف من قبل جند معاوية: «هَذَا أَمْرٌ؛ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَىٰ شَأْنِكُمْ، والْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، ولا تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نَاعِقٍ نَعَقَ، إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وإِنْ تُرِكَ ذَلَّ». [خ١٢٢]

** فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، والآثَارَ الْبَيِّنَةَ، والْعَهْدَ الْقَرِيبَ، الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ، واعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

---

(١) **يُسَنِّي**: يسهل.

(٢) **اصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ**: اعرضوا عن مداخله للتفريق بينكم. **نَفَثَاتِهِ**: وساوسه.

(٣) **اعْقِلُوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ**: احبسوها على أنفسكم ولا تتركوها تضيع.

** فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، ولْـيَكُنِ الشُّـكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَىٰ مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ. [خ١٤٠]

** أَيُّهَا النَّاسُ؛ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وسَدَادَ طَرِيقٍ؛ فَـلا يَسْـمَعَنَّ فِيـهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وتُخْطِئُ السِّهَامُ، ويُحِيلُ الْكَلامُ، وبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ، واللهُ سَـمِيعٌ وشَـهِيدٌ. أَمَـا إِنَّـهُ لَـيْسَ بَـيْنَ الْحَـقِّ وَالْبَاطِـلِ إِلاَّ أَرْبَـعُ أَصَابِعَ[1]. [خ١٤١]

** فَمَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِـهِ الْقَرَابَـةَ، ولْيُحْسِـنْ مِنْـهُ الضِّـيَافَةَ، ولْيَفُـكَّ بِـهِ الأَسِـيرَ والْعَـانِيَ، ولْـيُعْطِ مِنْـهُ الْفَقِـيرَ والْغَـارِمَ، ولْيَصْـبِرْ نَفْسَـهُ عَـلَىٰ الْحُقُـوقِ والنَّوَائِبِ؛ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهَـذِهِ الْخِصَـالِ شَرَفُ مَكَـارِمِ الـدُّنْيَا، ودَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ. [خ١٤٢]

** لا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ، والْبَارِئِ مِـنْ ذِي السَّـقَمِ[2]. [خ١٤٧]

** لا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ

** فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وخَافُوا بَغْتَةَ الأَجَلِ، فَإِنَّهُ لا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ، مَا

(١) قال الشريف الرضي: فسئل عليه السلام عن معنىٰ قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينـه ثمّ قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ!.

(٢) **الْبَارِي**: الصحيح المعافىٰ. **ذِي السَّقَمِ**: المريض المبتلىٰ.

يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ.

** لا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَكَائِنٌ مُرْصَدٌ، ولا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ، ومَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ. [خ١٥٠]

** لا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وأَعْلامَ الْبِدَعِ، والْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ وبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ.

** اتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، ومَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، ولا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، وسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

** لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، ولْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، ولا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، لا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، ولا عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ[1]، يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، ويُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً. [خ١٦٦]

** اجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً، ولْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، واللهِ مَا أَرَىٰ عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَىٰ تَنْفَعُهُ حَتَّىٰ يَخْزُنَ لِسَانَهُ.

** مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ وهُوَنَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ؛ فَلْيَفْعَلْ.

** فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ

(١) **قَيْضِ بَيْضٍ**: القشرة العليا اليابسة من البيضة. **أَدَاحٍ**: المكان الذي تبيض فيه النعام في الرمل.

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وآلِه كَانَ يَقُولُ: "يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ، ودَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ[1]". [خ١٧٦]

** فَإِيَّاكُمْ والتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَىٰ ولا مِمَّنْ بَقِيَ. [خ١٧٦]

** مِنَ الإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ، ومِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ[2] بَيْنَ الْقُلُوبِ والصُّدُورِ إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ. [خ١٨٩]

** فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِهِ، ونَزَغَاتِهِ ونَفَثَاتِهِ، واعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُءُوسِكُمْ، وإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ. [خ١٩٢]

** رَحِمَ اللهُ رَجُلاً رَأَىٰ حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَىٰ جَوْراً فَرَدَّهُ، وكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ.

---

(١) **جَوَادٌ قَاصِدٌ**: مستقيم، قاصد للخير والعمل به.

(٢) **عَوَارِيَّ**: جمع عارية، والمعنىٰ أنه يكون زعماً بغير فهم.

** أَيُّهَا النَّاسُ؛ لا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ، شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وجُوعُهَا طَوِيلٌ. [خ٢٠١]

** لا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لا يَعْلَمُ؛ أَنْ يَقُولَ: لا أَعْلَمُ. ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ؛ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ.

** عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، ولا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لا رَأْسَ مَعَهُ، ولا فِي إِيمَانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ.

** إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانُ؛ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ.

** اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، ورُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

** تَوَقَّوُا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ، وآخِرُهُ يُورِقُ.

** شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَىٰ، وأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ عَلَيْهِ.

** أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللهِ وقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ الْعُقُوبَةَ، وإِذَا حَلَفَ بِاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَلَمْ يُعَاجَلْ؛ لأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَىٰ.

** لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، ويَقِينَكُمْ شَكّاً، إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا، وإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا.

** اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ.

** إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وإِدْبَاراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ، وإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ.

** اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، واسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَىٰ بِكُمْ.

** وارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ، فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، واقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، واسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ، فَإِنَّهَا أَهْدَىٰ السُّنَنِ. [خ١١٠]

** إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وإِنْ ضَحِكُوا، ويَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وإِنْ فَرِحُوا، ويَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا. [خ١١٣]

** إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ.

** افْعَلُوا الْخَيْرَ، ولا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وقَلِيلَهُ كَثِيرٌ.

** لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلَىٰ بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي؛ فَيَكُونَ واللهِ كَذَلِكَ.

❊ ❊ ❊

عهد الإمام إلى مالك الأشتر

ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النَّخَعي رحمه الله
لمّا ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمرمحمّد بن أبي بكر رحمه الله
وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الله عَلِيٌّ أَميرُالْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبْايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا. أَمَرَهُ بِتَقْوَىٰ الله، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَىٰ إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنْ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ. ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَىٰ بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَىٰ أَلْسُنِ عِبَادِهِ. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ. وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي

الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ،يُؤْتَىٰ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَاءِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَابْتَ لاَكَ بِهِمْ. وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله، فَإِنَّهُ لاَيَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلاَ غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَىٰ عَفْوٍ، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَة، وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَىٰ بَادِرَة وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلاَ تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَىٰ عِظَمِ مُلْكِ الله فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَىٰ مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ! إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ الله فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ. أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ الله كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّ تَهُ، وَكَانَ للهَّ حَرْباً حَتَّىٰ يَنْزِعَ وَيَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ الله وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَىٰ ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ، وَهُوَلِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ. وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَىٰ الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَىٰ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَىٰ الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَىٰ الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ

لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ. وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فإنَّ في النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَىٰ مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ ما تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَضِحُ لَكَ، وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَىٰ تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ. وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّىٰ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِالله. شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَىٰ ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَىٰ إِثْمِهِ: أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَىٰ عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ حَفَلاَتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَىٰ أَلاَّ

يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ. وَلاَ يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، تَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَىٰ الْإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَىٰ إِلَىٰ حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا لَيْسَ لهُ قِبَلَهُم. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً. وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ. وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا. وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَ ا إِلاَّ بِبَعْضٍ، وَلاَ غِنَىٰ بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ الله، مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَىٰ مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّىٰ اللهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَىٰ حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً. فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ الله، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلاَةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ

اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلَحهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلاَّ بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنْ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلاَّ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ ما لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَىٰ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي اللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَىٰ الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ. وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ إِلاَّ بِالْإِهْتِمَامِ وَالْإِسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَىٰ لُزُومِ الْحَقِّ. وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ. فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِّ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِىءُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَىٰ الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَىٰ الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ. ثُمَّ الْصَقْ بَذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ. ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلاَ يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلاَ تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَىٰ جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ. وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ

عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّىٰ يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ. وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ. وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَىٰ وُلاَةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَىٰ ذَوُوالْبَلاَءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ. ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ، وَلاَ تَضُمَّنَّ بَلاَءَ امْرِىءٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِىءٍ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلاَضَعَةُ امْرِىءٍ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَاكَانَ عَظِيماً. وَارْدُدْ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ»، فَالرَّدُّ إِلَىٰ اللهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَىٰ الرَّسُولِ: الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ. ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمَادَىٰ فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ[1] إِلَىٰ الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَىٰ طَمَعٍ، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ

(١) **الْفَيْءُ:** الرجوع.

الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَىٰ تَكَشُّفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إغْرَاءٌ، أُولئِكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَىٰ النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَىٰ، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا. ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ. وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً. ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَىٰ اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ. ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَىٰ اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَىٰ خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ. وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صلاَحِهِ وَصلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَىٰ الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ. وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ

ذلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بَالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً. فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِما تَرْجُو أَنْ يصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمُؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَ إِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلاَيَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاَةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ. ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الْأَخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِىءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَف لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاَءِ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بَقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ. ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلكِنِ

اخْتَبِرْهُمْ بِمَاوَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ نَصِيحَتِكَ للهِ وَلِمَنْ وَلِّيتَ أَمْرَهُ. وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ، لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْه أُلْزِمْتَهُ. ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجُلاَّبُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَىٰ غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلاَدِكَ. وَاعْلَمْ ـ مَعَ ذلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَىٰ الْوُلاَةِ. فَامْنَعْ مِنَ الْإِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لاَ تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ. ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَىوَالزَّمْنَىٰ، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ للهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الْإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَىٰ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَىٰ، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ. فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ

يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأُولئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بَالْإِعْذَارِ إِلَى الله تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى الله تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيهِ. وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لاَحِيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ الله لَهُمْ. وَاجْعلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَواضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَمِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: "لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ". ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالْأَنَفَ، يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بَذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ! ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَبُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وَرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ. وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ للهِ بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ اللهَ مِن بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا

تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَىٰ الله مِنْ ذلِكَ كَاملاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلاَ مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ. وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَىٰ اليَمنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: "صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً". وَأَمَّا بَعْدَ ، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِندَهُمْ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ. وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَىٰ عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَىٰ الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ، أَوْ مُبْتَلَىً بِالْمَنعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ. ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ، وَلاَ تُقْطِعَنَّ لِأَحَد مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً، وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ خَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ

بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذلِكَ مَحْمُودَةٌ. وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَىٰ الْحَقِّ. وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّ كَ للهَّ فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْناً لِبِلاَدِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَرُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوّ لَكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ الله شَيْءٌ النَّاسُ أَشدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ، مِنَ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ. وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِىءُ عَلَىٰ الله إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَىٰ مَنَعَتِهِ، يَسْتَفِيضُونَ إِلَىٰ جِوَارِهِ، فَلاَ إِدْغَالَ، وَلاَ مُدَالَسَةَ، وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ، وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَىٰ لَحْنِ القَوْلِ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ الله، إِلَىٰ طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَىٰ ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ الله فِيهِ طَلِبَةٌ ، لاَتَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ. إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ و سَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ لِنِقْمَةٍ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلاَ أَحْرَىٰ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ

بِغَيْرِ حَقِّهَا. وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَة، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُول حَقَّهُمْ. وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ. وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَاللهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللهُ سبحانه: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ» و إِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذا تَنَكَّرَتْ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمرٍ مَوْقِعَهُ. وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ، امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفٍّ الْبَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ: وَلَنْ تَحْكُمْ ذلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ. وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ

نَبِيِّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أَوْفَرِيضَة فِي كِتَابِ الله، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عهْدِي هذَا، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَىٰ هَوَاهَا. وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَىٰ الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبَلاَدِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، «إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَيِّبِينَ الطَاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيراً، وَالسَّلَامُ.

***

وصية الإمام لابنه الحسن عليه السلام

ومن وصيّته له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه "بحاضرين" عند انصرافه من صفّين

«مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ ، لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرَكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ رَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ،قَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى- بِي إِلَى جِدٍّ لاَ يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْق لاَ يَشُوبُهُ كَذِبٌ. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي-، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذا، مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ. فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله ـ أَيْ بُنَيَّ ـ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَب أَوْثَقُ مِنْ سَبَب بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله عَزّوَجَلَّ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ! أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ

بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا عَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ ! وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلهِكَ، فَإِنَّكَ تُلجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الْاِسْتِخَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلاَ تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَلاَ يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ. أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي

إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَىٰ وَفِتَنِ الـدُّنْيَا، فَتَكُـونَ كَالصَّـعْبِ النَّفُـورِ. وَإِنَّـمَا قَلْـبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيءٍ قَبِلَتْهُ. فَبَادَرْتُكَ بِـالْأَدَبِ قَبْـلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِـنَ الْأَمْـرِ مَـا قَـدْ كَفَـاكَ أَهْـلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَـبِ، وَعُوفِيـتَ مِـنْ عِـلاَجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ. أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِـمْ، وَفَكَّـرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّىٰ عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَىٰ إِلَيَّ مِـنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَذلِكَ مِـنْ كَـدَرِهِ، وَنَفْعَـهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ، تَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَـهُ، وَصَرَفْـتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِـي الْوَالِـدَ الشَّـفِيقَ، وَأَجْمَعْـتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ مُقْتَبَـلُ الـدَّهْرِ، ذُونِيَّـة سَـلِيمَة، وَنَفْـس صَـافِيَة، وَأَنْ أَبْتَـدِئَكَ بِتَعْلِـيمِ كِتَـابِ اللهِ عَـزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِـهِ، وَشَرَائِـعِ الْإِسْلاَمِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ، لاَ أُجَاوِزُ ذلِكَ بَكَ إِلَىٰ غَـيْرِهِ. ثُـمَّ أَشْـفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِـمْ مِثْـلَ الَّـذِي الْتَـبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذلِكَ عَلَىٰ مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِـنْ إِسْـلاَمِكَ إِلَىٰ أَمْرٍ لاَ آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هذِهِ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ

مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَىٰ اللهِ، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَىٰ مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَىٰ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذلِكَ إِلَىٰ الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، والْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَابِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ. وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذلِكَ بِالْإِسْتِعَانَةِ بِإِلهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَة أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَة، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَىٰ ضَلَالَة. فَإِنَّ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَّطَ، والْإِمْسَاكُ عَنْ ذلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلاَّ عَلَىٰ مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالْإِبْتِلاَءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لاَ تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَىٰ جَهَالَتِكَ ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عَلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذلِكَ ! فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ،

وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِىءْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَارْضَ بِهِ رَائِداً، وَإِلَىٰ النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُك نَصِيحَةً. وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وصِفَاتِهِ، وَلكِنَّهُ إِلهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلاَ يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّة، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلاَّ بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلاَّ عَنْ قَبِيحٍ. يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَعَلَيْهَا. إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذلِكَ أَلَماً، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ. وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ

خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَىٰ مَنْزِلٍ جَدِيب، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَىٰ مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ. يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ. وَاعْلَمْ، أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ. فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ. وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لاَ غِنَىٰ بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلاَغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ. وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِن الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لاَمَحَالَةَ إِمَّا عَلَىٰ جَنَّةٍ أَوْ عَلَىٰ نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلاَ إِلَىٰ

الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ. وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتكفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَىٰ مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بَ النِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَىٰ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ،بَابَ الْاِسْتِعتَابِ؛ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاك، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَك، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَىٰ أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ غيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَىٰ شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ[1]. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتكُنْ مَسَأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَىٰ لَكَ

(١) **الآمِلِ**: المؤمّل.

جَمَالُهُ، وَيُنْفَىٰ عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لاَ يَبْقَىٰ لَكَ وَلاَ تَبْقَىٰ لَهُ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْت لاَ لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطرِيقٍ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي، لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ ،وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَىٰ حَذرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَىٰ حَال سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَىٰ مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً،يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَىٰ مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا،رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاع يُقِيمُهَا، وَلاَ مُسِيمٌ يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَىٰ، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَىٰ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلاَمُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ! وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً،

وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً. وَاعْلَمْ يَقِيناً، أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَأَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَب قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ ؟! وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلاَّ يَكُونَ بَيْنَكَ بَيْنَ اللهِ ذُونِعْمَة فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وَتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ. وَإِيَّاكَ وَالْاِتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ

مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ. بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِب يَؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْر عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ. التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَىٰ مِنْ كَثِيرٍ! لاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاك أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ. احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَىٰ الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَىٰ اللُّطَفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَىٰ الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَىٰ الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَىٰ اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَىٰ الْعُذْرِ، حَتَّىٰ كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُونِعْمَة عَلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَصَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَىٰ مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلاَ أَلَذَّ مَغَبَّةً، وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَىٰ عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَّا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَىٰ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّه، وَلاَ يكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ، وَلاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَىٰ عَلَىٰ قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَىٰ صِلَتِهِ، وَلاَ تكُونَنَّ عَلَيالْإِسَاءَةِ أَقْوَىٰ مِنْكَ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ. وَلاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ

يَسْعَىٰ فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَىٰ! إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَىٰ مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَىٰ كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَدِلَّ عَلَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ، وَلاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاَ تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلاَّ إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلاَمِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَبِ، وَالْبَهَائِمَ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّرْبِ. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَىٰ شَرِيكُ الْعَمَىٰ، رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَىٰ لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَعَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلاَ كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ،أَصَابَ الْأَعْمَىٰ رُشْدَهُ. أَخِّرِ الشَّرَّ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَىٰ أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلاَمِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذلِكَس عَنْ غَيْرِكَ.

وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَـإِنَّ رَأْيَهُـنَّ إِلَىٰ أَفْـنٍ، وَعَـزْمَهُنَّ إِلَىٰ وَهْـنٍ. وَاكْفُـفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَىٰ عَلَـيْهِنَّ، وَلَـيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مَنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَيُوثَقُ بِـهِ عَلَـيْهِنَّ، وَإِنِ اسْـتَطَعْتَ أَلاَّ يَعْـرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلاَ تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَـا مَـا جَـاوَزَ نَفْسَـهَا، فَـإِنَّ الْمَـرْأَةَ رَيْحَانَـةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ. وَلاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلاَ تُطْمِعْهَا أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا. وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذلِكَ يَدْعُوالصَّحِيحَةَ إِلَىٰ السَّـقَمِ، وَالْبَرِيئَـةَ إِلَىٰ الرِّيَبِ. وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَىٰ أَلاَّ يَتَوَاكَلُـوا فِي خِدْمَتِكَ. وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْـهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

أَسْتَوْدِعِ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَـيْرَ الْقَضَـاءِ لَـكَ فِي الْعَاجِلَـةِ وَالْآجِلَـةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلامُ.

***

الفهرس

الفهرس ٥٣٣